لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمّد عبد الحليم بعّاج

المجلّد الثامن

دار اللباب

لباب التفاسير

(٨)

الطبعة الأولىٰ

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢١م

9 789933 930271

دار اللباب

للدِّراسَاتِ وتَحقِيق التُراثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُورَةُ الزُّمَرِ

خمسٌ وسبعونَ آيةً، مكِّيَّةٌ(١).

ويُقالُ لها: سورةُ الغُرَفِ(٢).

مكِّيَّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ إلى تمامِ ثلاثِ آياتٍ(٣)، وقيل: إلى تمامِ سبعِ آياتٍ(٤).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلُ﴾؛ أي: هذا تنزيلُ ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾، والكتابُ: القرآنُ.

---

(١) «خمس وسبعون آية مكية»: ليست في (ف). وانظر «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٦)، وفيه: «وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وثلاث في الشَّامي، واثنتان في عدد الباقين... ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٤٩)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٣٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٦)، وفيه: «مَكِّيَّة، قال ابن عبَّاس وعطاء: إلاَّ ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة، وهن قوله تعالى: ﴿قل يَا عبَادي الَّذين أَسْرفُوا على أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُم لَا تشعرون﴾».

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ١١٣).

وقيل: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مبتدأٌ، خبرُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

والمعنى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾، لا كما يقولُه المشركونَ: إنَّ محمَّدًا يقولُه من تلقاءِ نفسِه.

وقيل: معناه: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فاستَمِعُوا له واعمَلُوا به.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في سلطانِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: لإثباتِ الحقِّ، وهو الإيمانُ بالله وصفاتِه.

وقيل: بالصِّدقِ في الإخبارِ عمَّا كان وعمَّا يكونُ.

وليس قولُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ﴾ تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ كالعنوانِ للكتابِ، والثَّانيَ لبيانِ ما في الكتابِ.

﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمُرادُ به هو وأمَّتُه؛ أي: اعبُدوه مُخلِصين له الطَّاعةَ من غيرِ شائبةِ شكٍّ ونفاقٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾: الطَّاعةُ الخالصةُ؛ أي: هي التي تقعُ موقعَ القَبولِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

وقيل: الطّاعةُ الخالصةُ لا يستحِقُّها إلا اللهُ.

وقيل: الواجبُ عليهم أن يُخلِصُوا الطّاعةَ.

وقيل: الدِّينُ هاهنا كلمةُ لا إلهَ إلا الله.

وقيل: هو الإسلامُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني: آلهةً يعبُدونها ويُوالونَها، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾؛ أي: يقولونَ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾.

وقيل: ﴿الذين اتَّخذوا﴾ رفعٌ بإضمارِ القولِ[1]؛ أي: يقولُ الذين اتَّخذوا من دونِه أولياءَ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾؛ أي: إلّا ليشفَعُوا لنا، قيل: هم الملائكةُ وعيسى وعُزَيرٌ.

والزُّلفى: الشَّفاعةُ. وقيل: القُربى والمنزلةُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: يحكمُ بين المسلمينَ والمُشرِكين فيَظهرُ المُحِقُّ من المُبطِلِ، وهذا ردٌّ لقولِهم ووعيدٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾: لا يُرشِدِ إلى دينِه.

وقيل: لا يهدي إلى الحقِّ.

وقيل: إلى الجنّةِ.

﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ في قولِه: الملائكةُ[2] بناتُ الله، وعيسى وعُزَيرٌ أبناءُ الله.

﴿كَفَّارٞ﴾ في عبادةِ غيرِ الله.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٠٩)، واستغربه.

(٢) في (ن): «إن الملائكة».

(٤) ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعَمُوا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾: لاختارَ ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: الأفضلَ، لا الأنقَصَ وهنَّ البناتُ.

وقيل: لو اتَّخذَ من خلقِه ولدًا لـم يتَّخِذْه باختيارِهم وقولِـهم، بل كان يختصُّ من خلقِه مَن يشاءُ. وذِكرَ لفظَ ﴿مَا﴾ دونَ (مَن) ليكونَ أعمَّ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزَّه نفسَه عن الولدِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

* * *

(٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: للحقِّ، لا للعبثِ والباطلِ.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يُنقِصُ من أحدِهما، ويزيدُ في الآخرِ.

وقيل: معنى ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُغشي.

وقيل: معنى قولِه: ﴿يُكَوِّرُ﴾: يزيدُ، من قولِـهم: نعوذُ باللهِ منَ الحَورِ بعدَ الكَوْرِ؛ أي: منَ النَّقصِ بعدَ الزِّيادةِ.

وقيل: ﴿يُكَوِّرُ﴾: يلفُّ، من تكويرِ العمامةِ، ومنه: كارةُ القَصَّارِ.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ سبقَ.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: القيامةُ.

وقيل: لكلٍّ منها منازِلُ لا يعدُوها ولا يَقصرُ دونَها.

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾(١) فلا يُغالَبُ ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمَن تابَ.

***

(٦) ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ يا بني آدمَ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حوَّاءَ، خُلِقَتْ من قُصَيْرَى آدمَ، وهو آخرُ أضلاعِه.

وقيل: خُلِقَتْ من بقيَّةِ طينِ آدمَ.

وقولُه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الله خلقَ آدمَ وأخرجَ ذُرِّيتَه من ظهرِه، ثمَّ ردَّهم إلى مكانِهم، ثمَّ خلقَ منها حوَّاءَ.

والثَّاني: أنَّ التَّراخيَ في الإخبارِ، لا في الجَعْلِ.

والثَّالثُ: أنَّ (ثمَّ) قد يأتي مع الجملةِ دالًّا على التَّقدُّمِ كقولِه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وكذلك(٢) قولُه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، وكذلك قولُه: «فليُكفِّرْ عن يمينِه ثمَّ ليفعَلِ الذي هو خيرٌ»(٣).

والرَّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: خلقَكُم من نفسٍ واحدةٍ، خلقَها ثمَّ جعلَ منها زوجَها(٤).

---

(١) في (ن) زيادة: «الغفار العزيز».

(٢) في (ن): «فكذلك».

(٣) رواه مسلم (١٦٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو مروي في «الصحيحين» من حديث أبي موسى وعائشة وعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهم بألفاظ أخرى ليس فيها موضع الشاهد.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه، وقال: «وهو أحسن الوجوه».

قولُه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ قيل: ﴿أنزلَ﴾ بمعنَى: جعلَ.

وقيل: أنزلَـها منَ الجنَّةِ.

وقيل: ﴿أنزلَ﴾ بمعنى: خلقَ.

وقيل: عبَّرَ عن الخلقِ بالإنزالِ لِمَا فيه من معنى الرِّفعةِ والاعتلاءِ؛ كما يُقالُ: رُفعتِ القِصّةُ إلى الأميرِ، وإنْ كانَ الأميرُ في سَرَبٍ.

وقيل: لأنَّها لا تقومُ إلّا بالنَّباتِ، والنَّباتُ منَ المطرِ، والمطرُ ينزلُ منَ السَّماءِ، فكأنَّ الأنعامَ مُنزَّلٌ[1].

والأنعامُ عند الانفرادِ يقعُ على الإبلِ خاصّةً، والمُرادُ بها هاهنا ما بيَّنَ في سورةِ (الأنعام): ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وخُصَّتْ هذه بالذِّكرِ لكثرةِ الانتفاعِ بها منَ اللَّبنِ واللَّحمِ والجلدِ والشَّعرِ والوَبَرِ.

والأزواجُ: جمعُ زوجٍ، والزَّوجُ: الفردُ له مثلٌ، وقد يُقالُ لهما: زوجٌ، تقولُ: زوجُ حمامةٍ، وزوجُ خُفٍّ.

﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ نُطفةً ثمَّ علقةً ثمَّ مُضغةً إلى تمامِ الخلقِ.

وقيل: ﴿خَلۡقٗا﴾ في بطنِ الأمِّ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ في صُلبِ آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: ﴿خَلۡقٗا﴾ في بطنِ الأمِّ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ في صُلبِ الأبِ.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَ الأنعامِ في الآيةِ اعتراضٌ، حسَّنَ الاعتراضَ ذِكرُ الأزواجِ بعد قولِه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾؛ أي: كلَّ حيوانٍ ذي[2] زوجٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «ذو».

قولُه: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: ظُلمةُ البطنِ، وظُلمةِ الرَّحِمِ، وظُلمةُ المَشِيمةِ.

وقيل: ظُلمةُ الصُّلبِ، وظُلمةُ البطنِ، وظُلمةُ الرَّحمِ.

وقيل: الظُّلماتُ الثَّلاثُ: الحوايا والأحشاءُ والرَّحمُ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: الذي خلقَ هذه الأشياءَ خالقُكم ورازِقُكم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الرَّشادِ.

* * *

(٧) - ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾؛ أي: عن عبادتِكم اللهَ وإيمانِكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾؛ أي: لعبادِه المُؤمنين، كقولِه: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

وقيل: هو عامٌّ، والكفرُ ليس برضا اللهِ وإنْ كانَ بإرادتِه.

وقيل: لا يرضَى منهم الكفرَ.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾؛ أي: ما أنعمَ عليكم بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: يَرْضَ ذلك الشُّكرَ لكم، فيُثيبُكم عليه الجنّةَ.

والمعنى: هو يرضى الشُّكرَ ولا يرضى الكفرَ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ آخرَ، والوِزرُ: الذَّنبُ وعقابُه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فيُحاسبُكم عليها ويُجازيكُم.

* * *

(٨) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ مُقاتلٌ: نزلت في أبي حُذَيفةَ بنِ المُغيرةِ[١].

﴿ضُرٌّ﴾: بلاءٌ وشدّةٌ. واستعمالُ المسِّ في الأعراضِ مجازٌ.

﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: راجعًا إلى الله بالدُّعاءِ لا يدعو سواه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾؛ أي: أعطاه، والـخَوَلُ: العطاءُ، والتَّخويلُ: الإعطاءُ، وأصلُه: الإرعاءُ.

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: منَ الله.

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: قبلَ النِّعمةِ؛ أي: نسيَ البلاءَ.

وقيل: نسيَ الله، و﴿مَا﴾ بمعنى (مَن) كقولِه: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[٢].

وقيل: نسيَ الدُّعاءَ[٣].

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أمثالًا؛ **﴿لِيَضِلَّ عن سبيلِه﴾**: الإسلامِ، واللّامُ لامُ العاقبةِ، وقُرِئَ بالضَّمِّ[٤]؛ أي: ليُضِلَّ النّاسَ، فيكونُ اللّامُ لامَ العلّةِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٠)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿تَمَتَّعْ﴾؛ أي: عِشْ ﴿بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدُّنيا، لفظُه أمرٌ ومعناه التَّهديدُ.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: أهلِ النَّارِ في الآخرةِ.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[١].

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عثمانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه[٢].

قال مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه[٣].

قُرِئَ بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ[٤]. وللتَّخفيفِ وجهانِ:

أحدُهما: أنَّه ألفُ الاستفهامِ؛ أي: أَمَنْ هو قانتٌ كمَن جعلَ لله أندادًا؟ وفيه ضَعفٌ؛ لأنَّ ألفَ الاستفهامِ لا تدخلُ في (مَن) إلا مع الواوِ والفاءِ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٨)، وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧١ ـ ٦٧٢). ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥٠) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وحمزة: (أَمَنْ) بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦١)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

والثّاني: أن يكونَ للنِّداءِ، فهو كما تقولُ: فلانٌ لا يُصلِّي ولا يصومُ، فيا مَن تصومُ وتُصلِّي أبشِرْ.

وقيل: المُنادى هو رسولُ الله ﷺ، يُقوِّيه قولُه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ﴾.

وللتَّشديدِ وجهانِ:

أحدُهما: أن تكونَ (أم) هي المُعادِلةُ، والتَّقديرُ: الجاحدُ الكافرُ خيرٌ أم الذي هو قانتٌ؟ ودلَّ على المحذوفِ قولُه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والثّاني: أن تكونَ المُنقطعةَ، وتقديرُه: بل أَمَّنْ هو قانتٌ كمَن بضدِّه؟

والقانتُ: القائمُ المُطيعُ لله.

آناءُ اللَّيلِ: أوقاتُه وساعاتُه. وقيل: جوفُ اللَّيلِ. وقيل: بين المغربِ والعشاءِ.

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾؛ أي: مُصلِّيًا. وقيل: مرَّةً ساجدًا ومرَّةً قائمًا.

﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾: عذابَ الآخرةِ ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾: نعيمَ الجنّةِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزَّجّاجُ: أي: كما لا يستوي العالـمُ والجاهلُ لا يستوي المُطيعُ والعاصي[1].

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: هم المُؤمنونَ المُوقِنون، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكافرونَ المُرتابونَ.

وقيل: الذين يعلَمون ما لـهم وعليهم، والذينَ لا يعلمونَ ذلك.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أنَّهما ليسا سواءً؛ فإنَّ قيمةَ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُه.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٧).

(١٠) - ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: أطاعوا الله في الدُّنيا.

وقيل: قالوا: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: ثبَتُوا على إيمانِهم.

﴿حَسَنَةٌ﴾ في الآخرةِ، وهي الجنَّةُ والكرامةُ.

وقيل: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: للَّذين أحسَنُوا حسنةٌ في هذه الدُّنيا، وفسَّروا الحسنةَ بالصِّحَّةِ والعافيةِ.

وقيل: نورُ القلبِ، وبهاءُ الوجهِ، واليقينُ.

وقيل: الظَّفرُ والغنيمةُ.

وقيل: الثَّناءُ الجميلُ.

ومحلُّها[1] نصبٌ على الحالِ؛ لأنَّ نعتَ النَّكرةِ إذا تقدَّمَ عليها انتصَبَ على الحالِ، كقولِه:

لخولـةَ مُوحِشًـا طلَـلُ[2]

---

(١) أي: محل الجار والمجرور، وهو قوله تعالى: ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾، وهذا على تقدير التقديم والتأخير.

(٢) انظر: «الجمل» للخليل (ص: ١٠٣)، و«الكتاب» (٢/ ١٢٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٧)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٣١)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٩٤)، و«الصحاح» مادة: (وح ش)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (ص: ١١٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٩٨)، وعزاه العيني في «المقاصد النحوية» (٣/ ١١٣٠) لكثير عزة. وعجزه: =

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾؛ أي: فهاجِروا فيها، فيكونُ خطابًا لمَن خُوطِبَ بقولِه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧].

وقيل: ﴿أرضُ اللهِ واسعةٌ﴾؛ أي: رزقُ الله واسعٌ؛ لأنَّه[1] من الأرضِ يكونُ.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على أداءِ فرائضِ الله واجتنابِ مَحارِمِه.

وقيل: الصّابرونَ على المصائبِ والمكارِهِ.

﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قتادةُ: بغيرِ مكيالٍ ولا ميزانٍ[2].

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعرفُه الخلقُ، إنَّما يعرفُه الخالقُ.

وقيل: يُعطَونَ أُجورَهم بالواحدِ عشرًا، وبالواحدِ سبعَ مئةٍ، كقولِه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وكقولِه: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ويُعطَونَ بغيرِ حسابٍ كقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغيرِ تضييقٍ.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا نهايةٍ.

وقيل: بلا مِنَّةٍ.

* * *

(١١) - ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ كفَّارَ قُريشٍ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ألا تنظُرُ إلى أبيك عبدِ الله، وملَّةِ جدِّك عبدِ المُطَّلبِ، وساداتِ قومِك، يعبُدونَ اللّاتَ

= يلــوحُ كأنــه خِلَــلُ

وفي أكثر المصادر: «لمية»، وفي بعضها: «لسلمى»، وفي بعضها: «لعزة».

(١) في (ن): «لأن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١).

والعُزَّى؟ فأنزَلَ الله: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: بأنْ أعبدَ الله[١].

﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: مُوحِّدًا له، وقيل: خالصًا لا يَشوبُه معصيةٌ.

***

(١٢) ـ ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ﴾ قيل: بأنْ أكونَ، واللّامُ بدلٌ من الباءِ.

وقيل: المفعولُ محذوفٌ، واللّامُ للعلَّةِ؛ أي: وأُمرتُ بالإخلاصِ لأنْ أكونَ.

ويحتمِلُ أنَّ اللَّامَ علَّةٌ للأولى، و﴿أُمِرۡتُ﴾ مُكرَّرٌ[٢].

قولُه: ﴿أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ قيل: من أمَّتي. وقيل: في بلدي.

وقيل: لأنْ أكونَ نبيًّا، وهو أوَّلُ المسلمينَ.

وقيل: قبلَ أن يعبُدَه معي غيري.

صاحبُ «النَّظمِ»: أوَّلَ المسلمينَ في الجزاءِ والثَّوابِ عنه.

***

(١٣) ـ ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ قيل: أخافُ خوفَ اليقينِ لا خوفَ الشَّكِّ.

وقيل: الخوفُ هاهنا لزومُ الطّاعةِ فقط.

وقيل: المعنى: إنِّي لا أعصي الله؛ لأنِّي أخافُ إنْ عصَيتُه عذابَ يومٍ عظيمٍ.

وقيل: المُرادُ به أمَّتُه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧٢)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ١٨٠).

(٢) أي: أعبد الله مخلصاً لأن أكون... ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١١)، واستغربه.

وقيل: منسوخٌ.

وقيل: نزلَتْ قبلَ أن غفرَ الله له.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾؛ أي: امتثَلْتُ ما أُمِرْتُ به ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ هذا تهديدٌ ووعيدٌ كقولِه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقيل: كقولِه: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ قال الفقيه أبو اللَّيثِ رحمَه الله: قيلَ له: خسِرْتَ إنْ خالَفْتَ دينَ آبائِك، فأنزلَ الله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[1]، أهلَكُوها بالمصيرِ إلى النّارِ.

وقيل: لم يغنَمُوها؛ إذ لم يستعمِلُوها في طاعةِ الله.

﴿وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: الحورَ العينَ في الجنّةِ.

وقيل: لأنَّه لا يكونُ في النّارِ أهلٌ.

وقيل: خسِرُوا أهليهم؛ لأنَّهم أضلُّوها فصاروا إلى النّارِ.

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الظّاهرُ، حيثُ استبدَلوا بالجنَّةِ نارًا وبالدَّرجاتِ دركاتٍ.

* * *

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ١٨١).

(١٦) ـ ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾.

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾؛ أي: النَّارُ محيطةٌ بهم، وسَمَّى النَّارَ ظُلّةً لغِلَظِها وكثافَتِها، وأنَّها تمنعُ منَ النَّظرِ إلى ما فوقَهم.

وقيل: أي: تحتَهم منَ النَّارِ ما يعلوهُم حتَّى يصيرَ ظُلَلًا.

وقيل: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لآخرينَ منهم، والنّارُ دَرَكاتٌ، وهم بينَ أطباقِها.

وقيل: سمَّى ما تحتَهم ظُلَلًا ازدِواجًا للكلامِ.

ويحتمِلُ أنَّها تدورُ عليهم، فهو كما يقولُ: فوقَنا سماءٌ وتحتَنا سماءٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الذي تقدَّمَ منَ العذابِ، وقيل: ذلك الظُّلَلُ.

﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ في القرآنِ ليُؤمِنُوا.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾: وحِّدوني وأطيعُوني.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ في سببِ النُّزولِ:

ابنُ زيدٍ: نزلَتْ في ثلاثةِ نفرٍ كانوا في الجاهليَّةِ يقولونَ: «لا إلهَ إلا الله»؛ زيدِ بنِ عمرٍو، وأبي ذرٍّ الغِفاريِّ، وسلمانَ الفارسيِّ(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥).

والطَّاغوتُ: الأوثانُ. وقيل: الشَّيطانُ. وقيل: الكَهنةُ.

وكلُّ ما عُبِدَ من دونِ الله طاغوتٌ.

﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ بدل؛ أي: عبادتَها، وقيل: طاعتَها.

والطّاغوتُ مُؤنَّثٌ يقعُ على الواحدِ والجمعِ، واشتقاقُها منَ الطُّغيانِ، ووزنُها: فَلْعُوت.

وقيل: اسمٌ عجميٌّ. والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: رجَعُوا إلى عبادةِ الله بعد الصَّنمِ، وقيل: أقبَلُوا إلى طاعةِ الله.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالجنّةِ؛ أي: الملائكةُ يُبشِّرونَهم، وقيل: يُبشِّرُهم الله.

وقيل: ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: الجنَّةُ.

وقيل: سرورٌ عندَ الموتِ.

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه آمنَ بالنَّبيِّ ﷺ وصدَّقَه، فجاء عثمانُ وعبدُ الرَّحمنِ وطلحةُ والزُّبيرُ وسعدٌ وسعيدٌ فسألوه، فأخبرَهم بإيمانِه فآمنُوا، فأنزلَ الله تعالى[1]: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول﴾ يُريدُ: من أبي بكرٍ ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾[2].

وقيل: القولُ عامٌّ، و﴿يتَّبِعُونَ أحسَنَه﴾؛ أي: في العقلِ، فآمَنُوا.

وقيل: القولُ: أقاويلُ أهلِ المِلَلِ، وأحسَنُه: الإسلامُ.

وقيل: القولُ: القرآنُ، وأحسَنُه: العفوُ والتَّجافي، دونَ القِصاصِ والدِّيةِ، وكذلك يتَّبعونَ المُحكَمَ دونَ المُتشابهِ.

---

(١) في (ف): «فنزلت».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٩).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو الرَّجلُ يجلسُ مع القومِ، فيسمعُ الحديثَ فيه محاسنُ ومساوئُ، فيُحدِّثُ بأحسنِ ما يسمعُ(١).

الزَّجَّاجُ: يسمعونَ القرآنَ وغيرَه، فيتَّبِعُونَ القرآنَ(٢).

وقيل: يتَّبِعونَ العزائمَ دونَ الرُّخَصِ.

وقيل: أحسنُه: لا إلهَ إلا الله.

وقيل: أحسنُه: الطّاعةُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ لدينِه، وقيل: لنيلِ جنَّتِه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوو العقولِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: كفَرَ واستحَقَّ الوعيدَ، وقيل: أفمَنْ وجَبَ عليه كلمةُ العذابِ في سابقِ علمِ الله؟ ودخلَ ألفُ الاستفهامِ للتَّقريرِ.

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: تُخلِّصُه؛ أي: ليس إليكَ ذلك، والألفُ الثّاني زيادةٌ، ولا يدخلُ ألفٌ المُبتدأَ ثمَّ يدخلُ الخبرَ، و﴿مَن﴾ وقعَ موقعَ الضَّميرِ؛ أي: تُنقِذُه، وجاز لأنَّه هو.

وقيل: تقديرُه: من في النار منهم، فحُذِفَ.

---

(١) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٢١)، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦) عن الكلبي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٩).

وقيل: كلُّ واحدٍ منهما جملةٌ مُستقلّةٌ، وخبرُ المبتدأ الأوَّلِ مُضمَرٌ تقديرُه: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجُو منه؟

وقيل: أفمن حق عليه كلمة العذاب كمَن يهديه الله؟ وحُذِفَ لأنَّ الآيةَ الأولى تدلُّ عليه.

الفرّاءُ: تقديرُ الآيةِ: أفأنتَ تُنقِذُ مَن حقَّتْ عليه كلمةُ العذابِ؟ فلمَّا وقعَ الاستفهامُ غيرَ موقعِه أُعيدَ[1].

❊ ❊ ❊

(٢٠) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾؛ أي: لهم علاليُّ فوقَها علاليُّ، درجاتٌ بعضُها أرفَعُ من بعضٍ؛ ليتخيَّروا منها ما أحبُّوا، ويكونُوا منها حيثُ شاؤُوا.

وقيل: لهؤلاءِ ظُلَلٌ منَ النّارِ ولهؤلاءِ غُرَفٌ في الجنّةِ.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: تحتَ منازلِها.

ويحتمِلُ: منابعُها من تحتِها، وقيل: من جهتِها.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ نصبٌ على المصدرِ، و﴿لَهُمۡ﴾ يدلُّ على (وَعَدَ).

﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٢)، واستغربه.

(٢١) - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يُريدُ: المطرَ، وكلُّ ماءٍ في الأرضِ فأصلُه منَ السَّماءِ.

وقيل: ماءٌ يُنزِلُه الله منَ السَّماءِ إلى الغيمِ، ثمَّ يُنزِلُه منَ الغيمِ إلى الأرضِ.

﴿فَسَلَكَهُۥ﴾: أدخلَه ﴿يَنَٰبِيعَ﴾: جمعُ ينبوعٍ، وهو الماءُ الذي يخرجُ منَ الأرضِ، و﴿يَنَٰبِيعَ﴾ نصبٌ على الحالِ(١).

وقيل: الينبوعُ: الموضعُ الذي يخرجُ منه الماءُ كالعيونِ والآبارِ، فيكونُ نصبًا على الظَّرفِ؛ أي: في ينابيعَ، فيكونُ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفةً لـ﴿يَنَٰبِيعَ﴾.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾: بالماءِ ﴿زَرْعًا﴾ الزَّرعُ: النَّبتُ من غيرِ ساقٍ.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أصنافُه، كالبُرِّ والشَّعيرِ وسائرِ الحبوبِ.

وقيل: ألوانُه منَ الصُّفرةِ والحمرةِ والخضرةِ وغيرِها.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: يتمُّ جفافُه، عن الزَّجَّاجِ(٢).

قال أبو عبيدةَ: هاجَ الرُّطبُ: إذا ذَوَى(٣).

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: يابسًا، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾: رُفاتًا مُتكسِّرًا، وقيل: هالكًا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٧).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٩).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في إنزالِ الماءِ وإخراجِ الزَّرعِ ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذَوي العقولِ.

***

(٢٢) - ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في حمزةَ وعليٍّ وأبي لهبٍ وولدِه، فعليٌّ وحمزةُ رضي الله عنهما ممَّن شرحَ الله صدرَه، وأبو لهبٍ وولدُه هم الذين قسَتْ قلوبُهم عن ذكرِ الله[1].

الكلبيُّ: نزلَتْ في رسولِ الله ﷺ[2].

مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمَّارٍ[3].

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في عثمانَ رضي الله عنه[4].

وفي شرحِ الصَّدرِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الله يبتدِئُ قومًا بأن يشرحَ صدورَهم، وكذلك يُضيِّقُ صدورَ قومٍ ابتداءً، فعلى هذا شرحُ الصَّدرِ قبلَ الإسلامِ.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٦٧٥).

(٣) ذكره عن مقاتل الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٦) عن الثمالي.

(٤) وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢) عن النقاش: أنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأنكرَ بعضُهم وقالوا: الشَّرحُ بعد الإسلامِ، ومعنى شرَحَ صدرَه: وسَّعَ صدرَه للإسلام، فاهتَدَى وملأَ قلبَه بالنُّورِ.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: بيانٍ وبصيرةٍ.

وقيل: النُّورُ: القرآنُ، وهو نورٌ لِـمَن تمسَّكَ به.

وقيل: على معرفةٍ.

والألفُ في أوَّلِ الآيةِ للاستفهامِ، والفاءُ[1] لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينَهما نوعُ اتِّصالٍ، والتَّقديرُ: أفمَن شرحَ الله صدرَه كمَن قسا قلبُه؟ فحُذِفَ لأنَّ قولَه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ يدلُّ عليه.

والقلبُ القاسي: اليابسُ الذي لا ينجَعُ فيه الإيمانُ ولا الوعظُ.

قولُـه: ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قيـل: ﴿مِّن﴾ بمعنـى: عن؛ أي: القاسـي المُعـرِضُ عن ذكرِ الله.

وقيل: القاسي: الخالي من ذكرِ الله، وذكرُ الله: القرآنُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: في خطأ ظاهرٍ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ فـي سـببِ النُّـزولِ: عن سـعدٍ رضي الله عنـه قالوا:

---

(١) قوله: «والفاء» يعني: التي في قوله: ﴿فويل﴾، لا التي في ﴿أفمن﴾.

يـا رسـولَ الله، لو حدَّثتَنـا، فأنـزَلَ الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[١].

والحديثُ: كلامٌ يتضمَّنُ الخبرَ عن حالٍ مُتقدِّمةٍ.

وقيل: سُمِّيَ حديثًا لأنَّه حديثٌ بالنُّزولِ بعدَما تقدَّمَه منَ الكتبِ.

والقرآنُ أحسَنُ الحديثِ لكونِه صدقًا كلُّه.

وقيل: أحسنُ الحديثِ لفصاحتِه وإعجازِه.

وقيل: لأنَّه أكملُ الكتبِ وأكثرُ إحكامًا.

﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يُشبِهُ بعضُه بعضًا في الحججِ والأحكامِ والصِّدقِ والبيانِ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ في الفصلِ وفي الوعظِ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾: يُشبِهُ كتبَ الله المُتقدِّمةَ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾: خيارًا لا حشوَ فيه.

وقيل: هو من قولِه: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ... وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧] فيكونُ صلةً[٢] للقرآنِ.

وقيل: القرآنُ مُتشابهٌ تفسيرُه، وتأويلُه إلى الله، وهذا القولُ ضعيفٌ.

وقيل: ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يُشبِهُ اللَّفظُ اللَّفظَ والمعنى مختلفٌ.

﴿مَّثَانِيَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُمِّيَ مثانيَ لأنَّه يُثنى في التِّلاوةِ، فلا يُمَلُّ لحسنِ مسموعِه[٣].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩).

(٢) في (ف): «صفة».

(٣) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣) عن ابن عيسى، ولعله الصواب.

وقيل: ثُنِّيَتْ فيه القصصُ والأخبارُ وذكرُ الجنَّةِ والنَّارِ.

وقيل: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ و﴿تَلِينُ﴾ تفسيرٌ لقولِه: ﴿مَّثَانِيَ﴾[١].

وقيل: سُمِّيَ مثانيَ لأنَّ فيه السَّبعَ المثاني، وهي الفاتحةُ.

الكلبيُّ: لأنَّ الآيةَ تُثنى بعدَ الآيةِ، والسُّورةَ تُثنى بعد السُّورةِ[٢].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ مرَّتَين؛ فإنَّ معانيَ القرآن كلَّها مُنزلةٌ على الأنبياءِ المُتقدِّمةِ؛ كقولِه[٣] تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩][٤].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: القرآنُ يُفسِّرُ بعضُه بعضًا، ويُرَدُّ بعضُه على بعضٍ[٥].

والمثاني عند القُرَّاءِ[٦]: اسمٌ لكلِّ سورةٍ عددُ آيِها أقلُّ من مئةِ آيةٍ؛ لأنَّها تُثنى أكثرَ ممَّا تُثنى الطِّوالُ والمئونَ.

والمثاني جمعُ مَثْنًى، ومَثْنًى مَفْعَلٌ من ثَنَيتُ، وثنَيتُ مخفَّفٌ ومُثَقَّلٌ بمعنى[٧]، وهو أن يُضيفَ إلى الشَّيءِ مثلَه.

قال ابنُ بحرٍ: لـمّا كانَ القرآنُ مُخالفًا لنظمِ البشرِ ونثرِهم جعل اسمَه بخلافِ ما سمَّوا به كلامَهم على الجملةِ والتَّفصيلِ، فسمَّى جملتَه قرآنًا كما سمَّوا ديوانًا، وكما قالوا: قصيدةٌ وخُطبةٌ ورسالةٌ؛ قالَ: سورةٌ، وكما قالوا: بيتٌ؛ قال: آيةٌ، وكما سُمِّيتِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣).

(٣) في (ف): «لقوله».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٣).

(٦) في (ف): «الفراء»، ولم أجده عند الفراء.

(٧) «بمعنى» من (ف).

الأبياتُ لاتِّفاقِ أواخرِها القوافي، سمَّى الله القرآنَ لاتِّفاقِ خواتمِ الآيِ فيها مثانيَ(١).

﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾: تشمَئِزُّ(٢).

وقيل: تضطرِبُ؛ أي: تقشعِرُّ منَ الوعيدِ والخوفِ، وتلينُ منَ الوعدِ والرَّجاءِ.

وقيل: تقشعرُّ لإعظامِه، وتلينُ عند تلاوتِه.

قتادةُ: هـذا نعتُ أولياءِ الله، نعتَهم بأنْ تقشعرَّ جلودُهم وتطمئِنَّ قلوبُهم إلى ذكرِ الله، ولـم ينعَتْهم بذهابِ عقولِـهم والغشيانِ عليهم، إنَّما ذلك في أهل البدعِ، وهو منَ الشَّيطانِ(٣).

ابنُ جريرٍ: تقشعِرُّ الجلودُ خوفًا ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾ وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قالَ: ﴿جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: ﴿جُلُودُهُمۡ﴾ إلى العملِ بما فيه، ﴿وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: التَّصديقِ به(٤).

وقيل: هذا في أصحابِ رسولِ الله ﷺ، يقولُ: إذا سمِعُوا بنُزولِ سورةٍ منَ القرآنِ اقشعَرَّتْ جلودُهم إشفاقًا من أن نُقِمَ(٥) عليهم ذنبٌ أو أُنكَرَ عليهم فِعلٌ، ثمَّ إذا تُلِيَتْ عليهم لانَتْ جلودُهم وقلوبُهم؛ أي: استسلَموا لِـمَا أمرَ الله فيها(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، وعده من العجائب.

(٢) تشمئز: تنقبض أو تُذْعَر، في «القاموس» (مادة: شمز): اشمأز: انقبض واقشعرَّ، أو ذُعِر.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٣٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٣)، واستغربه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٩٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٣)، واستغربه.

(٥) في (ن): «يُقم».

(٦) روى سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥) عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: «قلت لجدتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرؤوا القرآن؟ قالت: « كانوا كما نعتهم الله عز وجل: =

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكتابِ ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إلى الإيمانِ والثَّوابِ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الاقشِعرارِ واللِّينِ، والمُرادُ باللِّينِ: الاسترسالُ والإسراعُ إلى الطَّاعةِ، فقُوبِلَ الاقشِعرارُ بضدِّه.

***

(٢٤) ـ ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ وذلك أنَّ الكافرَ يُلقَى في النَّارِ مغلولًا، فلا يُمكِنُه أن يقيَ[1] النَّارَ إلا بوجهِه.

وقيل: يُسحَبُ على وجهِه في النَّارِ.

وقيل: النَّارُ تبدأُ بوجهِه إذا دخلَها.

وقيل: يُرمَى فيها مكبوبًا.

وقيل: معناه: لا يُترَكُ أن يَصرفَ وجهَه عن النّارِ.

وقيل: هذا مَثَلٌ للمُقيمِ على كفرِه وقد وُضِّحَتْ له الدَّلائلُ، فيكونُ قولُه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ من صلةِ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ لا من صلةِ الاتِّقاءِ.

ومعنى الآية: أفَمَن يتَّقي بوجهِه سوءَ العذابِ كمَن هو في الرّاحةِ والنَّعيمِ؟

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: جزاءَ فِعلِكم، قيل: تقديرُه: إذا كانَ يومُ القيامةِ وقيلَ للذين ظلَمُوا: ﴿ذُوقُوا۟﴾.

= تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناسًا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان».

(١) كذا في النسختين، والظاهر: «أن يتقي»، والله أعلم.

وقيل: الواوُ للحالِ، و(قد) مُقدَّرٌ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾.

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ قيل: قريشٌ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾؛ أي: لا يعرِفُونَ له مدفعًا ولا مَردًّا.

وقيل: بغتةً، لا يحسُّ بما أتاهُ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: الهوانَ؛ أي: أحسُّوا به إحساسَ الذّائقِ بالمطعومِ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ المُعَدُّ لهم ﴿أَكۡبَرُ﴾ من عذابِ الدُّنيا.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ جوابُ ﴿لَوۡ﴾: لآمَنُوا وأطاعُوا.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾؛ أي: من كلِّ مثلٍ رأينا المصلحةَ في ضربِه، يُريدُ هاهنا تخويفَهم بذكرِ ما أصابَ مَن قبلَهم ممَّن سلكُوا سبيلَهم في الكفرِ ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ قُرۡءَانًا ﴾ حالٌ منَ ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ لأنَّه نكرةٌ، والأوَّلُ معرفةٌ.

﴿عَرَبِيًّا﴾ صفةُ القرآنِ، أو حالٌ لـ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾.

﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: اختلافٍ، وقيل: غيرَ ذي لَبْسٍ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

* * *

(٢٩) - ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدلٌ، وإن شئتَ قلتَ: تقديرُه: مثَلَ رجلٍ، وكذلك الثّاني.

وقيل: ضربُ المثلِ يتعدَّى إلى مفعولين.

﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾؛ أي: كلُّهم يسيءُ خُلقَه في استخدامِه، فهذا يأمرُه بشيءٍ وهذا ينهاه عن ذلك الشَّيءِ.

وقيل: مُتشاكِسُونَ: مُتنازِعُونَ فيه.

وقيل: يتضايَقُونَ، من قولِهم: رجلٌ شَكِسٌ.

وقيل: مُتظالِمونَ، من قولِهم: شَكَسَني مالي؛ أي: ظلَمَني فيه.

﴿ورَجُلاً سَالِمًا لِرَجُلٍ﴾: خالِصًا له[1] من غيرِ شركةٍ، وكذلك ﴿سَلَمًا﴾[2]؛ أي: ذا سَلَمٍ، وهو الخلوصُ أيضًا.

والمعنى: مَن عبدَ آلهةً شتَّى فهو مدفوعٌ إلى طلبِ رِضَا جماعةٍ، ومَن عبدَ الله سُبحانَه وحدَه فهو كعبدٍ لواحدٍ، وليس طلَبُ رِضَا واحدٍ كطلبِ رِضا جماعةٍ

---

(١) «له»: ليست في (ف).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿سالِماً﴾ بألف بعد السِّين وَكسر اللاَّم، وقرأ الباقون: ﴿سَلَماً﴾ بِفَتْح السين واللَّام من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

مُختلفين، ولو كانَ الحقُّ هذا وعدَلُوا إلى واحدٍ لكانوا أعذَرَ منهم، وقد عدَلُوا عن الواحدِ إلى جماعةٍ.

وقيل: هذا مثَلٌ للكفّارِ؛ أي: لا ينتَفِعونَ بعبادةِ الله حيثُ أشرَكُوا، وليسوا كمَن أخلَصَ.

قتادةُ: هو المُشركُ تنازَعَتْه الشَّياطينُ[1].

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ وحَّد والقياسُ التثنيةُ؛ لأنَّهما معًا ضُرِبا مثلًا.

وقيل: ﴿مَثَلًا﴾ صفةُ استفهامٍ معناه الإنكارُ؛ أي: لا يستويانِ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: له الحمدُ كلُّه دونَ غيرِه منَ المعبودينَ.

وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على أنْ لا يأمرُهم بعبادةِ غيرِه، فكان يصيرُ حالُهم كحالِ العبدِ المشترَكِ الذي يحتاجُ[2] أن يخدمَ جماعةً، ويطلُبَ رِضا قومٍ مختلفين.

وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على احتجاجِه بالمثَلِ الذي خَصَمَ المُشركينَ به.

وقيل: تقديرُه: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرًا على ذلك.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ موقعَ هذه النِّعمةِ.

وقيل: لا يعلَمون بالمثلِ المضروبِ، وبأنَّ الله سبحانَه هو الإلهُ المعبودُ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ قيل: المراد التحذيرُ، فإن هذا أمر معلوم عندَ المُقِرِّ والجاحدِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٨).

(٢) بعدها في (ف): «إلى».

وقيل: ذُكِرَ حثًّا على الطّاعةِ والاستعدادِ للموتِ.

وقيل: إعلامًا أنَّ الخَلْقَ فيه سواءٌ.

وقيل: لئلّا يختلِفُوا في موتِ النَّبيِّ ﷺ كما اختلَفُوا في غيرِه منَ الأنبياءِ.

وقيل: المُرادُ به ذكرُ الاختصامِ.

وقيل: لمَّا قال الكفّارُ: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] أنزَلَ الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ والمعنى: إنَّكَ ستموتُ وإنَّهم سيموتُونَ، وسمَّاه ميتًا بما يَؤُولُ إليه.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (مائِتٌ)(١).

* * *

(٣١) - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: تتكلَّمونَ بحُجَّتِكُم: الكافرُ مع المؤمنِ، والظَّالـمُ مع المظلومِ، والصَّادقُ مع الكاذبِ.

وقال ابنُ عمرَ وأبو العاليةِ: الاختصامُ بينَ أهلِ الملَّةِ، وذلك في الدِّماءِ والمظالـمِ التي بينَهم(٢).

ورَوَى الرَّقاشيُّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قيلَ له: فيمَ الخصومةُ؟ فقال: «في الدِّماءِ»(٣).

---

(١) نسبت لابن الزبير وابن محيصن وعيسى وابن أبي إسحاق. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٢) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٧٨) (١٣٨٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٩) وصححه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٣): «رواه الطبراني ورجاله ثقات». وسيأتي الخبر عن أبي العالية بهذا قريباً.

(٣) رواه عبد بن حميد عن الفضل بن عيسى الرقاشي كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٦) وهو مرسل. ووقع لفظه في (ن): «في الدماء في الدنيا»، و«في الدنيا» ليست في (ف) ولا في المصدر.

وقال أبو العاليةِ: قلتُ له[١]: قالَ الله: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾، كيف هـذا؟ قال: قولُه: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ لأهلِ الشِّركِ، وقولُه: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾ لأهلِ الملّةِ في المظالـمِ التي بينَهم.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في القيامةِ مواطنُ، فهم يختَصِمونَ في بعضِها ويسكتونَ[٢] في بعضِها[٣].

ورُوِيَ أنَّه قال: لمَّا نزلَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾: قالتِ الصَّحابةُ: ما خُصومَتُنا[٤] ونحن إخوانٌ؟ فلمَّا قُتِلَ عثمانُ رضي الله عنه قالوا: هذه خُصومَتُنا بينَنا[٥].

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ إثباتٌ وتقويةٌ لقولِه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾؛ إذ لو لم يكُنِ اختصامٌ لَـمَا قالَ: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ﴾. والله أعلَمُ[٦].

***

---

(١) قوله: «وقال أبو العاليةِ: قلتُ له» كذا في النسختين، وهو وهم من المؤلف رحمه الله، والصواب: «عن الربيع بن أنس قال: قلت لأبي العالية»، كذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٢)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠١).

(٢) في (ف): «ويسكنون».

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧١٠). وذكر معناه البخاري تعليقًا مجزوماً به قبل حديث (٤٩٣٠).

(٤) في (ف) زيادة: «بيننا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٢)، واستغربه، وقال: «وجه حسن».

(٣٢) ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: أظلَمُ على نفسِه.

وقيل: أضرُّ بنفسِه.

وقيل: لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: وصفَه بغيرِ صفاتِه، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالقرآنِ، أو كذَّبَ النَّبيَّ ﷺ بسببِ ما جاءَ منَ القرآنِ.

وقيل: ﴿بِٱلصِّدْقِ﴾؛ أي: بالصَّادقِ؛ يعني: محمدًا ﷺ(١).

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ استفهامُ تقريرٍ؛ أي: أليسَ هذا الكافرُ يستحقُّ الخلودَ في النّارِ؟

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ قيل: هو جبريلُ عليه السَّلامُ، والصِّدقُ: القرآنُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: حفظةُ القرآنِ إلى يومِ القيامةِ.

وقيل: ﴿الَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ﴾ محمَّدٌ ﷺ، والصِّدقُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾: هو محمَّدٌ ﷺ أيضًا.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾: يعني: أبا بكرٍ رضي الله عنه(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٦)، وذكره =

وقيل: جميعُ المؤمنينَ.

وقيل: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ عامٌّ في جميعِ المُؤمنين.

والوجهُ في العربيَّةِ: أن يكونَ ﴿جَآءَ﴾ و﴿صَدَّقَ﴾ لفاعلٍ واحدٍ؛ لأنَّ التَّغايُرَ يستَدعي إضمارَ (الذي)، وذلك غيرُ جائزٍ، أو إضمارَ الفاعلِ من غيرِ تقدُّمِ الذِّكرِ، وذلك بعيدٌ[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ ذُكِرَ بلفظِ الجمعِ لأنَّ ﴿الذي﴾ يجري مَجرى (مَن)، فحُمِلَ على المعنى.

وقيل: أرادَ: (الذين) فحُذِفَ، وقد سبقَ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾؛ أي: ما يتمنَّونَ في الجنَّةِ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: ثوابُ المُوحِّدين.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: ليغفرَ الله لهم ﴿أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾؛ أي: الكفرَ بالتَّوحيدِ، والمعاصيَ بطاعتِهم.

﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم﴾: ويُعطيَهم ثوابَهم ﴿بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: بسببِ إيمانِهم.

وقيل: يجزيهم بالمحاسنِ ولا يجزيهم بالمساوئِ.

وقيل: أسوأَ الذي عملُوا: قبلَ الإيمانِ، وأحسنَ الذي عملُوا: في الإيمانِ.

= الثَّعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٠١٤)، واستغربه.

واللَّامُ في قولِه: ﴿لِيُكَفِّرَ﴾ قيل: متَّصلٌ بالمُحسنينَ.

وقيل: بالجزاءِ؛ أي: جزاهُم كي يُكفِّرَ.

* * *

(٣٦) - ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ محمَّدًا ﷺ، ومَن قرأ بالجمعِ[1] فالمُرادُ به محمَّدٌ وجميعُ[2] الأنبياءِ عليهم السَّلامُ.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ كانوا يُخوِّفونَ النَّبيَّ ﷺ بأنْ ينالَه من آلهتِهم مكروهٌ.

وقيل: نزلَ في شأنِ خالدِ بنِ الوليدِ وقد أنفذَه رسولُ الله ﷺ لكسرِ العُزَّى، فقال له سادِنُها: أُحَذِّرُكَها يا خالدُ؛ فإنَّ بأسَها شديدٌ[3]. ونُزِّلَ تخويفُ خالدٍ تنزيلَ تخويفِ النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ أي: من أضلَّه عن طريقِ الرَّشادِ فلا يهديه غيرُه.

وقيل: مَن أضلَّه عن طريقِ الجنَّةِ.

وقيل: الإضلالُ: الخذلانُ.

* * *

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

(٢) في (ف): «وسائر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥١)، عن قتادة.

(٣٧) ـ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾.

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ لا يخذُلُه أحدٌ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ في ملكِه ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ من عدوِّه؟

***

(٣٨) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فسألَهم النَّبيُّ ﷺ عن ذلك، فقالوا: الله خلقَها، فقالَ الله لمُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أصابَني الله ببلاءٍ ومرضٍ وضيقِ معيشةٍ ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعودُ إلى معنى ﴿ما﴾ ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: دافِعاتُ شِدَّتِه عنِّي.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾: نعمةٍ وصحّةٍ ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾: هل الأصنامُ تدفعُ عنِّي ذلك؟

فسألَهم النبيُّ ﷺ فسكَتُوا، فقالَ الله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ فهو يقيني من شرِّها.

التَّنوينُ والإضافةُ(١) بمعنًى لأنَّها للاستقبالِ، و﴿هَلْ هُنَّ﴾ في موضعِ المفعولِ الثَّاني لـ﴿أرأيتُم﴾.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾: به يثِقُ الواثقونَ.

***

---

(١) قرأ أبو عمرو (كاشفاتٌ ضرَّه) و(ممسكاتٌ رحمتَه)، وقرأ الباقون بالإضافة. انظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على ناحيَتِكُم.

وقيل: على قُدرَتِكُم وما يُمكِنُكم، مصدرُ مَكُنَ مَكانةً.

وقيل: على شِركِكُم.

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على مَكانَتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يُهينُه؛ أي: في القيامةِ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائمٌ لا يُفارِقُه(١).

قيل: هذا تهديدٌ.

وقيل: منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

* * *

(٤١) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿لِلنَّاسِ﴾: لجميعِ النّاسِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بسببِ الحقِّ ليعملَ به، وقيل: بالخبرِ عمّا هو حقٌّ وكائنٌ.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ إلى الحقِّ ولزِمَه ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفعُ ذلك.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: فارَقَ الحقَّ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: فوَبالُ ذلك عليه(٢).

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: بمُسلَّطٍ تحمِلُهم على الإيمانِ، إنَّما عليك البلاغُ.

---

(١) في (ف): «يفارق».

(٢) في (ف): «على نفسه».

(٤٢) ـ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾؛ أي: الله يتوفَّى الأنفُسَ مرَّتين؛ مرَّةً حين موتِها، ومرَّةً حينَ نومِها، فيكونُ متعلقًا بـ﴿يَتَوَفَّى﴾.

قال الفرَّاءُ: ﴿فِى﴾ مُتعلِّقةٌ بالموتِ على تقديرِ: ويتوفَّى التي لـم تمُتْ في منامِها عند انقِضاءِ حياتِها(١). والأوَّلُ أظهرُ.

والتي تُفارِقُ حينَ(٢) الموتِ هي ما يمتازُ الميِّتُ عن الحيِّ به، وهي نفسُ الحياةِ، فيُمسِكُها عن الجسدِ.

والتي تُفارِقُ عندَ(٣) النَّومِ هي ما يمتازُ به النّائمُ منَ اليقظانِ، وهي نفس التَّمييزِ والعقلِ، فيُرسِلُها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

وقيل: يقبضُ أنفسَ الأحياءِ والأمواتِ، فيُمسِكُ أنفسَ الأمواتِ، ويُرسِلُ أنفُسَ الأحياءِ من غيرِ غلطٍ.

ويحتمِلُ: أنَّ التَّوفِّيَ الأوَّلَ إماتةٌ؛ كقولِه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، وأنَّ الثَّانيَ إنامةٌ كقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٥)، واستغربه.

(٢) في (ف): «عند».

(٣) في (ف): «حين».

ورُوِيَ أنَّ في التوراةِ: يا ابنَ آدمَ، كما تنامُ تموتُ، وكما تستيقظُ تُبعَثُ[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما تقدَّمَ ﴿لَآيَٰتٍ﴾: لدلالاتٍ على البعثِ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٤٣) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ في ﴿أم﴾ أقوالٌ:

قال بعضُهم: هي المُعادِلةُ لهمزةِ الاستفهامِ، وتقديرُه: أَعَبَدُوا الأوثانَ لأنَّها خلَقَتِ الكائناتِ، أم لأنَّها تدفعُ المكروهَ، أم لأنَّها تشفعُ لهم.

وقيل: هي عديلةُ الألفِ في قولِه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقيل: هو جوابُ لِمَا في قولِه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: هل يتفكَّرونَ في ذلك فيُقِرُّونَ بالبعثِ أم يزعُمونَ أنَّ مع الله غيرَه له شفاعةٌ؟

والشَّفيعُ: هو الذي يَصيرُ الطَّالبُ به شفعًا، مأخوذٌ منَ الشَّفعِ.

وقيل: الشَّفيعُ: هو الأَولى بالشَّيءِ، كشفيعِ الدَّارِ والعَقارِ[2].

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَوَلَوْ﴾ تقرير؛ أي: كيفَ تُرجَى الشَّفاعةُ ممَّن لا يملكُ شيئًا ولا يعقلُ؟

وقيل: هؤلاءِ قومٌ عبَدوا ما يَعقلُ، فقيل لهم: الأمرُ فيما يَعقلُ والجمادِ سواءٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٦)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٦)، واستغربه.

(٤٤) ـ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ فلا يَشفعُ ولا يملكُ أحدٌ الشَّفاعةَ إلّا بإذنِه، وانتصبَ ﴿جَمِيعٗا﴾ على الحالِ، وليس بتأكيدٍ؛ لأنَّه لو كان تأكيدًا لقالَ: جمعًا.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

***

(٤٥) ـ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ إذا قيلَ: لا إلهَ إلا الله، وقيل: إذا قُرِئَ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: انقبَضَتْ، وقيل: استكبَرَتْ، وقيل: نفَرَتْ، وقيل: أَنِفَتْ.

وانقبَضَتْ أحسنُ؛ ليقعَ في مقابلةِ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾؛ لأنَّ الاستبشارَ: انبساطُ الوجهِ، والاشمِئزازَ: التَّقبُّضُ.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: الأوثانُ ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ هذا كانَ يومَ قرأ عليه السَّلامُ سورةَ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وذكرَ آلهتَهم فاستبشَروا.

ويُقالُ: إنَّه سُمعَ في تلكَ[1] المحفلِ: «تلكَ الغَرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعتَهُنَّ لتُرتَجَى» فاستبشَرُوا[2].

---

(١) كذا في النسختين، والظاهر أنه يجب أن يكون «ذلك».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٨٠)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢١٨)، وتقدم الكلام على قصة الغرانيق في تفسير سورة (الحج).

(٤٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السِّرِّ والعلانيةِ، وما غابَ عن العبادِ وما لـم يغِبْ، وما مضَى وما هو كائنٌ.

﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ﴾؛ أي: تقضي بينَهم في الآخرةِ.

وقيل: خبرٌ معناه الدُّعاءُ.

وقيل: هذه مُحاكمةٌ منَ النَّبيِّ ﷺ للمُشركينَ إلى الله.

و﴿فَاطِرَ﴾ نصبٌ على النِّداءِ؛ أي: يا فاطرَ السَّماواتِ، وليس بوصفٍ لقولِه: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾.

وذهبَ المُبرِّدُ والفرَّاءُ إلى أنَّه وصفٌ لله(١).

﴿فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾؛ أي: في الدِّينِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ والهاء تعودُ إلى ﴿مَا﴾ ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ﴾: شدَّةِ العذابِ ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لو كان يُخلِّصُهم ذلك.

وقيل: لا يُقبَلُ منهم ذلك.

﴿وَبَدَا لَهُم﴾: ظهرَ لهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ في الدُّنيا أنَّه نازلٌ بهم؛ أي: ظنُّوا أنَّ لهم ثوابًا على حسناتِهم، فلم تنفَعْهم حسناتُهم مع الشِّركِ بالله.

---

(١) انظر: «المقتضب» (٤/ ٢٣٩). ولم أجده في «معاني القرآن» للفراء.

وقيل: لأنَّهم كانوا يُنكِرونَ البعثَ.

والاحتِسابُ: الاعتِدادُ بالشَّيءِ من جهةِ دُخولِه فيما يَحْسُبُه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: عقابُ ذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أحاطَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

* * *

(٤٩) ـ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ﴾: أصابَ ﴿الْإِنسَانَ﴾ الكافرَ عامٌّ. وقيل: أبا جهلٍ[1]. وقيل: أبا حُذَيفةَ بنَ المُغيرةِ[2].

﴿ضُرٌّ﴾: بلاءٌ وشِدّةٌ ومرضٌ.

﴿دَعَانَا﴾: أَخلَصَ في الدُّعاءِ.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أعطَيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: صحّةً؛ أي: بدَّلنا ذلك.

والتَّخويلُ: الإعطاءُ على غيرِ جزاءٍ.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: بفضلِ علمٍ عندي كسبتُه.

وقيل: بعِلمي وحيلَتي وكِياسَتي توصَّلتُ إليه.

وقيل: على علمٍ منِّي بالدَّواءِ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٩٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٤٩٦).

وقيل: على علمٍ منَ الله أنِّي أستحِقُّه.

وقيل: على علمٍ يرضاهُ منِّي.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: التي خوَّلناها إيَّاه فتنةُ بلاءٍ واختبارٍ لننظُرَ أيشكُرُ أم يكفُرُ.

وقيل: بل هي الشِّدَّةُ والضُّرُّ.

وقيل: مقالتُه؛ لأنَّه يُعذَّبُ عليها.

ابنُ بحرٍ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذابٌ؛ لأنَّه أضافَه[1] إلى غيرِ مُوْلِيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّها فتنةٌ، وقيل: لا يعلمُونَ أنَّها منَ الله.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿قَدْ قَالَهَا﴾؛ أي: هذه المقالةَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قارونَ، حيثُ قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: لم ينفعْهُم مالُهم، وقيل: عبادتُهم الأوثانَ.

* * *

(٥١) ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ﴾ جزاؤه.

وقيل: سُمِّي (سيِّئةً) للازدِواجِ، كقولِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) في (ن): «أضاف».

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفَرُوا ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: من كُفَّارِ أمَّتِكَ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ مثلَ ما أصابَهم.

﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائِتين من عذابِ الله.

***

(٥٢) ـ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُ ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقُ.

وقيل: يجعلُه على قَدْرِ القُوتِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] بأنَّ الرِّزقَ منَ الله، لا كمَن قالَ: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨].

***

(٥٣) ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[2] في سببِ النُّزولِ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أهلِ مكّةَ، قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَن عبدَ الأوثانَ وقتلَ النَّفسَ التي حرَّمَ الله لن يُغفَرَ له، ونحنُ قد عبَدْنا الأوثانَ وقتَلْنا الأنفُسَ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[3].

---

(١) في هامش (ن) عند ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: «العلامات لوحدانيتي» وعند ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: «أي: يصدقون بتوحيدي».

(٢) في هامش (ن): «قال ابن مسعود رضي الله عنه: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٤).

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عيَّاشِ بن أبي ربيعةَ، والوليدِ بنِ الوليدِ، ونفرٍ من المسلمين أسلَمُوا، ثمَّ عُذِّبوا فارتَدُّوا، فنزلَتْ فيهم، قالَ: وكانَ عمرُ رضي الله عنه كاتبًا، فكتبَها إلى عيَّاشٍ والوليدِ وإلى أولئك النَّفرِ، فأسلَمُوا وهاجَرُوا[١].

وقيل: نزلَتْ هذه الآياتُ بالمدينةِ في الوحشيِّ[٢]، وقد سبقَ.

والمعنى: يا عباديَ الذينَ أسرَفُوا على أنفُسِهم بالذُّنوبِ[٣] ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٤]: لا تيأَسُوا من مغفرةِ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥] قيل: يغفِرُها بالعفوِ عنها جميعًا[٦] إلا الشِّركَ.

وقيل: يغفِرُها بالتَّوبةِ منها.

وقيل: يغفِرُ الصَّغائرَ باجتنابِ الكبائرِ[٧].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ما أُحِبُّ أنَّ لي الدُّنيا وما فيها بهذه الآيةِ»[٨].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٥٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٣١٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٦١): «رواه البزار، ورجاله ثقات».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٣٨).

(٣) في هامش (ن): «أي: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي. أبو السعود».

(٤) في هامش (ن): «أي: من مغفرته وقبول التوبة إذا تبتم».

(٥) في هامش (ن): «قال رجل: يا رسول الله، ومَن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: إلا من أشرك، ثلاث مرات. قاضي».

(٦) في (ف): «جميعها».

(٧) في هامش (ن): «أي: الكبائر وغيرها».

(٨) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٨)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٤): «فيه ابن لهيعة عن أبي قبيل وهما ضعيفان».

(٥٤) ـ ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾: تُوبوا إليه والتَمِسُوا رحمتَه ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾: وانقادُوا له بالطّاعةِ فيما يأمرُكم به، وقيل: أخلِصُوا له ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

قيل: هذه الآيةُ مُتَّصلةٌ بما قبلَها.

وقيل: الكلامُ قد تمَّ على الآيةِ الأولى، ثمَّ خاطبَ الكفّارَ بهذه الآيةِ فقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾.

***

(٥٥) ـ ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾: المأمورُ دونَ المنهيِّ عنه.

وقيل: النّاسخُ دون المنسوخِ. وزيَّفَه بعضُهم.

وقيل: العزائمُ دونَ الرُّخصِ.

وقيل: العفوُ دونَ القِصاصِ.

وقيل: أحسنُ ما أُنزِلَ إليكم القُرآنُ، فيه ذِكرُ القبيحِ ليُجتَنَبَ منه، وذِكرُ الأدوَنِ ليُرغَبَ عنه، وذِكرُ الأحسنِ ليختارَه، وقد سبقَ.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾: فجأةً، وقيل: الموتُ فتقَعُوا[1] في العذابِ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

---

(١) في (ف): «فيقعون».

(٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: كراهةَ أن تقولَ نفسٌ.

وقيل: لأَنْ لا تقولَ نفسٌ.

وقيل: قبلَ أن تقولَ نفسٌ.

وقيل: احذَرُوا أن تقولَ نفسٌ.

﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ الألفُ بدلٌ من ياءِ المُتكلِّمِ.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: قصَّرْتُ، والتَّفريطُ: إهمالُ ما ينبَغي أن يُقدَّمَ.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: في أمرِ الله، قال:

أمـــا تتَّقــينَ اللهَ في جنـــبِ عاشـــقٍ ... له كبـــدٌ حـــرَّى عليـــكِ تقَطَّـــعُ[1]

الحسنُ: في ذاتِ الله[2].

وقيل: في ذكرِ الله.

وقيل: في قُربِ الله منَ الجنّةِ، من قولِه: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

ابنُ عيسى: في طاعةِ الله[3].

الزَّجَّاجُ: في طريقِ الله الذي دعاني إليه[4].

ابنُ بحرٍ: الأمرُ كلُّه يتشعَّبُ طريقَين: هدًى وضلالٌ، فكلُّ واحدٍ منهما جانبٌ وجَنْبٌ؛ أي: في جانبِ هُدى الله[5].

---

(١) البيت لكثير. انظر: «ديوان كثير» (ص: ١٧٧)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ١٢٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٩٧) عن الحسن، وكذا السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٥) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٣) بلا نسبة.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: المُستهزِئين بالقرآنِ والنَّبيِّ والمؤمنين.

قتادة: لـم يكفِهم ما ضيَّعوا من أمرِ الله وطاعتِه حتَّى سخِرُوا مـمَّن أطاعَ الله[1].

* * *

(٥٧) ـ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: مرَّةً تقولُ هذا، ومرَّةً تقولُ ذلك.

وقيل: إنَّ قوماً يقولُ ذلك، وقومًا يقولُ هذا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أخبر الله عمَّا سيقوله الكفار ويفعلونه[2].

والمعنى: لو أرشدَني إلى دينِه لكنتُ منَ المتَّقين الذين يتَّقونَ الشِّركَ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا كذبٌ منهم؛ لقولِه: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المعنى: لو أنَّ الله هداني وردَّني إلى دارِ التَّكليفِ مرَّةً أُخرى لكنتُ منَ المُتَّقين؛ لقولِه:

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المُوحِّدين.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ﴾؛ أي: يُقالُ لهذا القائلِ: قد جاءَتْكَ ﴿ءَايَٰتِى﴾ يعني: القرآنَ ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٦) بلفظ: «أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ إلى قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يقول: من المهتدين».

ورَوَتْ أمَّ سلمةَ عن النَّبيِّ ﷺ: (بلى قد جاءَتْكِ.. فكذَّبْتِ.. واستكبَرْتِ وكُنْتِ)[(١)]؛ بالتَّأنيثِ خطابًا للنَّفسِ.

***

(٦٠) ـ ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بأنَّ له ولدًا وصاحبةً وشريكًا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما ينالُهم من لفحِ النّارِ.

وقيل: هو من قولِه: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

و﴿وُجُوهُهُم ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، و﴿مُّسْوَدَّةٌ ﴾ الخبرُ، والجملةُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، وحُذِفَ واوُ الحالِ اكتفاءً بالضَّميرِ العائدِ منها؛ أي: ذي الحالِ.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾: منزلًا ومقامًا ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان.

***

(٦١) ـ ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ المَفازُ والمَفازةُ كالمكانِ والمكانةِ، وهي المَفعلةُ منَ (الفوزِ) مصدرًا، ومَن جمعَ[(٢)] فلاختلافِ أجناسِهما.

والمعنى: بما استحَقُّوا منَ الفوزِ.

وقيل: بإيمانِهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٩٠)، وقال: «هذا مرسل، الربيع لم يدرك أم سلمة»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٨)، واستغربه.

(٢) أي: قرأ (مفازاتهم) بالجمع، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«المبسوط» (ص: ٣٨٥).

وقيل: بأعمالِـهم.

وقيل: باجتِنابِهم منَ الذُّنوبِ والمعاصي.

والباءُ للسَّببِ، وقيل: هي التي تجري مَجرى الآلةِ ـ تعالى الله ـ؛ أي: بالذي يليقُ بهم.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: النّارُ، ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾؛ لأنَّهم نالُوا ما أرادوا.

والمعنى: لا يمسُّ أبدانَهم أذًى، ولا قلوبَهم حُزنٌ.

وقال الماورديُّ: بما سلَكوا مفاوزَ الطَّاعاتِ الشَّاقَّةِ من مفازةِ السَّفرِ[1]، وهو ركيكٌ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ردٌّ على الثَّنَويَّةِ.

ابنُ الهيصَمِ: أي: كلُّ شيءٍ بائنٌ منه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾: حافظٌ، وقيل: كفيلٌ بأرزاقِهم.

* * *

(٦٣) ـ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: مفاتيحُها، واحدُها: مِقْليدٌ ومِقْلَدٌ.

وقيل: إقليدٌ.

وقيل: لا واحدَ لها من لفظِها.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ١٣٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٩)، واستغربه.

وقيل: المِقليدُ: المِفتاحُ، والقُفْلُ أيضًا، تقولُ: أقلَدَ بابَه؛ إذا أغلَقَه وإذا فتحَه.

وقيل: (إقليدٌ) مُعرَّبٌ من قولِـهم: (إكليد) بالفارسيّةِ[1].

وقيل[2]: ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائِنُها؛ فمقاليدُ السَّماواتِ: الأمطارُ، ومقاليدُ الأرضِ: النَّباتُ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مقاليدُ السَّمواتِ والأرضِ: لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه، وأستغفِرُ اللهَ، ولا حولَ ولا[3] قوّةَ إلا باللهِ، الأولِ والآخرِ والظّاهرِ والباطنِ، يُحيي ويُميتُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»[4].

والمعنى: لا ينزلُ منَ السَّماءِ ملَكٌ ولا قطرةٌ ولا ينبُتُ منَ الأرضِ نباتٌ إلّا بإذنِه.

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٩)، واستغربه.

(٢) «قيل»: ليست في (ف).

(٣) «حول ولا»: ليست في (ف).

(٤) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١١٧)، عن عثمان رضي الله عنه. وضعفه العقيلي بأغلب بن تميم المسعودي.

ورواه مطولًا بزيادة فيه يوسف القاضي في «سننه» وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣١)، والدينوري في «المجالسة» (٢٩٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٤) وغيرهم.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٢): «غريب جدًّا، وفي صحته نظر».

وقال المنذري كما نقل البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٨٨): «فيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».

ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢) عن ابن حجر قوله: «عندي أنه منكر من جميع طرقه، وأما الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جحدُوا قُدرتَه على ذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

(٦٤) - ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: قل لهم بعد هذا البيانِ: أفغيرَ الله ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بتوحيدِ الله؟! وذلك أنَّ قُريشًا دعَتْه إلى دينِ آبائِه.

* * *

(٦٥) - ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذا أدَبٌ منَ الله لنبيِّه وتهديدٌ لغيرِه؛ لأنَّ الله عصمَه منَ الشِّركِ ومُداهنةِ الكفّارِ[1].

وقيل: معناه: هذا حالُكَ فكيفَ حالُ غيرِكَ؟

وقيل: خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ به غيرُه، وتقديرُه: ولقد أُوحِيَ إليك وأُوحِيَ إلى الذين من قبلِكَ بمثلِ ذلك، فأخبرَ عن الأوَّلِ وكفَّ عن الثّاني.

ومعنى ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: ليَفْسُدَنَّ، من قولِهم: حبِطَ بطنُه؛ إذا فسدَ من داءٍ معروفٍ، وقد سبق.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بالمصيرِ إلى العقوبةِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٥).

قُـرِئَ: ﴿تأمرونَنـي﴾ علـى الأصـلِ، و﴿تَـأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بالإدغـامِ، و﴿تأمرونـي﴾ بالحـذفِ تخفيفًـا[1]، وقد سـبقَ لـه نظائرُ.

و(غيرَ) منصوبٌ من وجهَينِ:

أحدُهما: بـ﴿أَعۡبُدُ﴾ على تقديرِ: أَأَعْبدُ غيرَ الله فيما تأمرونَني.

والثّاني: بـ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ وتقديرُه: أتأمرونَني بغيرِ الله؛ أي: بعبادةِ غيرِ الله، و(أنْ) مُقدَّرٌ مع ﴿أَعۡبُدُ﴾، وهما بدلٌ من (غيرَ)، و(غيرَ) المفعولُ الثّاني، والياءُ المفعولُ الأوَّلُ، ولا يجوزُ أن ينتصبَ بـ﴿أَعۡبُدُ﴾ على هذا التَّقديرِ؛ لأنَّ (أنْ) المُقدَّرةَ مع الفعلِ في تأويل المصدرِ، ولا يتقدَّمُ عليه ما في صلتِه، وأجازَ ذلك قومٌ فقالوا: لـمَّا حُذِفَ (أن) بطلَ حكمُه، وهذا فاسدٌ عندَ الحذَّاقِ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ وَحِّدْه وأَطِعْه ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامَه عليك.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾؛ أي: ما وصَفُوه بوصفِه الذي يجبُ له، وما عظَّموه حقَّ عظمتِه، والقَدْرُ والقَدَرُ في اللُّغةِ: ما عليه الشَّيءُ من مُساواةٍ أو زيادةٍ أو نُقصانٍ،

(١) قرأ ابن عامر بنونين الأولى مفتوحة، ونافع بواحدة مخفَّفة، والباقون بواحدة مشدَّدة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

فكأنَّه قال: ما أعطَوه في الوصفِ ما استحَقَّه، وما قدَّرُوا فيه التَّقديرَ الذي هو حقُّ التَّقديرِ فيه.

في سببِ النُّزولِ: عن الأعمشِ عن علقمةَ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ من أهلِ الكتابِ وقال: يا أبا القاسمِ، بلغَكَ أنَّ الله يحملُ الخلائقَ على إصبعٍ، والأرضَ[1] على إصبعٍ، والسَّماءَ على إصبعٍ، والبحورَ على إصبعٍ، والثَّرى على إصبعٍ؟ فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نواجِذُه، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[2].

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القَبضةُ: تُذْكَرُ والمُرادُ بها: ما قبضْتَه عليه[3] بجَمْعِ كفِّكَ، وتُذْكَرُ والمُرادُ بها: ما في تصرُّفِكَ، كما يُكتَبُ في الشُّروطِ: وصارتِ الدّارُ في ملكِه وقبضَتِه، والتي في الآيةِ منها؛ لأنَّ المُرادَ بها شدَّةُ التَّمكُّنِ من ملكِ الشَّيءِ، والمُبالغةِ في القدرةِ على التَّصرُّفِ فيه تصرُّفَكَ في الشَّيءِ الحاصلِ في الكفِّ.

وقيل: المُرادُ به قولُه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قولُه: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قيل: بقُدرتِه وقُوَّتِه، من قولِ الشّاعرِ:

تلقَّاهــا عَرابــةُ باليمــينِ[4]

وقيل: بقَسَمِه؛ لأنَّه حلفَ أنَّه يطويها ويُفنيها[5].

---

(١) في (ف): «والأرضين».

(٢) رواه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) كذا في النسختين، ولو كان «ما قبضته بجمع كفك» أو «ما قبضت عليه بجمع كفك» لكان أظهر، والله أعلم.

(٤) عجز بيت للشماخ، وتقدم عند تفسير الآية (٩٣) من سورة (الصافات)، وصدره:

إذا مــا رايــةٌ رُفِعَــتْ لِمَجْــدِ

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٠)، واستغربه.

وقيل: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: بيدِه، ولله يدانِ كلتاهُما يمينانِ، وهذا جوابُ اليهودِ حين قالوا: يدُ الله مغلولةٌ.

وقيل: مِلكُه، من قولِـهم: ملكُ اليمينِ.

ومعنى ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾: مُستَولًى عليها استيلاءَكَ على الشَّيءِ المطويِّ عندَك وبيدِك.

وقيل: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ يومَ القيامةِ، من قولِه: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: والأرضُ جميعًا قبضتُه، والسَّماواتُ مطويّاتٌ بيمينِه يومَ القيامةِ.

والمذهبُ والمُعتقَدُ في هذا وأمثالِه: التَّنزيهُ عن التَّشبيهِ والوصفِ بالجسمِ والعَرَضِ والكيفِ والكمِّ والزَّمانِ والمكانِ.

وما رواه المُفسِّرونَ في هذه الآيةِ فكلُّها مُؤَوَّلٌ:

من ذلك ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه قالَ: ما السَّماواتُ السَّبعُ والأَرضونَ السَّبعُ في يدِ الله إلا كخردلةٍ في يدِ أحدِكُم[1].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزَّهَ نفسَه عمَّا لا يليقُ به منَ الصِّفاتِ.

ونصبُ ﴿جَمِيعًا﴾ على الحالِ، كما تقولُ: هذا بُسْرًا أطيبُ منه رُطَبًا.

***

(٦٨) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ الأكثرونَ على أنَّه قرنٌ يَنفخُ فيه إسرافيلُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٤٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٣٧).

وقال بعضُهم: الصُّورُ والنَّاقورُ واحدٌ.

وقال بعضُهم: الصُّورُ جمعُ صورةٍ. وقد سبقَ.

وقيل: هذا مثَلٌ للنُّزولِ والرَّحيلِ.

وقيل: إنَّه علامةٌ ليَتصوَّرَ العقلُ آخرَ الأمرِ، ثمَّ تجديدَ الخلقِ.

قال الكلبيُّ: لا أدري ما هو.

والنَّفخةُ اثنتانِ؛ الأولى للموتِ، والثّانيةُ للبَعثِ، وبينَهما أربعونَ سنةً.

الحسنُ: بينهما أربعونَ، ولم يُفسَّر[1].

والأكثَرون على أنَّه ثلاثُ نفخاتٍ؛ الأولى للفزَعِ، والثّانيةُ للموتِ، والثّالثةُ للإعادةِ.

﴿فَصَعِقَ﴾ الحسنُ: ماتَ[2]. وقيل: ماتَ بحالٍ هائلةٍ شديدةٍ.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ جاء في الخبرِ: أنَّهم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وملَكُ الموتِ[3].

وقيل: هم حملةُ العرشِ.

وقيل: موسى عليه السَّلامُ منَ المُستثنَينَ؛ لأنَّه صعقَ مرَّةً[4].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٧١) عن الحسن يرفعه، ورواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أَبَيْتُ، قال: أربعون شهراً، قال: أبيتُ... الحديث.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٣/ ٥٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٤) عن السدي، ثم رواه عقبه مرفوعاً مطولاً من حديث أنس رضي الله عنه. وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٠) عن جابر رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

وقيل: هم الشُّهداءُ، وهم مُتقلِّدونَ السُّيوفَ حولَ العرشِ[1].

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ من قبورِهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى البعثِ.

وقيل: ينتَظِرونَ أمرَ الله فيهم.

* * *

(٦٩) - ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أضاءَتْ إضاءةً دائمةً عامّةً لجميعِها، لا ظُلمةَ عليها؛ لأنَّه نهارٌ لا ليلَ بعدَه.

الزَّجَّاجُ: لـمَّا أرادَ الله الحسابَ والمُجازاةَ أشرقتِ الأرضُ بنورِ الله[2].

وقيل: أشرقتْ بعَدْلِه؛ لأنَّها كانت مُظلِمةً بالجَوْر[3].

وقيل: يخلق نورًا للأرض.

وقيل: أرضُ الجنّة.

وقيل: أُلبست الأرضُ الإشراقَ بنورِ الله[4].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٥) عن سعيد بن جبير، بلفظ: «هم الشهداء ثنيَّة الله حول العرش، متقلدين السيوف». و(ثنية الله)؛ أي: الذين استثناهم الله من الصعق.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٤) «وقيل أشرقت بعد له لأنها كانت مظلمة بالجور وقيل يخلق نورًا للأرض وقيل أرض الجنة وقيل ألبست الأرض الإشراق بنور الله» من (ف).

ابنُ جَريرٍ: ذلك حينَ يبرزُ الرَّحمنُ تعالى لفصلِ القَضاءِ بين عبادِه(١).

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: كتبَ الأعمالِ للمُحاسبةِ والجزاءِ(٢).

وقيل: وُضِعَ في أيدي أصحابِه حتَّى يقرؤوا منها أعمالَـهم(٣).

وقيل: الكتابُ: هو اللَّوحُ المحفوظُ، تُقابلُ صُحُفُ الأعمالِ(٤) بما في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألَـهم ربُّهم عن تبليغِ الرِّسالةِ وما أجابَهم قومُهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ من قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الشُّهداءُ: هم الأبرارُ في كلِّ زمانٍ يشهَدُونَ على أهلِ ذلك الزَّمانِ.

وقيل: الشُّهداءُ: هم الذين قُتِلوا في سبيلِ الله.

وقيل: هم الملائكةُ.

وقيل: الجوارحُ والمكانُ والزَّمانُ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾: بينَ العبادِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصُ أحدٌ شيئًا مـمَّا استحَقَّه.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٦١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «أعمالهم».

(٧٠) ـ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾؛ أي: جزاءَه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ﴾ سَوْقًا عنيفًا يُسحَبُونَ على وجوهِهم إلى جهنَّمَ ﴿زُمَرًا﴾: جماعةً جماعةً[1].

وقيل: جماعاتٍ في تفرقةٍ.

وقيل: أفواجًا وأُمَمًا.

ابنُ عيسى: الزُّمرةُ: الجماعةُ لها صوتٌ كصوتِ المزمارِ[2].

وأنشدَ:

لـه زَجَـلٌ كأنَّـه صَـوْتُ حـادٍ إذا طلَـبَ الوَسِـيقةَ أو زَمِـيرُ[3]

وإنَّما يُساقونَ زُمرةً زُمرةً لأنَّه يُحشَرُ أمَّةٌ بعد أمَّةٍ مع إمامِها إلى الجنَّةِ أو النَّارِ.

وقيل: بعضُهم قبلَ الحسابِ، وبعضُهم بعدَ الحسابِ.

---

(١) «جماعة» الثانية من (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٣) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٦) بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، و«الكتاب» (١/ ٣٠)، و«الخصائص» (١/ ٣٧٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وهي سـبعةٌ؛ لقولِه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، وكانـت قبـل ذلك مُغلقةً ففُتِحَـتْ للكفّارِ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: مـن بـني آدمَ ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؟ يأخُذونَ إقرارَهم بأنَّهم استحَقُّوا العذابَ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: قولُـه سـبحانَه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هـود: ١١٩].

وقيل: ظهرَ حقُّها بمجيءِ مصداقِها.

وقيل: ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: علمُ الله السّابقُ.

وكان القياسُ: ولكن حقَّتْ كلمةُ العذابِ علينا، وإنَّما عدَلَ إلى الغيبةِ لأنَّ التَّقديرَ: قالوا: بلى، ولكنْ كفَرْنا، فحقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين.

ويحتمِل أن قوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من كلامِ الله سُبحانَه[1].

***

(٧٢) ـ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مُقدَّرٌ.

وقيل: عالـمِين أنَّكم تخلُدونَ.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ المذمومُ محذوفٌ، وهو النَّارُ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢١)، واستغربه.

(٧٣) ـ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ذُكِرَ بلفظِ (سيقَ) لازدِواجِ الكلامِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ قيل: الواوُ زيادةٌ، وقد تُزادُ الواوُ في جوابِ (حتَّى إذا)، وفي جوابِ (فلمَّا)[1].

وقيل: الواوُ للحالِ، والجوابُ محذوفٌ، فقال بعضُهم: سَعِدُوا بدخولِـها.

وقيل: الجوابُ مُقدَّرٌ، تقديرُه: إذا جاؤوها جاؤوها وفُتِحَتْ أبوابُها[2].

وقيل: مُقدَّرٌ في قولِه: ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾؛ أي: إذا جاؤوها دخَلُوها.

وقيل: الواوُ في قولِه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ زيادةٌ، والجوابُ: قالَ.

وقيل: الواوُ واوُ الثَّمانيةِ، وهي الدَّالَّةُ على أنَّ الأبوابَ ثمانيةٌ، وفيه ضَعفٌ عند النَّحويِّين[3]، وقد سبقَ شرحُ ذلك في قولِه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] في سورةِ (التَّوبةِ).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: جمعُ (خازنٍ) مثلُ: كَتَبة.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ يُسلِّمون عليهم إكرامًا لهم بإذنِ الله.

وقيل: سلِمتُم من أحزانِ الدُّنيا وأهوالِ القيامةِ.

﴿ طِبْتُمْ ﴾ جاء في التَّفسيرِ: أنَّ أهلَ الجنَّةِ إذا انتهَوا إلى بابِها وجَدُوا عندَه عينَينِ تجريانِ من ساقِ شجرةٍ، فيتطهَّرون من إحداهُما فتجري عليهم نضرةُ النَّعيمِ، فلم

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

(٢) أي: حتى إذا جاؤوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها. انظر: «الكشاف» مع حاشية الطيبي (١٣/ ٤٤٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، وعده من العجائب.

تُغيَّرْ أبشارُهم بعدَها أبدًا، ويشرَبُونَ منَ الأُخرَى، فيذهبُ ما في بطونِهم من أذًى وقذًى، فيقولُ لهم الخزنةُ: طِبتُم، ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾.

وقيل: كنتم طيِّبينَ في الدُّنيا.

وقيل: طِبتُم نفسًا بما نِلتُم منَ الجنّةِ ونعيمِها.

وقيل: كنتُم طيِّبينَ بأفعالِكم الصّالحةِ.

الفرَّاءُ: ﴿طِبْتُمْ﴾: زَكَوتُم، ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾[1].

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾؛ أي: أنجزَ ما وعدَنا في الدُّنيا من نعيمِ العُقبَى.

وقيل: ما وعَدَنا في الدُّنيا منَ النُّصرةِ والفتحِ.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يُريدُ: أرضَ الجنّةِ عند الجمهور ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾: نتَّخِذُ فيها لأنفُسِنا منازلَ ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ في الدُّنيا الجنّةُ.

وقيل: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ الدُّنيا بجِهادِنا.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٥).

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ مُحدِقِينَ بحَفَافَيه؛ أي: جانِبَيه، وذلك بعدَ أن أحياهُم الله.

و﴿حَآفِّينَ﴾ نصبٌ على الحالِ؛ لأنَّ (ترى) من رُؤيةِ العينِ.

الفرَّاءُ: لا واحدَ له[1]؛ لأنَّ هذا الاسمَ لا يقعُ لهم إلّا مُجتمِعِين[2].

وقيل: الحافُّ بالشَّيءِ: المُلازِمُ له.

﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ ﴿مِنْ﴾ زيادةٌ، وقيل: لابتداءِ الغايةِ؛ أي: ابتدأ حفوفُهم[3] من حولِ العرشِ إلى حيثُ شاءَ الله.

وقيل: مُتَّصلٌ بالرُّؤيةِ[4].

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ تلذُّذًا لا تعبُّدًا، والباءُ للحالِ؛ أي: حامِدين.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بينَ الخلقِ.

وقيل: بينَ الأنبياءِ وأُممِهم.

وقيل: تكرارٌ لقولِه: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

وقيل: هو حالٌ، و(قد) مُقدَّرٌ معَه؛ أي: يُسبِّحونَ بحمدِ ربِّهم وقد قُضِيَ بينَهم بالحقِّ ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيل: استِئنافٌ؛ أي: ويقضي بينهم بالحقِّ ويُقالُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: الحمدُ لله على ما قضى بينَنا ونجَّانا من القومِ الظّالمين.

---

(١) في (ف): «لها».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٩٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

(٣) في (ف): «حقوقهم»، وهو تصحيف.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

الزَّجَّاجُ: إنَّ الله ابتدأ خلقَ الأشياءِ بالحمدِ، فقالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، ولذلك ختمَ بالحمدِ لله، فقالَ لمَّا استقرَّ أهلُ النّارِ في النّارِ وأهلُ الجنّةِ في الجنّةِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقيل: هذا كقولِه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: على ما جازانا من نِعَمِه وإحسانِه.

وقيل: هذا من كلامِ الملائكةِ؛ أي: الحمدُ له دائمٌ وإن انقطَعَ التَّكليفُ[2].

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٢)، واستغربه.

سُورَةُ غَافِرٍ

سورةُ المُؤمنِ

خمسٌ وثمانونَ آيةً، مكِّيَّةٌ[1].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الحواميمُ كلُّها مكِّيةٌ[2].

مجاهدٌ وقتادة: حم المُؤمنِ مكِّيةٌ إلّا آيتَين منها نزلَتْ بالمدينةِ، قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦] والتي بعدَها[3].

الحسنُ: مكِّيّةٌ إلّا قولَه: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾؛ لأنَّ الصَّلواتِ فُرِضَتْ بالمدينةِ[4].

---

(١) «خمس وثمانون آية مكية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٨)، وفيه: «وهي ثمانون وثنتان في البَصريّ، وأربع في المدنيين والمكي، وخمس في الكوفي، وست في الشَّامي، اختلافها تسع آيات... ».

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٤).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩)، عن ابن عباس وقتادة. وانظر التعليق الآتي.

(٤) لم أجده عن الحسن، بل ذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩)، القول بمكيتها دون استثناء، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٥): «هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف، والأول أصح»، والتعليل الذي ذكره المصنف هنا يخالف ما سيذكره في تفسير الآية المستثناه عن الحسن من قوله: «صلاته قبل فرض الصلاة بمكةَ؛ ركعتان بكرة وركعتان بالعشي».

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إذا وقعتُ في (آل حم) وقعتُ في روضاتٍ دَمِثَاتٍ أتأنَّقُ فيها[١].

وزادَ بعضُهم: فإنَّها ديباجُ القرآنِ[٢].

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مَن أرادَ أن يرتعَ في رياض[٣] الجنَّةِ فليقرَأْ الحواميمَ»[٤].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿حمٓ﴾.

﴿حمٓ﴾ سبق القولُ في الحروفِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٥)، وأبو عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٤)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٥١) مرفوعًا عن أنس رضي الله عنه، وفيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك.

(٣) في (ن): «روضات».

(٤) قطعة من حديث رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٣) و(٢٩٦) من طريق إسماعيل بن عياش أخبرنا إسماعيل بن رافع، عن إسحاقَ بن عبد الله بن أبي فَرْوةَ، قال: بَلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ. فذكره.

ووصله المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٨٩) من طريق محمد بن مروان السدي حدثني إسماعيل بن رافع، عن أبي إسحاق، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ. ومحمد بن مروان كذاب.

وذكره دون سند ولا راو السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٥).

وروى الديلمي في «الفردوس» (٢٨١٦)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩)، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا: «الحواميم روضة من رياض الجنة». وفيه أبان ابن أبي عياش، وهو متروك.

وقيل: حم اسمُ الله الأعظَمُ.

وقيل: اسمُ القرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

وقيل: قسَمٌ.

وقيل: محمَّدٌ عليه السَّلامُ.

وقيل: حُمَّ ما هو كائنٌ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: (الر) (حم) (ن) مجموعُ الرَّحمن[1].

ورُوِيَ أنَّ أعرابيًّا قال للنَّبيِّ ﷺ: ما حم؟ فقال: «بدءُ أسماءٍ، وفواتحُ السُّوَرِ»[2].

***

(٢) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ خُصَّ العزيزُ لأنَّ المعنى: التَّنزيلُ منَ الله وليسَ مِن تقوُّلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ كما زعمَه الكفَّارُ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]؛ فإنَّه العزيزُ: لا يُغالَبُ ولا يمتنعُ عليه شيءٌ.

العليمُ: الواسعُ المعلومِ.

***

(٣) ـ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يسترُه ولا يفضحُ صاحبَه يومَ القيامةِ.

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ التَّوبُ والتَّوبةُ مصدرانِ، وقيل: التَّوبُ جمعُ توبةٍ، على أنَّها اسمٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٠) عن أنس رضي الله عنه دون إسناد، ولم أقف عليه مسندًا.

أي: ما ذنبٌ تابَ منه العبدُ إلا قبلَ توبتِه.

وقيل: هذا تكرارٌ؛ فإنَّهما بمعنًى واحدٍ.

وقيل: غافرُ الذَّنبِ الصَّغيرِ، وقابلُ التَّوبِ عن الذَّنبِ الكبيرِ.

وقيل: غافرُ الذَّنبِ بإسقاطِ العقابِ، وقابلُ التَّوبِ بإيجابِ الثَّوابِ.

ويحتملُ أنَّ فيها تقديمًا وتأخيرًا؛ أي: قابلُ التَّوبِ وغافرُ الذَّنبِ.

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: إذا عاقَبَ فعقابُه شديدٌ.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: ذي النِّعمِ والقدرةِ والغِنى والخيرِ والمنِّ والفضلِ، وكلُّها أقوالٌ.

وخَفضُ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ من وجهَينِ:

أحدُهما: البدلُ؛ لأنَّهما نكرتانِ في معنى المُستقبلِ.

والثّاني: الصِّفةُ على أنَّه وقعَ لفظُ الماضي موقعَ المُستقبلِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ، وقد سبق في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فتكونُ معرفةً.

وقيل: معناه: من شأنِه غفرانُ الذُّنوبِ فيما مضى وفيما يُستقبلُ.

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: على الشِّركِ، وهذا بدلٌ لا غير.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: معرفةٌ يجوزُ فيه البدلُ والوصفُ.

ثمَّ وحَّدَ نفسَه فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ في الآخرةِ.

* * *

(٤) ـ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ما يُخاصِمُ فيها بالتَّكذيبِ بها والإنكارِ لها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وأصلُ المجادلةِ من جدَلْتُه؛ أي: قتلتُه.

وقيل: منَ الجَدالةِ: وهي وجهُ الأرضِ؛ أي: يُحاولُ كلُّ واحدٍ صَرْعَ صاحبِه عليها.

والمُجادلةُ تُستعمَلُ بين مُبطلَين، أو مُبطِلٍ ومُحِقٍّ، والمُناظرةُ تُستعملُ بينَ مُحِقَّين، أو مُحِقٍّ ومُبطِلٍ.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ بالتِّجاراتِ والغِنى.

وقيل: يُريدُ رحلةَ الشِّتاءِ والصَّيفِ.

وقيل: سالمينَ، فإنَّ عاقبتَهم النّارُ، ثمَّ صرَّحَ فقال:

* * *

(٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: نزلَتْ في الحارثِ بنِ قيسٍ السَّهميِّ أحدِ المُستهزئينَ(١).

قولُه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قومِكَ، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم الذين تحزَّبوا على الأنبياءِ بالتَّكذيبِ.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: ليقتُلوه ويُهلِكوه؛ لقولِه: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾.

وقيل: ليأسِروهُ، والأخذُ: الأسرُ، والأخيذُ: الأسير(٢).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٤) عن أبي مالك، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥).

(٢) «والأسير الأخيذ»: من (ف)، «والأخذ الأسر»: من (ن).

وقيل: ليبطِشُوا به، من قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢]، وأخذُ النّاسِ لا يُستعملُ إلّا في مكروهٍ.

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بما لا حقيقةَ له.

قتادة: بإبليسَ(١).

﴿ليدحضوا به﴾: ليُزيلوا به ﴿ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾: فأهلكتُهم بالعقوبةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ قيل: هذا سؤالٌ عن صدقِ العذابِ.

وقيل: عن صفةِ العذابِ.

قال قتادةُ: شديدٌ واللهِ(٢).

***

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلُ ذلك ﴿حَقَّتْ﴾ وجبَتْ ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما أوجبَ الله بوعيدِه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: لأنَّهم وبأنَّهم. وقيل: بدلٌ من (الكلمةِ)، ومحلُّه رفعٌ(٣).

ثمَّ أخبرَ بفضلِ المؤمنين فقال:

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] بلفظ: «الباطل إبليس الباطل إبليس».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٨٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٦)، واستغربه.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ يُريدُ: حاملي العرشِ والحافِّين حولَه، وهم الكَرُوبِيُّونَ سادةُ الملائكةِ.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: يُسبِّحونَ الله ويحمَدونَه.

وقيل: الباءُ يدلُّ على أنَّ تسبيحَهم بالحمدِ له، كما تقولُ: يُعظِّمونَه بالحمدِ له ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: يُسبِّحونَ تسبيحَ تلفُّظٍ لا تسبيحَ دلالةٍ، ويحتمِلُ أنَّه مُقدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ.

﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: للمُؤمنين ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: ربَّنا ﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾؛ أي: نالَتْ رحمتُكَ في الدُّنيا كلَّ شيءٍ.

و﴿رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ نصبٌ على التَّمييزِ، وصُرِف الفعلُ عنه.

﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾: رجَعُوا عن المعاصي ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾: دينَك الإسلامَ ﴿وَقِهِمۡ﴾: وادفَعْ عنهم ﴿عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ ﴿وَمَن﴾ عطفَ على المُضمرِ في ﴿وَأَدۡخِلۡهُمۡ﴾؛ أي: ليتِمَّ أُنسُهم بالاجتماعِ.

وقيل: عطفٌ على ﴿وَعَدتَّهُمۡ﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليك شيءٌ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضِعَه.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني: عذابَ النّارِ.

وقيل: الكفرَ.

وقيل: اصرِفْ عنهم سوءَ عاقبةِ سيِّئاتِهم.

وقيل: الضَّميرُ[1] يعودُ إلى الآباءِ والأزواجِ والذُّرِّياتِ؛ فإنَّه قد دعا لهم أوَّلًا[2].

﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ﴾؛ أي: دفعُ العذابِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ لمَّا عاينَ الكفَّارُ النّارَ ودُخولَـها مقَتُوا أنفُسَهم، يُريدُ: لاموها وغضِبوا عليها، فنادَتْهم خزَنةُ النّارِ؛ أي: يقولونَ لهم بصوتٍ رفيعٍ: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَقتُ الله إيّاكم، يُريدُ: غضبَه وسخطَه ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾: بُغضِكم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في القيامةِ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ في الدُّنيا ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾.

وقيل: تثبُتونَ على الكفرِ.

و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه المقتُ، ولا يُنصَبُ بالمقتِ الأوَّلِ للاعتراضِ بالخبرِ، ولا بالثَّاني لاختلافِ الزَّمانَين.

ويحتمِلُ أن ينتصبَ بالمقتِ الثّاني، فيكونَ من بابِ: «الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللَّبنَ»[3].

---

(١) أي: الضمير في قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ كما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ الموتةُ الأولى: النُّطفةُ، والموتةُ الثّانيةُ: عند انقِضاءِ الأجلِ. والحياةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في العُقبَى.

وقيل: الموتةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في القبرِ بعد الإحياءِ لسؤالِ الملكِ. والحياةُ الأولى: في الدُّنيا، والثّانيةُ: في القبرِ.

وقيل: الحياةُ الأولى: إحياءُ الله إيّاهم حينَ أخرجَهم من ظُهورِ بني آدمَ، والموتةُ الأولى: بعدَ ذلك الإحياءِ، والحياةُ الثّانيةُ: في الدُّنيا، والموتةُ الثّانيةُ: في الدُّنيا.

= وهذا مثل يضرب لمن فرَّط في طلب ما يحتاج إليه حتى فاته، ثم يطلبه في غير وقته، وأصله: أن امرأة شابة كانت عند رجل شيخ مكثر، فسألته طلاقها، فأشار عليها أن تصبر معه ولا تسله ذلك فأبت فطلقها، وكان ذلك في الصيف، فتزوجت شابًّا مقتراً، فلما حضر الشتاء وقلَّت الألبان سألت الشيخ لبناً، فقال لها: «الصيف ضيعت اللبن»؛ أي: في الصيف، ولكن حذف (في) ونصب (الصيف) على الظرف بـ(ضيعت)، ونصب (اللبنَ) بـ(ضيعت) على المفعول، يريد: أنك سألتني الطلاق في الصيف، فضيعت ما كان لك من اللبن. انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤٤٥)، والمثل مشهور في كتب الأمثال والأدب، وقد ذكر الشراح قصته مفصلة، وذكروا أسماء المرأة وزوجيها، كما ذكروا أن «ضيَّعْتِ» تبقى مكسورة التاء، سواء خوطب بها المذكر أو المؤنث أو الاثنان والجميع؛ لأن أصل المثل خوطبت به امرأةٌ، فإذا قلته لرجل ـ مثلاً ـ فإنما معناه: أنتَ عندي بمنزلة التي قيل لها هذا. انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ٥١)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٤٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٦)، و«المقتضب» (٢/ ١٤٥)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ١١١)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٥٧٥)، و«التمثيل والمحاضرة» (ص: ٣٨)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٦٨)، و«المستقصى في الأمثال» (١/ ٣٢٩).

القُرَظيُّ: موتُ الكافرِ: موتُ قلبِه وحياتُه بالأنفاسِ، ثمَّ موتُه الذي لا يأكلُ فيه، ثمَّ حياتُه للبعثِ[١].

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾: أقرَرْنا بكُفرِنا وظهرَ لنا أنَّ البعثَ حقٌّ.

﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ قيل: الخروجِ منَ النّارِ.

وقيل: خروجٍ إلى الدُّنيا.

الحسنُ: فيه إضمارٌ تقديرُه: لا سبيلَ إلى الخروجِ[٢].

***

(١٢) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: المقتُ، وقيل: إشارةٌ إلى الخلودِ، وقيل: إشارةٌ إلى منعِ الخروجِ.

﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾: بسببِ أنَّه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾؛ أي: إذا دُعيتُم إلى الله كفرتُم.

وقيل: إذا سمِعتُم: «لا إله إلا الله» كفرتُم.

﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾: تُصدِّقوا.

وقيل: تُؤمِنُوا بالأوثانِ.

وقيل: إذا دُعيتُم إلى الشِّركِ أَجَبْتُم.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩) بلفظ: «أرادوا أن الكافر في الدنيا هو حي الجسد ميت القلب فكأن حالهم في الدنيا جمعت إحياء وإماتة، ثم أماتهم حقيقة ثم أحياهم بالبعث».

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٢٧).

وقيل: هذا استئنافٌ خاطبَ اللهُ الكفّارَ به في الدُّنيا.

﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ يعني: القَضاءُ فيكم لله ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾: الرَّفيعِ القاهرِ ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ بالقُدرةِ والمنزلةِ.

* * *

(١٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدّالّةَ على التَّوحيدِ ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾: مطرًا هو سببُ الرِّزقِ، ويُقالُ: الملائكةَ بتدبيرِ الرِّزقِ، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيثِ[1].

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: ولا يتَّعِظُ بالقرآنِ إلا مَن أقبلَ على طاعتِه وأقلعَ عن معصيتِه.

* * *

(١٤) ـ ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: اعبُدوه بالإخلاصِ ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: وإنْ شقَّ عليهم ذلك.

* * *

(١٥) ـ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: رافعُ السَّماواتِ بعضِها فوقَ بعضٍ.

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

وقيل: رافعُ الدَّرجاتِ في الدُّنيا بالمنزلةِ، وفي الآخرةِ بالجنّةِ.

وقيل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾؛ أي: عالي الصِّفاتِ[١]؛ كما تقولُ: فلانٌ في العلمِ في الدَّرجةِ العُليا.

وقيل: مرفوعُ الدَّرجاتِ، وفيه بُعدٌ[٢].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: مالكُه وخالقُه.

وقيل: العرشُ هاهنا المُلكُ.

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ قيل: هو جبريلُ.

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الوحيُ.

وقيل: النُّبوّةُ.

وقيل: الرَّحمةُ.

وقيل: رُوحُ العبدِ[٣].

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ حالٌ للرُّوحِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يومَ القيامةِ، وهو مفعولٌ به، ومعنى التَّلاقِ: يلتَقي فيه أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ.

وقيل: يلتَقي فيه الأوَّلونَ والآخِرونَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

وقيل: يَلْقَى فيه المرءُ عملَه.

وقيل: تتلقَّاهُم الملائكةُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ من قبورِهم.

وقيل: يُكشَفُ ما كانَ مستورًا من أمرِهم.

وقيل: ظاهِرون لعيونِ النّاظرينَ.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾؛ لأنَّهم برَزُوا له.

وقيل: لا يخفَى شيءٌ من أعمالِهم التي عمِلُوها.

وقيل: لا يبقَى أحدٌ إلّا حضرَ ذلك الموقفَ.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: يقولُ الله ذلك حينَ لا أحدَ يُجيبُه، فيُجيبُ الله نفسَه بقولِه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وزيَّفَ هذا القولَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين، وقالوا: إذا لم يكُنْ مَن يُجيبُ فلا معنَى للاستفهامِ، ولا للجوابِ إذا لم يكُنْ مَن يَسمعُ، بل يقولُ الله ذلك للخلائقِ تقريرًا لهم على أنَّ المُلْكَ له؛ لأنَّ الكفَّارَ كانوا يُنازِعُونَه في الملكِ لعبادتِهم غيرَه، فيُجيبُ الجميعُ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؛ يقولُه المؤمنُ تلذُّذًا، ويقولُه الكافرُ صَغارًا وهوانًا على سبيل التَّحسُّرِ والنَّدامةِ.

وقال[1] ابنُ بحرٍ: خرجَ الكلامُ مخرجَ السُّؤالِ والجوابِ، والمعنى معنى الإخبارِ؛ أي: يرِثُ عبادَه ما ملَّكهم في الدُّنيا، فلا يملكُ أحدٌ شيئًا إلا اللهُ الواحدُ القهّارُ[2].

---

(١) في (ن): «فقال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

وقيل: هذا تخصيصٌ، كـ﴿مَلِكِ يوم الدِّينِ﴾.

***

(١٧) - ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾: عمِلَتْ في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغلُه واحدٌ عن واحدٍ، وقد سبقَ.

***

(١٨) - ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ الآزِفةُ: صفةُ القيامةِ، أو المُجازاةُ، وأزِفَ الشَّيءُ: دَنا.

وقيل: ﴿يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾: يومَ الموتِ وقتَ خُروجِ الرُّوحِ.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾؛ أي: التَّراقي، يُريدُ فارَقَتْ قلوبُهم أماكنَها خوفًا، فصارَتْ في حُلوقِهم؛ فلا هي تعودُ إلى أماكنِها، ولا هي تخرُجُ فتستريحَ.

﴿كَٰظِمِينَ﴾ سُكوتًا لا معذرةَ لهم، والكاظِمُ: المُمْسِكُ للشَّيءِ على ما فيه.

وقيل: حابسينَ الكلامَ والرَّبوَ[1] وكلَّ ما يخرُجُ منَ الجوفِ.

وقيل: مُرَدِّدينَ حُزنَهم في أجوافِهم كجِرَّةِ البعيرِ.

وقيل: باكين، وقيل[2]: مغمومينَ.

وهو نصبٌ على الحالِ من ﴿أنذِرْهُم﴾.

---

(١) في (ف): «والزبور»، والرَّبو: ريح يخرج من الجوف، وهو النَّفَس. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٧٤٤).

(٢) «وقيل» من (ف).

وقيل: حالٌ عن ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ محمولٌ على أصحابِها[1].

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: قريبٍ ينفعُ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يُجابُ إلى شفاعتِه، والمعنى: ليس لهم شفيعٌ فيُجابَ[2].

* * *

(١٩) ـ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ يُريدُ: النَّظرةَ الثّانيةَ إلى المُحرَّمِ؛ فإنَّ النَّظرةَ الأولى إذا لم تكُنْ من عمدٍ معفوٌّ عنها.

وقيل: هي إيماءُ الرَّجلِ بعينِه إلى بعضِ مَن بحضرتِه يستُرُه عن غيرِه.

وقيل: لحظُ العَينِ إلى ما نُهِيَ عنه.

وقيل: مُسارقةُ النَّظرِ.

وقيل: الرَّمزُ بالعينِ على وجه العيبِ.

وقيل: هو قولُ الإنسانِ: «رأيتُ» ولم يرَ، و: «ما رأيتُ» ورأى[3].

والخائنةُ والخيانةُ مصدرانِ، كالكاذِبةِ والخاطِئةِ.

وقيل: عيونًا خائنةً، ونسبةُ الخيانةِ إلى العينِ توسُّعٌ.

﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾: ما يُسِرُّ الإنسانُ من أمانةٍ أو خيانةٍ.

وقيل: الوسوسةُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «ليجاب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

ابنُ عبّاسٍ: ما تُخفي الصُّدورُ بعد النَّظرِ إليها: أيزني بها أم لا[١]؟ والمُرادُ القلوبُ، وسُمِّيت الصُّدورَ لأنَّها فيها.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾: بالعدلِ، ويجزي المُحسِنَ والمُسيءَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ﴾؛ أي: ليسوا بأهلِ القضاءِ أصلًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ متَّصلٌ بقولِه: ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: آخرُ أمرِ الذين كذَّبوا الرُّسلَ قبلَهم.

﴿كَانُواْ هُمۡ﴾ ﴿هُمۡ﴾ عمادٌ وفصلٌ، ويجوزُ أن يكونَ تأكيدًا للضَّميرِ الذي هو اسمُ ﴿كَانَ﴾.

﴿أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾: بطشًا وقُدرةً، وقُرِئَ: ﴿منكم﴾[٢] على تلوينِ الخطابِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠٣)، وروى عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٢٨) قال: «الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا به غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أنه نظر إلى عورتها».

(٢) قرأ بها ابن عامر الشامي والباقون: ﴿منهم﴾ بالهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أكثرَ أعمالاً ومدائنَ وأبنيةً.

وقيل: أشدَّ لها طلبًا وأبعدَ غايةً.

وقيل: المشيُ فيها بالأرجُلِ.

ابنُ عيسى: الأثرُ حديثٌ يظهرُ به أمرٌ.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: عاقبَهم بسببِ ذنوبِهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ مانعٍ يمنعُهم منَ العذابِ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالدَّلالاتِ الواضِحاتِ، وقيل: بالأمرِ والنَّهي.

﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ كرَّرَ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لبيانِ علَّةِ الأخذِ.

﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التِّسعِ ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجَّةٍ قاهرةٍ للباطلِ مُتسلِّطةٍ عليه ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ﴾؛ أي: موسى ساحرٌ ﴿كَذَّابٌ﴾.

* * *

(٢٥) ـ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ أعادَ القتلَ عليهم كالذي كانَ أوَّلًا، وكانَ أمسَكَ عن قتلِهم.

وقيل: أعادَ القتلَ لأنَّه قيلَ له: إنَّ ملكَكَ يزولُ بسببِ غلامٍ سيولَدُ بعدُ، وليس ذلك موسى، ولا منَ الذينَ معه منَ الرِّجالِ.

قال أبو القاسمِ: الآيةُ تدلُّ على أنَّه أمرَ بذبحِ الأبناءِ بعد مجيءِ موسى عليه السَّلامُ.

﴿وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ ﴾ للخدمةِ وغيرِها، وكان يُزوِّجُ بناتِهم منَ القِبْطِ.

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ عمَّمَ الإخبارَ فتضمَّنَ إبطالَ كيدِ فرعونَ وجنودِه.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ قال هذا بعدَ قولهم له: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: ١١١].

وقيل: كانوا يزعُمونَ أنَّ موسى ساحرٌ؛ فإنْ قتلَه فرعونُ هلكَ، فمنعوه عن قتلِه.

وقيل: خوَّفوه من قتلِه وقالوا: لا تأمَنْ أن نعجزَ أو ينالَنا من إلهه وعصاه مكروهٌ.

وقيل: معنى ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ ﴾: أشيرُوا عليَّ بقتلِه.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنَّه لا يُجابُ، وليستَعِنْ ربَّه فإنَّه لا يُعانُ.

وقيل: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنَّه لا يجيءُ من دُعائِه شيءٌ؛ لأنَّه يدعو ما لا حقيقةَ له.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إنْ لم أقتُلْه ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: عبادتَكم.

وقيل: يُغيِّرَ أمرَكم الذي أنتم عليه.

وقيل: دينكم الحقَّ بدينِه الباطلِ.

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾: المُحاربةَ والقتالَ.

وقيل: الفسادُ: عبادةُ غيرِ فرعونَ بزعمِ فرعونَ.

وقيل: الفسادُ: أن يقتُلَ أبناءَكم ويستحيِيَ نساءَكم كما استحيَيْتُم نساءَهم.

قُرِئَ بالواوِ؛ أي: أخافُ هذَين الأمرَين، وقُرِئَ بـ(أو)[1]؛ أي: أحدَ هذَين غيرَ معيَّنٍ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قال موسى: اعتَصَمْتُ بالله من شرِّكِ وشرِّ أمثالِكَ.

ومعنى ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لا يعتقِدُ البعثَ والجزاءَ على الأعمالِ.

* * *

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿أَو أَن﴾ بألف قبل الواو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٢٨) ـ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ في ﴿مِّنْ﴾ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه متَّصلٌ بالكِتمانِ، قيل: وكان يكتُمُ إيمانَه منهم مئةَ سنةٍ، ولـم يكُنْ من آلِ فرعونَ مُؤمنٌ أصلًا.

والثّاني: أنَّه صفةٌ للرَّجلِ، قيل: وكانَ ابنَ عمِّ فرعونَ.

وقيل: كان زوجَ ماشطةِ ابنةِ فرعونَ. وليس بين هذَين القَولَين مُنافاةٌ.

وقيل: كان أمُّه من بني إسرائيلَ.

السُّدِّيُّ: هو الذي قال لمُوسى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠][1].

وإنَّ اسمَه حبيبٌ. وقيل: سمعانُ. وقيل: خِرْبِيْلُ.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾: أتقصِدُونَ قتلَ رجلٍ؟ استفهامُ إنكارٍ.

﴿أَن يَقُولَ﴾: لأجلِ أن يقولَ: ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: المُعجزاتِ.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾: فعلَيه وَبالُ كذبِه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾؛ أي: يُصِبْكُم ما يتوعَّدُكم منَ العذابِ، و﴿بَعْضُ﴾ صلةٌ[2].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٢)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥) عن قتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿بَعْضُ﴾ في معنى: كلٍّ[١]، قال:

أو يَرْتَبِطْ بعـضَ النُّفـوسِ حِمامُهـا[٢]

وقيل: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وفي البعضِ: هلاكُكُم[٣].

وقيل: قال لهم: إنْ آمنتُم أثابَكم الله، وإن كفرتُم عاقبَكُم، فالعقوبةُ بعضُ ما وعدَ.

وقيل: وعدَهُم عذابَ الدُّنيا والآخرةِ، والبعضُ: عذابُ الدُّنيا.

وقيل: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ابتداءً، ثمَّ يتواترُ.

وقيل: توعَّدَهم أشياءَ منَ العذابِ على أشياءَ منَ المعاصي، فالبعضُ في مُقابلةِ البعضِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ قال بعضُهم: هذا من تمامِ كلامِ المؤمنِ، وعنى به فرعونَ.

وقيل: أوهَمَ أنَّه يعني بالمُسرِفِ موسى، وهو يعني به فرعونَ.

وقال بعضُهم: هذا استئنافُ كلامٍ منَ الله.

والمُسرِفُ: المُتجاوِزُ الحدِّ في المعصيةِ، وقيل: السّافكُ للدِّماءِ.

---

(١) ذكره أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٨١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، واستغربه.

(٢) عجز بيت للبيد من معلقته، وصدره:

تـرَّاكُ أمْكنَـةٍ إذا لم أَرْضَهـا

انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٣)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، وعده من العجائب.

(٢٩) ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: مُستَعْلينَ غالبينَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ، وهذا من كلامِ المُؤمنِ لفرعونَ وملئِه.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عذابِه ﴿إِن جَآءَنَا﴾: حلَّ بنا؟ أضافَهم إلى نفسِه ليكونَ أدعى للقَبولِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ منَ الهدى ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾.

وقيل: ما آمرُكُم إلّا ما رأيتُ لنفسي أنَّه حقٌّ وصوابٌ.

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ إلّا طريقَ الهدى والرُّشدِ.

وقيل: الرَّشادُ: اسمٌ من أسماءِ أصنامِه، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله(١).

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ هذا من كلامِ المؤمنِ، وعليه الجمهورُ.

قال أبو عليٍّ: هو من كلامِ موسى، وهو المعنيُّ بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيبِه ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: مثلَ عذابِ الأممِ الخاليةِ ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: عذابِ قومِ نوحٍ، وقيل: عادةِ قومِ نوحٍ.

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٩)، وعده من العجائب.

﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾: لا يُعاقِبُ بغيرِ ذنبٍ، وهذا تخويفٌ من عذابِ الدُّنيا، ثمَّ خوَّفَهم عذابَ الآخرةِ فقال:

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾؛ أي: عذابَ يومِ التَّنادِ، وهو يومُ القيامةِ؛ أي: يُنادي بعضُهم بعضًا.

وقيل: هو من قولِه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقيل: هو دُعاؤُهم إلى المحشرِ.

وقيل: يُنادي المنادي بالسَّعادةِ والشَّقاوةِ: ألَا إنَّ فلانًا قد سعِدَ سعادةً لا يشقَى بعدها أبدًا، ألَا إنَّ فلانًا قد شقِيَ شقاوةً لا يسعَدُ بعدَها أبدًا.

* * *

(٣٣) ـ ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾.

﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ﴾؛ أي: عن الموقفِ ﴿مُدۡبِرِينَ﴾ إلى النّارِ.

وقيل: يومَ النَّفخِ.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (التَّنادِّ) من ندَّ البعيرُ(١).

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابِ الله ﴿مِنۡ عَاصِمٖ﴾: مانعٍ ودافعٍ.

---

(١) نسبت لابن عباس والضحاك. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٣).

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾: مُرشدٍ ولا عاصمٍ[١].

***

(٣٤) - ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه يوسفُ بنُ يعقوبَ، وفرعونُ موسى هو فرعونُ يوسفَ[٢].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: ماتَ لفرعونَ فرسٌ قيمتُه ألوفٌ، فدعا يوسفُ، فأحياه الله، وفيه أيضًا: كسفَتِ الشَّمسُ فدَعا يوسفُ، فكشفَها الله، فآمنَ به فرعونُ، ثمَّ عادَ إلى الكفرِ بعد موتِ يوسفَ.

والثّاني: هو يوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ، أقامَ فيهم عشرينَ سنةً، قالَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٣].

الثّالث: قال النَّقَّاشُ في «تفسيرِه»: إنَّ الله تعالى بعثَ إليهم رسولًا منَ الجنِّ اسمُه يوسفُ، وأورَدَه أقضى القُضاةِ أيضًا[٤].

---

(١) «ولا عاصم»: ليست في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وذكره دون نسبة مكي في «الهداية» (١٠/ ٦٤٣١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٦٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٥) نقلًا عن النقاش منسوباً للضحاك. وقال السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٩): «وهذا قول ضعيف، والصحيح هو الأول؛ لأنه أطلق ذكر يوسف، فينصرف إلى يوسف المعروف»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ موسى، وقيل: من قبلِ المُؤمنِ.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مَن حملَه على يوسفَ بنِ يعقوبَ قالَ: البيِّناتُ تعبيرُه الرُّؤيا، ومَن حملَه على غيرِه فالمُرادُ المُعجِزاتُ.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾؛ أي: ماتَ ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾؛ أي: أحدًا يدَّعي الرِّسالةَ.

وقيل: معناه: انقطَعَ عنكم الرُّسلُ بعد يوسفَ زمانًا طويلًا.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشركٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاكٌّ.

وقيل: مُسرفٌ لقولِه: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾: عظُمَ بُغْضًا عندَ الله ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قُرِئَ بالتَّنوينِ وبالإضافةِ(١)؛ فمَن نوَّنَ جعلَ التَّقديرَ: كلَّ قلبٍ مُتكبِّرٍ جبَّارٍ صاحبُه.

ومَن أضافَ جعلَ التَّقديرَ: على قلبِ كلِّ مُتكبرٍ جبّارٍ، كما جاءَ: فلانٌ يصومُ كلَّ يومِ جمعةٍ؛ أي: يومَ كلِّ جمعةٍ.

وقيل: تقديرُه: على كلِّ قلبِ كلِّ مُتكبِّرٍ جبّارٍ(٢).

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن ذكوان: ﴿قلبٍ﴾ بالتنوين، والباقون بترك التنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٩١).

(٢) أي: يطبع على جملة قلب جميع المتكبرين. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠).

(٣٦) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ﴾ وكانَ وزيرًا له(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـم يكُنْ مِنَ القِبْطِ ولا من بني إسرائيلَ(٢).

﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: بناءً عاليًا، منَ التَّصريحِ، وهو الإظهارُ.

وقيل: مجلسًا.

وقيل: بناءً بالآجرِّ، فبَناه بالآجرِّ(٣)؛ لقولِه: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾.

وقيل: شُغِلَ بالآياتِ التِّسعِ من بناءِ الصَّرحِ.

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: منزلَ السَّماءِ(٤).

وقيل: أبوابَ السَّماواتِ.

وقيل: طُرُقَها.

---

(١) في (ف): «وزيره».

(٢) لم أقف عليه، وفي «تفسير ابن عطية» (٤/ ٣١٧): «وهو من القبط»، وفيه (٤/ ٥٦٠): «وروي أن هامان لم يكن من القبط، وقيل: كان منهم»، وقال الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٣٥٣): «ولم يبلغنا من نسبته ما نعتمد عليه».

(٣) «فبناه بالآجر»: ليست في (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٠).

وقيل: لعلِّي أتسبَّبُ إلى مُرادي.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: فأصِلَ إليه.

الحسنُ: أرادَ التَّلبيسَ على الضَّعفةِ مع علمِه باستحالةِ ذلك[1].

والجمهورُ على أنَّه قصدَ ببنائِه الصُّعودَ إلى السَّماءِ ورُؤيةَ إلهِ موسى سُبحانَه، وجَهْلُه حَمَلَه على ذلك.

وقال بعضُهم: أرادَ بناءَ رَصَدٍ في موضعٍ عالٍ يرصُدُ منه الكواكبَ، وكانَ فرعونُ يعبُدُ الشَّمسَ ويعتقدُ أنَّ الشَّمسَ قد استجابَتْه فملَّكَتْه[2]، وقد سبقَ.

قُرِئَ: ﴿فأطَّلِعُ﴾ بالرَّفعِ عطفًا على ﴿أَبْلُغُ﴾، وبالنَّصبِ على جوابِ (لعلَّ)[3].

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني: موسى ﴿كَـٰذِبًا﴾ في قولِه: له[4] إلهٌ غيري.

وقيل: معنى (أظنُّ): أتيقَّنُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: زيَّنَ الشَّيطانُ ذلك له وصدَّه.

وقُرِئَ بالفتحِ[5]، فيجوزُ أن يكونَ لازمًا، ويجوزُ أن يكونَ مُتعدِّيًا، والفعلُ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٠)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ حفص: ﴿فأطلع﴾ بالنصب، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٤) «له» من (ف).

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٦٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٨/ ٤٢٨).

لفرعونَ؛ أي: صدَّ النّاسَ عن الإيمانِ، ويجوزُ أن يكونَ الفاعلُ هو الله؛ أي: صدَّه الله عن إبطالِ أمرِ موسى، وقيل: في بناءِ الصَّرحِ.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: خَسارٍ وهلاكٍ، من قولِه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ ذهبَ أبو عليٍّ إلى أنَّه موسى عليه السَّلامُ.

غيرُه: مؤمن آلِ فرعونَ.

﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طريقَ السَّعادةِ وصلاحِ الأمرِ، والرَّشادُ والرُّشدُ واحدٌ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ انتفاعٌ يسيرٌ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: المحلُّ الذي يُستَقَرُّ فيه.

* * *

(٤٠) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا مكيالَ فيها ولا ميزانَ.

* * *

(٤١) - ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي: إلى الجنّةِ ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: أدعوكُم إلى النَّجاةِ والجنّةِ وتدعونَني إلى الهلاكِ والنّارِ، فاكتَفى بذكرِ أحدِهما من كلِّ طرفٍ.

وهو استفهامُ إنكارٍ، ثمَّ أوضحَ كيفيّةَ دُعائِهم إيّاه إلى النارِ فقال:

* * *

(٤٢) - ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: ما لا يصحُّ أن يُعلَمَ.

وقيل: ما ليس لي به علمٌ أنّه إلهٌ، ثمَّ بيَّن ما يدعو هو إليه فقالَ:

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ وهو الله عزَّ اسمُه.

* * *

(٤٣) - ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلامِهم، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: وجَبَ.

وقيل: معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا.

وقيل: معناه: لا بدَّ، وقد سبقَ في (هودٍ).

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: ليس له استجابةُ دعوةٍ.

وقيل: ليس له دعوةٌ تجبُ بالإلهيّةِ في الدُّنيا ﴿وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ﴾.

وقيل: لا يعودُ على مَن عبدَه خيرٌ؛ لا في الدُّنيا، ولا في الآخرةِ.

وقيل: ليس له شفاعةٌ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ.

وقيل: معناه: ليس هو شيءٌ.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مرجِعَنا بعد الموتِ إليه ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المشركينَ.

وقيل: الذين يقتُلونَ بغيرِ حقٍّ.

﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: مُلازِمُوها.

***

(٤٤) ـ ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ منَ النَّصيحةِ عند نزولِ العذابِ، وقيل: في الآخرةِ.

﴿وَأُفَوِّضُ﴾: أُسلِّمُ ﴿أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا أشتغِلُ بمُحاربتِكُم.

وقيل: أتوكَّلُ على الله.

وقيل: أُشهِدُ عليكم اللهَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾؛ أي: بأعمالِهم ومصيرِهم.

***

(٤٥) ـ ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾.

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ الضَّميرُ يعودُ على موسى عليه السَّلامُ، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ يُريدُ: فرعونَ وجنودَه، وقيل: شخصَه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: الغرقُ.

وقيل: الضَّميرُ في ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعودُ إلى المؤمنِ، خرجَ من عندِهم هاربًا

إلى جبلٍ، فأرسلَ في طلبِهِ، فوجدُوه قائمًا يصلِّي والوحوشُ صفوفٌ عندَه، فرُعِبَ الطَّلَبُ منه رُعبًا شديدًا، فرجعوا فقتلَهم فرعونُ[(١)]، وهو قولُه: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾، أي: قَتلُ فرعونَ إيّاهم، وقيل: الغرَقُ أيضًا.

***

(٤٦) ـ ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾. وقيل: هو النّارُ[(٢)].

وقيل: ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأٌ، خبرُه: ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾.

﴿غُدُوّٗا﴾ مصدرُ (غَدَا)، وجعلَه هاهنا ظرفًا، ﴿وَعَشِيّٗا﴾؛ أي: يُعذَّبون دائمًا، كقولِه: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾.

وقيل: هو ما رَوَى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ سودٍ تُعرَضُ على النّارِ بُكرةً وعشيًّا إلى يومِ القيامةِ[(٣)].

وفي هذه الآيةِ أدلُّ دليلٍ على عذابِ القبرِ؛ لقولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه.

وقيل: يُعرَضُون في الآخرةِ، والقولُ ما ذكرتُ.

وقيل: هذا منَ المقلوبِ؛ أي: النّارُ تُعرَضُ عليهم[(٤)].

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠)، ومن طريقه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤١٩). وفيه أن الطلب كان اثنين، وأن فرعون قتل أحدهما وكان كافراً، ونجا الآخر وهو الذي آمن تأثراً بحال المؤمن. وفي إسناده إسحاق بن بشر، وهو كذاب متروك.

(٢) فـ (النار) خبر لمبتدأ محذوف على هذا.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣١)، وعده من العجائب.

﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ مَن قرأ بالوصلِ نصبَ ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ على النِّداءِ، ومَن قطعَ نصبَه على المفعولِ به[1]، و(يُقالُ) مُضمَرٌ في القراءتَين.

و﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ قيل: أسفلَ العذابِ، وقيل: أشدَّ منَ العذابِ الذي كانُوا فيه.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾: يتخاصَمُ الضُّعفاءُ والرُّؤساءُ ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ يعني: الرؤُساء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في دينِكم في الدُّنيا.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافِعون، وقيل: حامِلون.

﴿عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: بعضَ الذي علينا.

و(التَّبعُ) مصدرٌ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ تابعٍ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾؛ أي: الرُّؤساءُ للضُّعفاءِ: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾: نحنُ وأنتم، فلا يُغني واحدٌ عن واحدٍ.

ابنُ بحرٍ: معناه: لو قدَرْنا أن نُغنيَ عنكم لأغنَينا عن أنفُسِنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ﴾: قَضَى ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: بين التّابعِ والمتبوعِ.

---

(١) قرأ بها نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم بوصل الهمزة وضم الخاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٢).

وقيل: حكمَ فأنزَلَنا منازِلَنا وأنزَلَكم منازِلَكم.

و﴿كُلٌّ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، ولا يجوزُ أن يكونَ تأكيدًا؛ لأنَّه إذا اختُزِلَتْ عنه الإضافةُ لا يُؤكَّدُ به، ولا يُوصَفُ به.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إذا اشتدَّ الحالُ عليهم ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾: سَلُوه بدُعائِكم ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ من أيّامِ الدُّنيا ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: منَ النّارِ ونكالِها، فنستريحَ، فيُجيبُهم الخزنةُ:

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالبراهينِ والمُعجزاتِ؟

وقيل: ألـم يُخبِرْكم الرسلُ أنَّ عذابَ جهنَّمَ مخلَّدٌ لا تخفيفَ فيه ولا انقطاعَ؟

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: الكفّارُ ﴿بَلَىٰ قَالُواْ﴾؛ أي: الخزنةُ ﴿فَٱدْعُواْ﴾ أنتم ما شئتُم فلا استجابةَ لدُعائِكم، وقيل: هذا استهزاءٌ بهم.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: لا يُسمَعُ ولا يُجابُ.

يجوزُ أن يكونَ من كلامِ الخزنةِ، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا منَ الله.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ بالغلبةِ والحجَّةِ والانتقامِ منَ الكفرةِ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: وننصرُ المُؤمنينَ على سائرِ الأديانِ.

﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بالغلَبةِ والحجّةِ ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾؛ أي: ولهم الغلَبةُ في القيامةِ أيضًا حين يَحضرُ الشُّهودُ، فشهدَتْ للأنبياءِ بالتَّبليغِ، وللمُؤمنينَ بالتَّصديقِ، وللكافرينَ بالتَّكذيبِ.

والأشهادُ: جمعُ شاهدٍ وشهيدٍ.

الحسنُ: ﴿الْأَشْهَـٰدُ﴾: الرُّسلُ[1].

وقيل: هم الحفَظةُ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ بدلٌ منَ الأوَّلِ ﴿لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾؛ أي: لا يُقبَلُ عُذرُهم.

﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: السُّخطةُ ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾ يعني: عذابَ جهنَّمَ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾؛ أي: التَّوراةَ ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أعطَيناهُم على لسانِ الرُّسلِ ﴿الْكِتَـٰبَ﴾؛ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ.

* * *

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٨) عن الضحاك.

(٥٤) ـ ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿هُدًى﴾ من الضَّلالةِ ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: وموعظةً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي العقولِ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمَّدُ على أذى المشركينَ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالنُّصرةِ ﴿حَقٌّ﴾ كائنٌ في الدُّنيا، وقيل: في الآخرةِ.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ هذه الآيةُ نزلَتْ قبلَ قولِه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ﴾ الآية [إبراهيم: ١٠].

وقيل: واستغفِرْ من ذنبٍ إنْ كانَ منك.

وقيل: لذنبِ أمَّتِك.

وقيل: تُعُبِّدَ بالاستغفارِ ليصيرَ سنَّةً.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾؛ أي: دائمًا.

وقيل: قبل صلاةِ اللَّيلِ وصلاةِ النَّهارِ.

الحسنُ: صلاتُه قبلَ فرض الصلاة[1] بمكَّةَ؛ ركعتانِ بكرةً وركعتانِ بالعشيِّ[2].

والباءُ للحالِ؛ أي: سبِّحْه حامِدًا.

---

(١) «صلاة الفرض»: ليست في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

وقيل: سبِّحْه بقولك: الحمدُ لله.

***

(٥٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّها نزلَتْ في مُشركي مكّةَ، وأرادَ بالصُّدورِ القلوبَ، وبالكبرِ الحسدَ والأمرَ العظيمَ، كقولِه: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١] والمعنى: ما في صدورِهم إلّا عَظَمةٌ[١].

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾؛ أي: ببالغي تلك العظمةِ؛ فإنَّ الله يخذُلهم.

وقيل: عظمَ كبرُهم حتَّى كأنَّه ما في صدورِهم إلّا كبرٌ.

والثّاني[٢]: أنَّها نزلَتْ في اليهودِ حين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ صاحبَنا المسيحُ بنُ داودَ = يعنُونَ: الدَّجّالَ.

الشَّعبيُّ: كنيتُه أبو يوسفَ.

ومَن رَوَى «المسِّيح» بالكسرِ والتَّشديدِ فغيرُ مرضيٍّ عندَ المُحدِّثين

= وإنَّه يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ، فيبلغُ سلطانُه البرَّ والبحرَ، ويرُدُّ المُلكَ إلينا، وتسيرُ معه الأنهارُ، وهو آيةٌ من آياتِ الله، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ، ثمَّ قالَ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: من فتنةِ الدَّجّالِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

(٢) في (ف): «والأكثر».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٢)، واستغربه.

(٥٧) ـ ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ فما لكم تُنكِرونَ البعثَ؟

وقيل: ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾؛ يعني: الدَّجّال، ردٌّ على اليهودِ حين عظَّموا أمرَه.

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالَتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ قبلَ خروجِ الدَّجّالِ ثلاثَ سنين، أوَّلُ سنةٍ تُمسِكُ السَّماءُ ثُلثَ قَطْرِها، وتُمسكُ الأرضُ ثُلثَ نباتِها، والسَّنةُ الثّانيةُ تُمسِكُ السَّماءُ ثُلثَي قطرِها، وتُمسِكُ الأرضُ ثُلثَي نباتِها، والسَّنةُ الثّالثةُ تُمسِكُ السَّماءُ ما فيها، والأرضُ ما فيها، ويَهلِكُ كلُّ ذاتِ ضِرْسٍ وظِلْفٍ»(١).

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه قالَ: «خطَبَنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، فكان أكثرَ خُطبتِه أن يُحدِّثَنا عن فتنةِ الدَّجّالِ، وأنَّ الله تعالى لم يبعَثْ نبيًّا إلّا حذَّرَه أمَّتَه، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخرُ الأممِ، وهو خارجٌ فيكم لا محالةَ، فإنْ يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُ كلِّ مسلمٍ، وإنْ يخرُجْ بعدي فكلُّ امرئٍ حجيجُ نفسِه، والله خليفَتي عن كلِّ مسلمٍ، إنَّه يخرجُ بين العراقِ والشّامِ فيعيثُ يمينًا وشمالًا، فيا عبادَ الله اثبُتوا؛ فإنَّه يبدأ فيقولُ: أنا نبيٌّ، ولا نبيَّ بعدي، ثمَّ يقولُ بعد ذلك: أنا ربُّكم، ولن ترَوا ربَّكم حتَّى تموتوا، وإنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعورَ، وإنَّه مكتوبٌ بينَ عينَيه(٢): كافرٌ، يقرؤه كلُّ مؤمنٍ، فمَن لقيَه منكم فليتفُلْ في وجهِه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٧٥٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٥٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤٥): «رواه أحمد والطبراني من طرق... وفيه شهر بن حوشب وفيه ضعف وقد وثق».

(٢) بعدها في (ن): «ك ف ر أي».

وإنَّ مـن فتنتِـه: أنَّ معـه جنةً ونارًا، فنـارُه جنّةٌ وجنَّتُه نـارٌ، فمَن ابتُلـيَ بنارِه فيقرأ فواتـحَ سـورةِ الكهـفِ ويسـتغيثُ بـالله، فتكـونُ عليه بـردًا وسـلامًا كمـا كانت على إبراهيمَ عليه السَّـلامُ.

وإنَّ من فتنتِه: أنَّ معه الشَّياطينَ تتمثَّلُ على صورةِ النّاسِ، فيأتي الأعرابيُّ، فيقولُ: إنْ بعثْتُ لك أباكَ وأمَّكَ أتشهدُ أنِّي ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثَّلُ له شياطينُه على صورةِ أبيه وأمِّه، فيقولانِ له: يا بنيَّ اتَّبِعْه؛ فإنَّه ربُّك.

وإنَّ من فتنتِه: أن يُسلَّطَ على نفسٍ فيقتُلَها ثمَّ يحييَها، ولن يعودَ لها بعد ذلك، ولا يصنعُ ذلك بنفسٍ غيرِها، فيقولُ: انظُروا إلى عبدي هذا فإنِّي بعثتُه الآنَ، ويزعمُ أنَّ له ربًّا غيري» =

مُقاتلُ بنُ سُليمانَ: الرَّجلُ الذي يُسلَّطُ عليه الدَّجَّالُ رجلٌ من خَثْعَمَ، فيبعثُه فيقولُ: مَن ربُّك؟ فيقولُ: ربِّي الله، وأنتَ الدَّجَّالُ عدوُّ الله[1].

وقيل: إنَّ النَّفسَ التي يُسلَّطُ عليه الدَّجَّالُ إلياسُ عليه السَّلامُ.

= «وإنَّ من فتنتِه: أن يقولَ للأعرابيِّ: أرأيتَ إنْ بَعَثْتُ لك إبلَكَ، أتشهدُ أنِّي ربُّك؟ فيقولُ: نعم، فيتمثَّلُ له الشَّياطينُ على صورةِ إبلِه.

وإنَّ من فتنتِه أن يمرَّ بالحيِّ فيُكذِّبوه فلا تبقَى لهم سائمةٌ إلا هلَكَتْ، ويمرَّ بالحيِّ فيُصدِّقونَه، فيأمرُ السَّماءَ أن تُمطرَ فتُمطرُ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنبِتَ فتُنبِتُ، فتروحُ لهم مواشيهم من يومِهم ذلك أعظمَ ما كانت وأسمنَه وأَدَرَّه ضُروعًا.

وإنَّ أيامَه أربعونَ يومًا؛ فيومٌ كالسَّنةِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كالشَّهرِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كالأسبوعِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ كاليومِ، ويومٌ دونَ ذلك، ويومٌ يُصبحُ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٠) عن مقاتل بن حيان.

الرَّجلُ ببابِ المدينةِ فلا يبلُغُ بابَها الآخرَ حتَّى تغرُبَ الشَّمسُ»، قالوا: يا رسولَ الله، فكيفَ نُصلِّي في تلك الأيَّامِ القِصارِ؟ قال: «تُقدِّرون فيها كما تُقدِّرونَ في هذه الأيام الطِّوالِ، ثمَّ تُصلُّونَ.

وإنَّه لا يبقى شيءٌ منَ الأرضِ إلا وطِئَه وغلبَ عليه، إلّا مكةُ والمدينةُ؛ فإنَّه لا يأتيهما من نَقْبٍ من أنقابِهما إلّا لقِيَه ملَكٌ مُصْلِتٌ بالسَّيفِ، حتَّى ينزلَ الكثيبَ الأحمرَ عندَ مُجتمعِ السُّيولِ عند مُنقطعِ السَّبخةِ، ثمَّ ترجُفُ المدينةُ بأهلِها ثلاثَ رجفاتٍ فلا يبقى منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرَجَ إليه، تنفي المدينةُ يومَئذٍ الخبثَ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ، يُدعى ذلك اليومُ يومَ الخلاصِ».

فقيل: أين النّاسُ يومئذٍ؟ قال: «ببيتِ المقدسِ، يخرجُ حتَّى يُحاصرَهم، وأمامَ النّاسِ يومئذٍ رجلٌ صالحٌ، فيُصبحُ يومًا ويدخلُ صلاةَ الصُّبحِ، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فإذا رآه ذلك الرَّجلُ عرَفَه، فرجعَ يمشي القَهقَرى، فيتقدَّمُ عيسى عليه السَّلامُ، فيضعُ يدَه بين كتفَيه فيقولُ له: صلِّ فإنَّما أُقيمَتْ لك الصَّلاةُ، فيُصلِّي عيسى عليه السَّلامُ وراءَه، ثمَّ يقولُ: افتَحُوا البابَ، فيفتَحونَ البابَ ومع الدَّجّالِ يومَئذٍ سبعونَ ألفَ يهوديٍّ، كلُّهم ذو سلاحٍ وسيفٍ مُحلًّى، فإذا نظرَ إلى عيسى عليه السَّلامُ ذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ في النّارِ، والملحُ في الماءِ.

ثمَّ يخرُجُ فيقولُ له عيسى عليه السَّلامُ: إنَّ لي فيك ضربةً لن تفوتَني بها، فيُدرِكُه عند بابِ الشَّرقيِّ فيقتلُه، فلا يبقَى شيءٌ مما خلقَ الله تعالى يتوارَى به يهوديٌّ إلا أنطقَ الله ذلك الشَّيءَ، لا شجرٌ ولا حجرٌ ولا دابّةٌ إلا قال: يا عبدَ الله المسلمَ، هذا كافرٌ فاقتُلْه، إلّا الغرقدَ؛ فإنَّها من شجرِهم فلا ينطقُ.

ويكونُ عيسى عليه السَّلامُ حكَمًا عَدْلًا، وإمامًا مُقسِطًا، فيدُقُّ الصَّليبَ، ويقتلُ

الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويتركُ الصَّدقةَ فلا يسعى على شاةٍ ولا بقرةٍ، وتُرفَعُ الشَّحناءُ والتَّباغُضُ، وتُنزَعُ حُمَةُ كلِّ دابَّةٍ حتَّى يُدخِلُ الوليدُ يدَه في في الحنَشِ فلا يضرُّه، ويُلقَى الوليدُ الأسدَ فلا يضرُّه، ويكونُ في الإبلِ كأنَّه كلبُها، ويكونُ الذِّئبُ في الغنَمِ كأنَّه كلبُها، ويملأُ الأرضَ منَ الإسلامِ، ويسلُبُ الكفَّارَ مُلكَهم، ولا يكونُ الملكُ إلّا الإسلامَ، وتكونُ الأرضُ كفاثُورِ(١) الفضّةِ ينبُتُ(٢) نباتُها كما كانَتْ على عهدِ آدمَ عليه السَّلامُ، ويجتمعُ النَّفرُ على الرُّمَّانةِ، ويكونُ الفرَسُ بالدُّرَيهماتِ، ويكونُ الثَّورُ بالدَّراهمِ الكثيرة»(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الدَّجّالَ خلقٌ من خلقِ الله.

وقيل: لا يعلمون أنَّ الآخرةَ حقٌّ كائنٌ.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ (لا) زائدةٌ ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعِظونَ.

* * *

---

(١) الفاثور: الخوان. انظر: «النوادر» لأبي زيد (ص: ٣٥٦).

(٢) في (ف): «تنبت».

(٣) قطعة من حديث طويل رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥١٦)، وابن ماجه (٤٠٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٨ ـ ٢٢٢) واللفظ له، وروى بعضه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٠) وصححه. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٠٩): « هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر».

(٥٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: قيامَ السّاعةِ ﴿لَأَاتِيَةٌ﴾: كائنةٌ، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شكَّ فيها عندَ المؤمنين، وقيل: لا تشُكُّوا فيها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصدِّقونَ.

***

(٦٠) ـ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: وحِّدوني أغفِرْ لكم، وقيل: ادعُوني فيما ينوبُكم منَ النَّوائبِ ويعرِضُ لكم منَ الحوائجِ أستجِبْ دُعاءَكم، وقد سبقَ في قولِه: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبَّرونَ ﴿عَنْ عِبَادَتِى﴾: توحيدي وطاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغِرينَ.

***

(٦١) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: لتستَريحوا من تعبِ النَّهارِ.

وقيل: تخلُوا بنفسِكُم فتُحاسِبُوها.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ قيل: مُضيئًا.

وقيل: يُبصِّرُكم المرئيَّاتِ.

وقيل: مُبصَرًا فيه، وقد سبق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بخلقِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وقيل: لَذُو فضلٍ على الكافرينَ بتأخيرِ العذابِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ ابنُ هيضمٍ: جعلَ اللَّيلَ مُناسبًا للسُّكونِ منَ الحركةِ؛ لأنَّ الحركةَ على وجهَين: حركةُ طبعٍ وحركةُ اختيارٍ، وحركةُ الطَّبعِ منَ الحرارةِ، وحركةُ الاختيارِ منَ الخَطَراتِ المُتتابعةِ بسببِ الحواسِّ، فخلقَ اللَّيلَ باردًا ليُسكِّنَ الحركةَ مُظلمًا ليسدَّ الحواسَّ(١).

***

(٦٢) - ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ قيل: كلُّ شيءٍ يُباينُه.

وقيل: ﴿كُلِّ﴾ بمعنى: البعضِ.

وقيل: عامٌّ خُصَّ منه ما لا يدخلُ في الخلقِ.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: تُصرَفونَ عن الحقِّ، وقيل: تكذِّبون.

***

(٦٣) - ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾؛ أي: يُصرَفُ، وقيل: يُكذِّبُ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٣) واستغربه، وفيه: «... فخلق الليل بارداً لتسكن فيه الحركة...».

(٦٤) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾: موضعَ استقرارٍ عليها وفيها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾: سقفًا فوقكم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ صورةُ الإنسانِ أحسنُ الصُّورِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: اللَّذيذاتِ، وقيل: الحلالاتِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾؛ أي: الحيُّ الذي لا يموتُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾: فاعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾؛ أي: مُوَحِّدين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ أي هو الذي يجبُ أن يحمَدَه عبادُه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إذا قُلتُم: «لا إلهَ إلا الله» فصِلُوه بـ«الحمدُ لله ربِّ العالمين»(١).

* * *

(٦٦) ـ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى ﴾: هو القرآنُ، وقيل: العقلُ والوحيُ.

---

(١) لم أقف عليه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٣).

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أستقيمَ وأنقادَ.

* * *

(٦٧) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالًا.

وقيل: واحدًا بعد واحدٍ.

وقيل: كلَّ واحدٍ منكم طفلًا.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟﴾؛ أي: ثمَّ يُبقيكم لتبلُغوا ﴿أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: يموتُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبلَ بلوغِ الأشُدِّ.

وقيل: قبلَ كونِه شيخًا.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: انقضاءَ الأجلِ، وقيل: أرادَ به القيامةَ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وحدانيّةَ الله وقُدرتَه.

* * *

(٦٨) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أرادَ كونَ شيءٍ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سبق في (البقرةِ).

* * *

(٦٩) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ ذكرُ الجدالِ مُكرَّرٌ في السُّورةِ في ثلاثِ[1] مواضعَ، فجازَ أن يكونَ في ثلاثةِ أقوامٍ أو ثلاثةِ أصنافٍ، وجاز أن يكونَ التَّكرارُ للتَّأكيدِ.

***

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ جمعَ بينَ (سوفَ) و(إذ) وبينَهما تضادٌّ؛ لأنَّ المتوقَّعَ في حكمِ الموجودِ، ولأنَّ أكثرَ ألفاظِ القيامةِ جاءَتْ بلفظِ الماضي تحقيقًا.

المُبرِّدُ: (إذ) صارَتْ زمانًا قبل (سوفَ)؛ لأنَّ العلمَ وقعَ منهم بعد ثُبوتِ الأغلالِ، والمعنى: علِموا مسَّ الأغلالِ الذي كانُوا وُعِدوه بعدَ أن حقَّ بالوجودِ، واستدلَّ بقولِ أبي ذُؤَيب:

فسوفَ تقولُ إذ هي لم تجِدْني ... أَخانَ العَهْدَ أم أثِمَ الحليفُ[2]

لأنَّ القولَ كانَ بعدَ فقدِها[3].

﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: يُجرُّونَ في الماءِ الحارِّ ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾؛ أي: يُعذَّبونَ مرّةً بهذا ومرّةً بهذا.

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «ثلاثة».

(٢) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٩٩)، و«المحكم» (٣/ ٣٤٥)، و«لسان العرب» مادة: (ح ل ف)، ورواية الديوان: «إن هي» بدل «إذ هي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٢٣)، واستغربه.

وقيل: يُعذَّبونَ بالماءِ الحارِّ ثمَّ يُحرَقُونَ بالنّارِ.

مُقاتلٌ: ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ يعني: في حرِّ النّارِ.

و﴿السلاسلُ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ، وما بعدَها خبرُه، والتَّقديرُ: يُسحَبُونَ بها في الحميمِ.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: تقولُ لهم الخزنةُ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامُ التي تعبُدونَها.

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: اشتَغَلُوا بأنفُسِهم.

وقيل: ضاعُوا عنا ولم يصِلْ إلينا ما كنّا نرجوه منَ النَّفعِ والشَّفاعةِ.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ندعو شيئًا يستحقُّ العبادةَ. هذا على قولِ مَن لم يُجوِّزْ أن يكونَ في القيامةِ كذبٌ. ومَن جوَّزَ قال: أنكَروا عبادتَهم الأصنامَ. والأوَّلُ أظهَرُ؛ لقولِهم: ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾.

وقيل: لمَّا ذُمُّوا على إقرارِهم أنكَرُوا.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قيل: عن الحجّةِ.

وقيل: عن الإيمانِ.

وقيل: عن طريقِ الجنّةِ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي العذابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾: تبطَرونَ وتتكبَّرونَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالباطلِ ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾؛ أي: هذا جزاءُ فرحِكُم بتكذيبِ الأنبياءِ وأشَرِكم[1] وكفرِكُم لنِعَمِ الله واستهزائِكُم بالمؤمنين.

الفرحُ: السُّرورُ. والمرَحُ: البطرُ.

وقيل: الفرحُ: الشِّرك. والمرَحُ: العُدوانُ.

وقيل: الفرحُ: الإفراطُ في إظهارِ السُّرورِ. والمرَحُ: الخيَلاءُ والإعجابُ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: يُقالُ لهم: ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: بئس منزلُ مَن تكبَّرَ عن الإيمانِ جهنَّمُ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بهلاكِ الكفّارِ ﴿حَقٌّ﴾: كائنٌ.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ منَ العذابِ، وهو القتلُ والأسرُ، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أن نُريَكَ عذابَهم في الدُّنيا، ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ في الآخرةِ، فنجزيهم بأعمالِـهم.

* * *

---

(١) في (ن): «وشرككم».

(٧٨) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إلى أُممِهم ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني: سمَّيناهُم لك فأنتَ تعرِفُهم، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: لـم نُسمِّهم لك، فصبَروا على أذى القومِ، فتأسَّ بهم واصبِرْ.

ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الأنبياءَ معدودونَ، وأنَّ عددَهم مئةُ ألفٍ[١] وعشرونَ ألفًا.

وبعضُهم ذهبَ إلى أنَّ عددَهم ثمانيةُ آلافٍ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ عددَهم غيرُ معلومٍ، ولا يجوزُ حصرُهم، بل يجبُ الإيمانُ بجُملتِهم.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: بعَثَ الله نبيًّا أسودَ لـم يقُصَّ علينا قصَّتَه. وفي روايةٍ: بعَثَ حبشيًّا عبدًا أسودَ[٢].

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بإذنِه لـه فـي الإتيـانِ بالآيـةِ، وإذنُـه إيّـاه: إعطـاؤُه إيّاها وأمرُه بعرضِهـا، وذلك أنَّ كفَّارَ مكّةَ سـألوا رسـولَ الله ﷺ أن يأتيَهـم بآيةٍ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: بالعذابِ لهم ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أُهلِكُوا.

---

(١) في (ف) زيادة: «وأربع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١١٩)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣١٩)، بلفظ: «بعث الله عبداً حبشيًّا نبيًّا، فهو الذي لم نقصص عليك»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢): «فيه جابر الجعفي وهو ضعيف».

وقيل: ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الساعةُ ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لـم يُظلَمُوا إذا عُذِّبوا.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الآيةُ التي اقترحُوها، ويقعُ الاضطرارُ عندَها.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: الكافرون. والمُبطِلُ: صاحبُ الباطلِ.

* * *

(٧٩) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾: خلقَ لكم ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: لتركَبُوا بعضَها وتأكُلُوا بعضَها.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾؛ أي: الألبانُ والأوبارُ والأشعارُ.

﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾؛ أي: لتُسافِرُوا عليها.

وقيل: لتبلُغوا عليها ما تحتاجُونَ إليه منَ الأمورِ.

وقيل: هو من قولِه تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ الآية [النحل: ٧].

﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ أي: على الأنعامِ ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿تُحْمَلُونَ﴾ قيل: من قولِ العربِ: حملتُ فلانًا على الفرسِ؛ إذا وهَبْتَ له فرَسًا.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وهي أكثرُ من أن تُحصَى، ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ أنَّها

ليس من عندِ الله. و(أيَّ) منصوبٌ بـ﴿تُنكِرُونَ ﴾، ولو أثبتَّ الهاء رفعتَ، بخلافِ «أزيدًا ضربتَه؟»، فرَّقَ سيبويهِ بينهما[1].

***

(٨٢) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ فيما سلكُوه من سبُلِهم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً ﴾ في الأبدانِ والعددِ ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: لم يُغْنِ عنهم جميعُ ذلك شيئًا.

وقيل: ما أغنى عنهم؟ استفهامٌ، ومحلُّ (ما) نصبٌ.

***

(٨٣) ـ ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾؛ أي: أُعجِبُوا بجهلِهم، وظنُّوه علمًا، ولم يلتفِتُوا إلى ما آتاهم الرُّسلُ منَ العلمِ.

وقيل: علمُهم قولُهم: لن نُبعَثَ ولن نُعذَّبَ.

وقيل: من قلَّةِ علمِهم رضُوا بما عندَهم.

وقيل: منَ العلمِ علمُ التِّجارةِ والصِّناعاتِ.

وقيل: فيه[2] تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فلما جاءَتهم رسلُهم بالبيِّناتِ منَ العلمِ فرِحُوا بما عندَهم وحاقَ[3].

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٠٥).

(٢) «فيه» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٤)، واستغربه.

وقيل: فرِحُوا؛ أي: الرُّسلُ بما عندَهم منَ العلمِ بنَجاتِهم وهلاكِ الكفّارِ[1].

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاطَ بهم ولزِمَهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: جزاءُ فعلِهم وقولِـهم.

***

(٨٤) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾: عاينُوا العذابَ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ أي: تبرَّأنا منَ الأصنامِ.

***

(٨٥) ـ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ لأنَّه إيمانُ إلجاءٍ واضطرارٍ.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: سنَّ الله سنَّةً بينَهم، وهي عذابُ الكفّارِ، وعدمُ الانتفاعِ بالإيمانِ وقتَ البأسِ.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: هلَكَ عند ذلك المُكذِّبون.

وقيل: تبيَّنَ لهم خُسرانُهم إذا رأوا العذابَ.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٤)، وعده من العجائب.

سُورَةُ فُصِّلَت

سورةُ حم السَّجدة

أربعٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿حمٓ﴾.

﴿حمٓ﴾ اسمُ السُّورةِ، وسُمِّيت هذه السُّوَرُ السَّبعُ «حم» على الاشتراكِ في الاسمِ، لِمَا بينهنَّ منَ التَّشاكُلِ الذي اختصَّتْ به، وهو أنَّ كلَّ واحدةٍ منها استُفتِحَتْ بالكتابِ، أو صفةِ الكتابِ، مع تقارُبِ المقاديرِ في الطُّولِ والقِصَرِ، وتشاكُلِ الكلامِ في النِّظامِ.

(٢) ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ أي: نزلَ به جبريلُ عليه السَّلامُ من عندِ الله.

و﴿تَنزِيلٌ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتُه ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ خبرُه.

وإن شئتَ رفعتَ ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ﴾ بالابتداءِ، و﴿تَنزِيلٌ﴾[2] بالخبرِ، وهذا أولى؛ لأنَّهم أنكَروا أنَّه من الله.

---

(١) «أربع وخمسين آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٠)، وفيه: «وهي خمسون وآيتان بصري وشامي، وثلاث مدنيان ومكي، وأربع كوفي، اختلافها آيتان...».

(٢) في النسختين: «و﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾»، وهو سهو فهذه الآية من سور أخر لا من هذه السورة.

الفرَّاءُ: هذا تنزيلٌ[١].

وقيل: ﴿حمٓ﴾ مُبتدأ، ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبرُه.

* * *

(٣) ـ ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأمرِ والنَّهيِ، والحلالِ والحرامِ، والوعدِ والوعيدِ.

وقيل: ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بفواصلِ فصاحةٍ وبلاغةٍ وإعجازٍ.

وقيل: ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أُظهِرَتْ دلالاتُه وحجَجُه.

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾: بلسانِ العربِ. و﴿قُرۡءَانًا﴾ نصبٌ على الحالِ منَ الهاءِ.

وقيل: نصبٌ على المدح[٢].

وقيل: على التَّمييزِ[٣].

وقيل: فصَّلناه قرآنًا.

والقولُ هو الأوَّلُ، والكوفيُّون يُسمُّونَه قطعًا.

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ العربيَّةَ، وقيل: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ فيُصدِّقون.

* * *

(٤) ـ ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾.

﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ صفتانِ للقرآنِ، وقيل: حالانِ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

أي: يُبشِّرُ المؤمنين ويُنذِرُ[1] الكافرينَ بما فيه منَ البِشارةِ والنِّذارةِ.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ عن قبولِه واتِّباعِه.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يقبَلُون، وقيل: لا ينتَفِعون بسماعِه.

وقيل: إذا تلاهُ النَّبيُّ ﷺ لا يسمَعُونَ.

***

(٥) ـ ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾: أغطِيَةٍ، جمعُ (كِنانٍ)، ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ منَ التَّوحيدِ، فلا نفهمُه ولا نَعيْه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾: صَمَمٌ فلا نسمَعُه، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾: سِتْرٌ وغِطاءٌ، وقيل: خلافٌ في الدِّين.

ويحتمِلُ أنَّ هذا استهزاءٌ منَ الكفَّارِ وجوابٌ لقولِه: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقولِه: ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥].

وقيل: إنَّ هذا يجري مَجرى المثَلِ؛ أي: حالُنا معك حالُ مَن يكونُ بهذه الصِّفةِ.

﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ في دينِك ولربِّك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ في دينِنا ولربِّنا.

وقيل: اعمَلْ لهلاكِنا وإبطالِ دينِنا ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ لهلاكِكَ وإبطالِ دينِكَ.

وقيل: ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ لآخرتِك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ لدُنيانا.

***

(١) في (ف): «بشيرًا المؤمنين ومنذرًا».

(٦) ـ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ في الطَّبعِ والجنسِ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾؛ أي: لستُ بملَكٍ ولا ملِكٍ، ولا أطلُبُ بمقالَتي رئاسةً، إنَّما أُعلِّمُكم ما يُوحَى إليَّ من أنَّ المعبودَ واحدٌ.

الحسنُ: علَّمَه التَّواضُعَ بقولِه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾(١).

﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾: وجِّهوا وجوهَكم إليه.

وقيل: معناه: واستَقيمُوا له.

ابنُ بحرٍ: معنى الآيةِ: لو كان كفرُكم بي كانَ سهلًا عليكم؛ لأنِّي بشرٌ مثلُكم، ولكنَّه كفرٌ بالله فهو يُدخِلُكم به النّارَ(٢).

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾؛ أي: منَ الشِّركِ ﴿وَوَيْلٌ﴾: فشِدَّةُ عذابٍ ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

* * *

(٧) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: لا يعتقِدون وُجوبَها.

الحسنُ: لا يُطيعونَ الله في الطَّاعةِ التي يصيرون بها أزكياءَ(٣).

وقيل: ﴿ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ هاهنا: الإيمانُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦٩).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يشهَدونَ أنْ لا إلهَ إلا الله[1]، وهي زكاةُ الأنفُسِ.

وقيل: لا يُطهِّرون أنفُسَهم؛ فإنَّما المشركونَ نجَسٌ، والزَّكاةُ بمعنى: التَّطهيرِ.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ يعني: بالبعثِ بعد الموتِ، والثَّوابِ والعقابِ.

***

(٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾: غيرُ منقوصٍ ولا مقطوعٍ عنهم، ولا ممنونٍ به عليهم.

***

(٩) ـ ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾؛ أي: في وقتٍ على مقدارِ يومَينِ من أيَّامِ الدُّنيا.

وقيل: من أيَّامِ الآخرةِ.

ويحتمِلُ: أنَّه خلقَ في كلِّ يومٍ ما خلَقَ في أسرعِ ما يكونُ من غيرِ استغراقِ اليومِ به، ثمَّ في اليومِ الثّاني وما بعدَه كذلك.

وقيل: إنَّما أحدَثَ شيئًا بعد شيءٍ مع قُدرتِه على خلقِ جميعِها في أيسرِ وقتٍ ليُرشِدَ خلقَه إلى الأَناةِ في أمورِهم، وليكونَ بصيرةً لمَن رأى ذلك، وحُجَّةً لمَن سمعَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١).

وقيل: إنَّما فرَّقَ بينهما لأنَّ فيها الشَّيءَ وضدَّه، ومُحالٌ الجمعُ بين الضِّدَّين، كاللَّيلِ والنَّهارِ، وكذلك بين المُختلِفينَ والمُختلفاتِ، كالطَّلعِ والبُسرِ، والرُّطَبِ والتَّمرِ.

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شُركاءَ وأشباهًا.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي خلَقَ ما سبقَ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالقُ جميعِ الموجوداتِ وسيِّدُها ومُربِّيها.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾؛ أي: في الأرضِ جبالًا، والرَّواسي: جمعُ راسيةٍ، من: رَسا أصلُه(١).

وقيل: لأنَّ الأرضَ رسَتْ بها(٢).

الماورديُّ: سُمِّيت رواسيَ لعلوِّ رؤوسِها(٣)، ذهبَ إلى أنَّها مشتقٌّ منَ الرأسِ، وهو سهوٌ، وذكرَ غيرَه أيضًا.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: في الأرضِ، أنبتَ شجرَها من غيرِ غرسٍ، وأخرجَ زرعَها من غيرِ بَذْرٍ، وأودَعَها منافعَ أهلِها.

وقيل: ﴿فِيهَا﴾ يعودُ إلى الرَّواسي؛ أي: جعلَ فيها معادنَ الذَّهبِ والفِضّةِ وسائرَ الفِلِزّاتِ.

---

(١) جزء من بيت للسموءل بن عادياء ذكره القالي في «أماليه» (١/ ٢٦٩)، وتمامه:

رسا أصله تحت الثرى وسما به ... إلى النجم فرع لا يُرام طويلُ

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ١٧٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٨)، وعده من العجائب.

قال الشَّيخُ: قولُنا: «فِلِزَّات» أرَدْنا بها: كلَّ ما يُذابُ منَ الذَّهبِ والفِضّةِ والنُّحاسِ وما أشبهَها، وهو ثمانيةُ أشياءَ[١].

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾: في الأرضِ ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ قيل: هي المطرُ.

وقيل: قدَّرَ في كلِّ قريةٍ عملًا لا يصلُحُ في الأخرى[٢].

وقيل: أرزاقَ أهلِها.

﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: في تتمَّةِ أربعةِ أيامٍ، وهذا التَّقديرُ سائغٌ في الكلامِ شائعٌ، تقولُ: سرتُ منَ البصرةِ إلى بغدادَ في عشرةٍ، وإلى الكوفةِ في خمسةَ عشرَ؛ أي: في تتمَّةِ خمسةَ عشرَ، فلا يكونُ بينَ قولِه تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وبينَ هذه الآياتِ مُناقَضةٌ كما زعمَتِ الملاحدةُ.

﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: للسَّائلينَ الرِّزقَ والقُوتَ؛ أي: لطالِبِيْه.

والثَّاني: سواءً لمَن يسألُ ولمَن لـم يسألْ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وأنا رديفُه يقولُ: «خلَقَ اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ[٣] بأربعةِ آلافِ سنةٍ، وخَلَقَ الأرزاقَ قبل الأرواحِ بأربعةِ آلافِ سنةٍ، سواءً لمَن سألَ ولمَن لـم يسألْ، وأنا منَ الذين لـم يسألُوا الله الرِّزقَ، ومَن سألَ فهو جهلٌ منه»[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٣٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لا يُصْلح الأخرى».

(٣) في (ف): «الأجسام».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١٩)، وذكر بعضه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٨) عن =

ونصبُ ﴿سَوَآءً﴾ على المصدرِ، ومَن جرَّه جعلَه وصفًا للأيّامِ؛ أي: لا زائدٍ ولا ناقصٍ، ومَن رفَعَ فعلى الخبرِ[1]؛ أي: هو سواءٌ.

والثّالثُ: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ في: كم مدَّةُ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ وما بينهما؟ لأنَّ اليهودَ سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك.

***

(١١) ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: قَصَدَ نحوَها.

وقيل: صَعِدَ أمرُه إلى السَّماءِ.

وقيل: معنى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: لم يخلُقْ بعدَ الأرضِ وما عليها شيئًا إلّا السَّماءَ، وقد سبقَ.

وليس بينَ هذه الآيةِ وبين قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] مُناقَضةٌ كما زعمَتِ الملاحدةُ[2] من وجهَين:

أحدُهما، وهو قولُ الجمهورِ: أنَّ الأرضَ خُلِقَتْ قبلَ السَّماءِ غيرَ مَدْحوَّةٍ، ثمَّ دُحِيَتْ بعدَ خلقِ السَّماءِ.

والثَّاني: أنَّ السَّماءَ خُلِقَتْ قبل الأرضِ، و﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

= ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا عليه دون سند، قال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١١٦): «باطل لا أصل له».

(١) بالرفع أبو جعفر، وبالجر يعقوب، والباقون بالنصب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٦).

(٢) في (ف): «الملحدة».

لتَراخي الإخبارِ لا لتَراخي الخلقِ، ولأنَّ (ثمَّ) يأتي مع الجملة في مواضعَ ومعناها التَّقدُّمُ؛ كقولِه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧]، وقولِه: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وقد سبقَ كذلك في الآيةِ.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ابنُ عيسى: الدُّخانُ: جسمٌ لطيفٌ مُظلِمٌ مُتَنَفِّشٌ.

وقيل: هو بخارُ الماءِ.

وجاء في الخبرِ: أنَّ أوَّلَ ما خلقَه الله جوهرٌ، ونظرَ إليه بالهيبةِ فصارَ ماءً، وسلَّطَ عليه نارًا فارتفعَ البخارُ فخلقَ منه السَّماواتِ، ثمَّ أرسلَ ريحًا على الماءِ فارتفعَ زَبَدٌ فخلَقَ منه الأرضَ فكانتا رتقًا[1].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ فانفتَقَ البعضُ عن البعضِ وانتظَمَ الكلُّ، فذلك قولُه: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

وفي الإتيانِ والقولِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه عبارةٌ عنِ الإيجادِ والوجودِ، وليس ثَمَّ أمرٌ ولا قولٌ[2].

والثّاني: أنَّ الله تعالى خاطَبَهما وقدَّرَهما على الإجابةِ، فنطَقَ من سائرِ[3] الأرضِ موضعُ الكعبةِ، ومنَ السَّماءِ ما يُحاذيها، فجعَلَ الله لها حُرمةً على سائرِ الأرضِ.

وقيل: هذا خطابٌ بعد الوجودِ، ومعناه: جِيئا بما خلقْتُ فيكما، أمَّا أنتِ يا

---

(١) من الإسرائيليات، فقد ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» (٢٧/ ٥٤٦) ثم قال: «واعلم أن هذه القصة غير موجودة في القرآن، فإن دل عليه دليل صحيح قُبل وإلا فلا، وهذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود أنه التوراة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠) واستغربه.

(٣) «سائر»: ليست في (ف).

سماءُ فأطلِعي الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ، وأمَّا أنتِ يا أرضُ فأخرِجي ما خلقتُ فيكِ منَ النَّباتِ، فقالتا: جِئْنا بما أحدَثْتَ فينا مُستجيبَينِ لأمرِك.

وجُمِعَ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما سبعٌ جمعَ السَّلامةِ؛ لأنَّه وصفَهم بصفةِ العقلاءِ وهو المُخاطبةُ والمُحاورةُ فأُجرِيَ مُجراهم.

وقيل: أتينا بمَن فينا طائعين(١).

وقولُه: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾؛ أي: إذا لم تأتِيا طَوْعًا أتيتُما كَرهًا.

وقيل: معنى ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: اشتَدَّ عليكما أو لم يشتَدَّ.

وقيل: كُونا كما أردتُ مِن شدَّةٍ ولينٍ.

والطَّوعُ: اللِّينُ والسُّهولةُ من قولِه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ [المائدة: ٣٠].

والكرهُ: الشِّدَّةُ، من قولِه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ أي: شِدَّةٌ.

* * *

(١٢) ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾: خلقهنَّ وأتقنَ صُنعَهُنَّ، وجُمِعَ الضَّميرُ لأنَّ السَّماءَ للجنسِ، وقيل: لأنَّها جمعُ سماوةٍ.

﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى خلقَ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنَين، وخلقَ الجبالَ يومَ الثُّلاثاءِ، وخلقَ يومَ الأربعاءِ الشَّجرَ والماءَ والعمرانَ والخرابَ، فتلكَ أربعةُ أيَّامٍ، وخلَقَ يومَ الخميسِ السَّماءَ، وخلقَ يومَ الجمعةِ النُّجومَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

والشَّمسَ والقمرَ والملائكةَ وآدمَ صلَواتُ الله عليه». الحديثُ مرفوعٌ، وفي ذكرِ آدمَ معَهم إشكالٌ(١).

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قيل: أَمَرَ أهلَ كلِّ سماءٍ أمرَهم منَ العبادةِ.

وقيل: معناه: خلَقَ فيما خلَقَها.

وقيل: جعَلَ في كلِّ سماءٍ ملائكةً، فذلك أمرُها.

وقيل: أمرَ في كلِّ سماءٍ ما يُصلِحُها.

وقيل: الوحيُ هاهنا: الإرادةُ والتَّكوينُ، والأمرُ: الحالُ والهيبةُ.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: منَ الأرضِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بكواكبَ ﴿وَحِفْظًا﴾: وحفِظْناها منَ الشَّياطينِ حفظًا.

وقيل: مفعولٌ له.

وقيل: حالٌ؛ أي: زيَّنَّاها حافِظين.

وقيل: خُلِقَتِ الكواكبُ للزِّينةِ والحفظِ جميعًا.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالبِ غيرِ المغلوبِ ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: العالِمِ بمواقعِ الأمورِ.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧١) مصرِّحاً برفعه لكن دون راو ولا سند، ولم أجده هكذا مسنداً، والذي رواه مسلم (٢٧٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل».

(١٣) ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمانِ بعد هذا البيانِ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوَّفتُكم ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾: عذابًا شديدًا، وأصلُها: رَعدٌ معه نارٌ.

وقيل: وَقعةً مثلَ وقعةِ عادٍ وثمودَ؛ أي: ينزلُ بكم مثلُ ما نزلَ بهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ﴾ يعني: عادًا وثمودَ ﴿الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يُريدُ: آباءَهم ومَن كانَ قبلَهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ اختلَفُوا في هذا الضميرِ:

فقيل: هو عائدٌ إلى الرُّسلِ؛ أي: جاءَهم رسلٌ بعدَ الرُّسلِ.

وقيل: يعودُ إلى القومِ أيضًا، والمعنى: بينَ أيديهم ومعَهم.

وقيل: ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: مَن كانَ قبلَهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: مَن كانَ بعدَهم.

وقيل: جاءَتْهم الرُّسلُ فحذَّروهم من بينِ أيديهم الآخرةَ، ومن خلفِهم الدُّنيا.

وقيل: هذه عبارةٌ عن الكثرةِ، يُقالُ للشَّيءِ إذا كثُرَ: أتاهُ من بينِ يدَيه ومن خلفِه.

ويحتمِلُ ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: هم الذين عايَنُوهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: هم الذين وصلَ إليهم خبرُهم وكتبُهم.

وحقيقةُ بينَ يدَيه: أن يُستعملَ للشَّيءِ الحاضرِ، ومجازُه: أن يُستعمَلَ للشَّيءِ الماضي بزمانٍ قريبٍ.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾: بأنْ لا تعبُدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾.

وقيل: ﴿أَنْ﴾ هي المُفسِّرةُ والقولُ مُقدَّرٌ؛ أي: وقالوا: لا تعبُدوا إلا الله.

﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: القومُ ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسالَ رسولٍ ﴿لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً﴾ فلَمْ يتخالَجْنا شكٌّ في أمرِهم ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بزعمِكُم ﴿كَـٰفِرُونَ﴾: جاحِدونَ.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: تعظَّموا عن الإيمانِ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾.

وقيل: تجبَّروا في الأرضِ كِبرًا بغيرِ ما أذِنَ الله لهم فيه.

وقيل: بالظُّلمِ.

﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: لا أحدَ أشدُّ منَّا؛ أي: اغترُّوا بقُوَّتِهم وشوكتِهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أوسَعُ قُدرةً.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ هذه معطوفةٌ على قولِه: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: باردةً.

وقيل: شديدةَ السَّمومِ.

وقيل: شديدةَ الصَّوتِ، واشتقاقُه منَ الصَّريرِ.

وقيل: باردةً ذاتَ صوتٍ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّها الدَّبورُ.

﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾: مشؤُوماتٍ عليهم، تقولُ: نُحِسَ نَحْسًا فهو منحوسٌ، كقولِـهم: سُعِدَ فهو مسعودٌ.

وقيل: بارداتٍ، والنَّحسُ: البردُ.

وقيل: ذاتِ غُبارٍ(١).

وقيل: مُتتابعاتٍ(٢).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُنَّ آخرَ شوَّال منَ الأربعاءِ إلى الأربعاءِ، وما عُذِّبَ قومٌ إلا في يومِ الأربعاءِ(٣).

والنَّحْسُ: مصدرٌ؛ لقولِه: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ [القمر: ١٩] فأضافَ إليه، والكسرُ اسمُ الفاعلِ، والتَّسكينُ تخفيفُه(٤)، وإن شئتَ قلتَ: وُصِفَ بالمصدرِ.

﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: عذابَ الهُونِ الذي يُستَحْيَى من مثلِه لفضيحةِ أهلِه.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾: أشدُّ إهانةً لهم من عذابِ الدُّنيا.

﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا يُمنَعُ العذابُ عنهم.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٠)، واستغربه.

(٣) ذكر الماوردي في «النكت العيون» (٥/ ١٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما شطره الثاني، وهو: «ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء»، والباقي ذكره دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بتسكين الحاء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٣).

(١٧) ـ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾؛ أي: بيَّنَّا سبيلَ الخيرِ والشرِّ لهم.

وقيل: علَّمناهم الهدى منَ الضَّلالةِ.

وقيل: دلَلْناهم إلى طريقِ الرُّشدِ فعدَلوا عنه إلى طريقِ الغيِّ.

وقيل: دَعَوناهُم.

﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾: فاختاروا الكفرَ على الإيمانِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾: وهي النّارُ.

وقيل: هو صيحةٌ كانت منَ السَّماءِ.

وقيل: الموتُ[١].

قولُه: ﴿ٱلْهُونِ ﴾؛ أي: ذي الهُونِ، وهو الهوانُ.

وقيل: العطش، حكاه النَّقَّاش[٢].

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: باختيارهم الكفر.

* * *

(١٨) ـ ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بصالحٍ ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ الشِّركَ؛ أي: نجَّيناهُم من تلكَ الصّاعقةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، وعده من العجائب.

(١٩) ـ ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾: يُمنَعون منَ التَّفرُّقِ.

وقيل: يُحبَسُ أوَّلُـهم على آخرِهم.

وقيل: يُطرَدُونَ إلى النّارِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنـا بمنزلـةِ الـواوِ؛ أي: وَ﴿إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ و﴿مَا﴾ صلـةٌ، والمعنـى: صـاروا بحضرتِها.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ واحدُهـا: الجلـدُ، وهـو غشـاءُ البدنِ.

وقيل: هي هاهنا كنايةٌ عن الفُروجِ، وشهادتُها أن يُنطِقَها الله تعالى فتشهدَ.

وقيل: الشَّهادةُ مُضافةٌ إليها مجازًا، والشّاهدُ هو الله.

وقيل: هي دِلالةٌ تَظهرُ على الأعضاءِ.

وفي «تفسيرِ ابنِ جريرٍ»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ضحِكَ، فسُئِلَ عن مُوجِبِه فقالَ: «ضحِكْتُ عجَبًا من مُجادلةِ العبدِ ربَّه يومَ القيامةِ، يقولُ: يا ربِّ، أليسَ وعدْتَني ألّا تظلِمَني؟ قالَ: لكَ ذلك، قالَ: فإنّي لا أقبلُ عليَّ شاهدًا إلّا مِن نفسي، قالَ: أليسَ كفى بي شهيدًا وبالملائكةِ الكرامِ الكاتبين؟ قالَ: فيُختَمُ على فيه ويتكلَّمُ أعضاؤُه بما كانَ يعملُ، قالَ: فيقولُ لهنَّ: بُعدًا لكنَّ وسُحقًا، عنكنَّ كنتُ أجادِلُ»[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه مسلم (٧٩٧٩) بنحوه.

(٢١) ـ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ ناطقٍ، والنُّطقُ: إدارةُ اللِّسانِ في الفمِ بالكلامِ.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ غيرَ ناطقٍ، ثمَّ أنطقَكم.

ويحتمِلُ أنَّ الكلامَ تمَّ عندَ قولِه: ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الأُخرَى.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مستتِرًا بأستارِ الكعبةِ إذ جاء نفرٌ: ثقفيٌّ واسمُه عبدُ ياليل، وختَناه قُرشيَّانِ ربيعةُ وصفوانُ ابنُ أميّةَ، فتحدَّثوا بينهم الحديثَ، فقال أحدُهم: أتَرَى اللهَ يسمعُ ما نقولُ؟ فقال الآخرُ: إذا رفَعْنا أصواتَنا يسمعُ، وإذا لـم نرفَعْ لا يسمعُ، وقال الآخرُ: إنْ كان يسمعُ إذا رفَعْنا فهو يسمعُ إذا خفَضْنا، فأتيتُ النَّبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له، فأنزلَ الله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه دون تسمية القائلين، ووردت تسميتهم في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢٧٦)، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١١): «ويشبه أن يكون هذا بعد فتح مكة فالآية مدنية، ويشبه أن رسول الله ﷺ قرأ الآية متمثلاً بها عند إخبار عبد الله إياه، والله أعلم»، وذُكر عن النقاش أن الثلاثة: صفوان بن أمية وفرقد بن ثمامة وأبو =

واختُلِفَ في ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾؛ فقال بعضُهم: معناه: تستَخْفُون، والمعنى: لم يكُنْ يُمكِنُكم أن تستُروا أعمالَكم عن أعضائِكم؛ لأنَّها أعوانُكم فجعلَها الله شهودًا عليكم.

وقيل: معناه: وما كنتُم تترُكونَ المعاصيَ حذَرًا أن تشهدَ عليكم جوارِحُكم، واستِخفاؤُها منَ الجوارحِ: تركُها فحسبُ[1].

وقيل: لم تكونوا تخافونَ أن تشهدَ عليكم فتستَتِرُوا منها، وأصلُه: ما كنتُم تستَتِرونَ[2] أن تشهدَ؛ لأنَّ (استتَرَ) لازمٌ، والتَّقديرُ: أن لا تشهدَ، فحُذِفَ (لا) لأنَّ ﴿لا﴾ في قولِه: ﴿وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: وما كان قصدُكم باستِتارِكُم وقتَ المعاصي أن تستُروها منَ الجوارحِ؛ فإنَّ ذلك غيرُ ممكنٍ، لكنْ ظننتُم أنَّكم تستُرونَها عن الله، وهو قولُه: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾؛ أي: أهلكَكُم، والرَّدى: الهلاكُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: رماكُم في النّارِ[3].

= فاطمة. وقال ابن بشكوال في «الأسماء المبهمة» (٢/ ٧١٣): «القرشي هو الأسود عبد يغوث، والثقفي الواحد الأخنس بن شريق»، وقيل غير ذلك. انظر: «عمدة القاري» (١٩/ ١٥٥).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤١)، واستغربه.

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣١) بلفظ: «طرحكم في النار».

﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: الهالكينَ.

﴿ذلكم﴾ مبتدأٌ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلٌ منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ صفتُه ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبرَ المبتدأ، ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبرٌ بعدَ الخبرِ[1].

ويجوزُ أن يُضمَرَ (قد) مع ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ فيكونَ حالًا؛ أي: مُردِيًا.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾؛ أي: في النّارِ ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: مسكنٌ ومنزلٌ.

وقيل: إنْ تصبِروا عن الشَّكوى والاستغاثةِ.

وقيل: إن تصبِروا على آلهتِكم[2] لقولِه: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦].

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾؛ أي: إن يطلُبوا الرِّضا فما هم بمَرْضيٍّ عنهم.

وقيل: إنْ يجزَعُوا فما هم منَ الآمنينَ.

وقيل: معناه: إن يتَساءَلوا أن يُرجَعَ بهم إلى ما يُحبُّونَ لم يُرجَعْ بهم.

وأصلُ العتابِ عندَ العربِ: استصلاحُ الجلدِ بإعادتِه في الدِّباغِ، ومن أمثالِهم: «إنَّما يُعاتَبُ الأديمُ ذو البشرةِ»[3]، ثمَّ استُعيرَ لِمَا يُنكَرُ فيُقالُ: عتَبَ عليه؛ إذا أنكرَ

---

(١) في (ف): «خبر».

(٢) قوله: «تصبروا» في هذا القيل وفي الذي قبله، وقوله: «آلهتكم»، كذا وقعت في النسختين جميعاً بالخطاب، والأوفق بلفظ الآية المغايبة كما هو واضح.

(٣) انظر: «الكنز اللغوي» (ص: ١٦٦)، و«غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٤٤)، و«جمهرة الأمثال» =

عليه شيئًا، وعاتبَه: أظهرَ له ما أنكرَه منه على وجهِ الاستصلاحِ، و«لك العُتبَى»[(١)]؛ أي: الرُّجوعُ إلى ما تحبُّ، واستعتَبَ: طلبَ منه الرُّجوعَ إلى الرِّضا، وأعتَبَه: أزالَ المكروهَ منه، وعادَ إلى المحبوبِ.

وقيل: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾: يسترجِعُوا منَ الآخرةِ إلى الدُّنيا، فما هم منَ المرجوعين.

وقيل: وإن يعتَذِروا فما هم ممَّن يُقبَلُ عُذرُهم.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾: سبَّبْنا لهم من حيثُ لا يحتَسِبونَ.

وقيل: هيَّأنا.

وقيل: خلَّينا بينَهم وبينَ الشَّياطينِ.

وقيل: سلَّطنا عليهم.

= (١/ ٦٩) للعسكري، وفيه: «معناه: إنما يراجع من تصلح مراجعته، ويعاتب من الإخوان من لا يحمله العتاب على اللجاج فيما كُره منه وعوتب من أجله، وأصله: أن الجلد اذا لم تصلحه الدبغة الأولى أعيد في الدباغ إن كان ذا قوة ومسكة، وترك إن كان ضعيفاً؛ لئلا يزيد ضعفًا، وأصل البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه».

(١) قطعة من حديث رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٧٦٤)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٩/ ١٨١)، من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥): «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».

ابنُ بحرٍ: بدَّلنا لهم شياطينَ بدلَ هُدَى الله وألطافِه، قال: والقيضُ: البدلُ، ومنه قولُـهم: قايَضْتُ فلانًا بكذا؛ إذا بادَلْتَه.

وقيل: قدَّرْنا.

وقيل: هذا التَّقييضُ هو إحواجُه بعضَهم إلى بعضٍ، كالمرأةِ إلى الرَّجلِ، والرَّجلِ إلى المرأةِ، والغنيِّ إلى الفقيرِ، والفقيرِ إلى الغنيِّ، يستعينُ بعضُهم ببعضٍ.

﴿قُرَنَآءَ﴾: قيل: هم الشَّياطينُ.

وقيل: هم قُرَناءُ السُّوءِ.

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدُّنيا والآخرةَ؛ أي: لا جنَّةَ ولا نارَ ولا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أعمالُهم التي عمِلُوها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عزَمُوا على فعلِه.

وقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: زيَّنُوا لهم فعلَ مُفسِدي زمانِهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: فعلَ مُفسِدي مَن تقدَّمَ زمانُهم[1].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجبَ عليهم العذابُ.

وقيل: ﴿حَقَّ عَلَيْهِم القَوْلُ﴾: هو قولُه تعالى: إنَّهم يكفُرونَ فيُعذَّبونَ.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: في جملةِ أممٍ، وقيل: معَهم.

المُبرِّدُ: إذا كانَ العددُ لا يُحصَى فـ﴿فِىٓ﴾ بمعنى: مع، كما تقولُ: جاءَني زيدٌ في جيشٍ؛ أي: مع جيشٍ، وإذا عُلِمَ عددُهم افترَقا، تقولُ: خرجَ في عشرةٍ؛ أي: هو عاشِرُهم، وخرجَ مع عشرةٍ؛ أي: هو الحادي عشرَ[2].

---

(١) في (ف): «تقدمهم من زمانهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، واستغربه.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾: قبلَ أهلِ مكّـةَ ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾؛ أي: كانوا في الدُّنيا عمِلُوا بمثلِ معاصيهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ مِثْلَهم.

وقيل: خاسرين بالعقوبةِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ نزلَتْ في أبي جهلٍ وأصحابِه، كانوا يقولون: إذا سمعتُم القرآنَ من محمَّدٍ فارفَعُوا أصواتَكم بالشِّعرِ والكلامِ في وجهِه حتَّى تُلبِّسُوا عليه[1].

ومعنى ﴿الْغَوْا فِيْهِ﴾: عارِضُوه بكلامٍ غيرِ مفهومٍ.

وقيل: اجحَدُوه.

وقيل: أنكِرُوه.

وقيل: غادِرُوه.

واللَّغوُ منَ الكلامِ: ما ليس له معنًى.

وقيل: هو المُكاءُ والتَّصديةُ والتَّخليطُ في المنطقِ.

وقيل: الْغَطُوا فيه، واللَّغطُ: الشَّغَبُ والجَلَبُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾؛ أي: تغلبونَه، فيسكُتَ أو ينسى.

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤١)، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ١٥١) عن السدي.

(٢٧) ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: أشدَّه، من غيرِ تخفيفِ شيءٍ منه، وأسوأُ الذي كانوا يعمَلونَ هو الكفرُ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: العذابُ ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و(الجزاءُ) خبرُه، ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ منَ العذابِ، ويحتمِلُ وجوهًا أُخرَ.

وقد وقفَ بعضُ القرَّاءِ على قولِه: ﴿أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾، و﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ خبرُه.

ومعنى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾؛ أي: موضعُ[1] المقامِ أبدًا، والنّارُ أعمُّ منَ الدَّارِ.

الزَّجَّاجُ: هو كما تقولُ: لك في هذه الدَّارِ دارُ السُّرورِ، وأنتَ تعني الدّارَ بعينِها[2].

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقولونَ يومَ[3] القيامةِ: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ منَ الجنِّ إبليسُ، ومنَ الإنسِ قابيلُ.

---

(١) «موضع» من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٨٥).

(٣) في (ف): «في».

وقيل: أرادَ دُعاةَ النَّوعين.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: ندُسْهُما ونطَأْهُما انتِقامًا منهما وإذلالًا لهما.

وقيل: نجعَلْهما في الدَّرْكِ الأسفلِ.

﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أسفلَ منَّا.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ليكونا أشدَّ عذابًا منَّا[١].

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ فإنَّ المشركينَ قالوا: ربُّنا الله، والملائكةُ بناتُ الله، واليهودَ قالوا: ربُّنا الله، وعُزَيرٌ ابنُ الله، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه قال: ربُّنا الله وحدَه لا شريكَ له، ومحمَّدٌ عبدُه ورسولُه، فاستقامَ[٢].

ومعنى الآيةِ: إنَّ الذين أقرُّوا بوحدانيَّةِ الله تعالى ونفَوا عنه الأندادَ والصّاحبةَ والأولادَ، ثمَّ أقاموا على طاعتِه وأداءِ فرائضِه مُخلِصين له الدِّينَ إلى حينِ موتِهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموتِ، وقيل: عند الخروجِ منَ القبرِ.

﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾: بأنْ لا تخافُوا، وقيل: قائلينَ: لا تخافوا الموتَ وما بعدَه.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٢).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥١) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلَّفتُم في الدُّنيا.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا على لسانِ الرُّسلِ، بُشرَى للمُؤمنينَ[1] في ثلاثةِ مواطنَ: عندَ الموتِ، وفي القبرِ، وعندَ البَعثِ.

* * *

(٣١) - ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾: أَوِدَّاؤُكم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستغفارِ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالشَّفاعةِ.

قيل: هم الحفَظةُ.

وقيل: هم ملائكةٌ وكَّلَهم الله بالمؤمنين يُثبِّتونَهم على الإيمانِ.

وقيل: نحفَظُكم في الحياةِ الدُّنيا، ولا نُفارِقُكم في الآخرةِ حتَّى تدخُلوا الجنّةَ.

وقيل: أولياؤُكم في الدُّنيا بالهدايةِ، وفي الآخرةِ بالكرامةِ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ منَ النَّعيمِ.

وقيل: البقاءُ السَّرمدُ؛ لأنَّ النّاسَ يشتَهون ذلك.

والشَّهوةُ: مُنازعةُ النَّفسِ إلى ما فيه اللَّذّةُ.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تفتَعِلُون منَ الدُّعاءِ.

وقيل: ما تتمنَّونَ.

وقيل: تُجابون إلى كلِّ ما تستَدْعُونَ.

---

(١) في (ف): «المؤمن».

وقيل: تَطلُبونَ.

وقيل: تدَّعُونَ في الدُّنيا أنَّها لكم في الآخرةِ[١].

وقيل: مَن ادَّعى شيئًا في الجنّةِ فهو له؛ لأنَّ الإنسانَ في الجنّةِ لا يدَّعي ما لا يستحِقُّه[٢].

***

(٣٢) ـ ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

﴿نُزُلًا﴾: هو ما يُهيَّأُ للضَّيفِ إذا نزلَ.

«الحجَّةُ»: جمعُ نازلٍ[٣]، وأنشد:

فإنَّا معشرٌ نُزُلُ[٤]

فيكونُ حالًا منَ[٥] الضَّميرِ في ﴿تَدَّعُونَ﴾، وعلى الوجهِ الأوَّلِ حالٌ عن ﴿مَا﴾.

وقيل: نصبٌ على المصدرِ.

﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٣)، واستغربه.

(٤) البيت للأعشى من معلقته، انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٤٩)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٢١٩). وتمامه:

قالوا الركوبُ فقلنا تلك عادتُنا ... أو تَنْزلونَ فإنّا مَعْشَرٌ نُزُل

(٥) في (ن): «عن».

(٣٣) ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعةِ الله وتوحيدِه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أدَّى الفرائضَ.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ تفاخُرًا بالإسلامِ وتـمدُّحًا، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه النَّبيُّ ﷺ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ به المُؤذِّنونَ، وأنَّ العملَ الصَّالحَ هاهنا الصَّلاةُ بينَ الأذانِ والإقامةِ[(١)]، وقيل: نزلَتْ في بلالٍ[(٢)].

مُقاتلٌ: هو جميعُ الأئمَّةِ والدُّعاةِ إلى الله تعالى[(٣)].

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ ﴿لا﴾ زيادةٌ؛ أي: لا يستَوي الإيمانُ والشِّركُ، والحلمُ والضَّجرُ، والطَّاعةُ والمعصيةُ، والرِّفقُ والعُنفُ.

وقيل: الحالةُ الحسنةُ والحالةُ السَّيِّئةُ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمرَ الله في هذه الآيةِ بالصَّبرِ عند الغضبِ، والحِلْمِ عند الجهلِ، والعفوِ عند الإساءةِ، فإذا فعلوا

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٣): «الغريب: هو الركعتان بين الأذان والإقامة».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٧).

ذلك عصَمَهم الله منَ الشَّيطانِ، وجعَلَ لهم عدوَّهم كأنَّه وليٌّ حميمٌ[١].

وقيل: ادفَعْ بحقِّكَ باطِلَهم، وبحلمِكَ جهلَهم.

مُقاتلٌ: نزلَتْ في أبي سفيانَ، كان مُؤذِيًا للنَّبيِّ ﷺ فصارَ وليًّا[٢].

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ، كان يُؤذي النَّبيَّ ﷺ فأمرَه بالصَّفحِ عنه إلى وقتِه[٣].

وقيل: معنى ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أن تقولَ لمَن جهلَ عليكَ: السَّلامُ عليك.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾؛ أي: إذا دفعْتَ بالأحسنِ لانَ جانبُهم لك، ومالوا إليك، وصارَ عدوُّكَ كأنَّه قريبٌ شفيقٌ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: هذه الخَصلةَ.

وقيل: هذه المُجازاةَ، وهي الدَّفعُ بالأحسنِ.

وقيل: الجنَّةَ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الظُّلمِ.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من العقلِ والرَّأيِ والصَّبرِ.

وقيل: الحظُّ العظيمُ: الجنَّةُ[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٢٩٩)، وعلقه البخاري قبل حديث رقم (٤٨١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٤) عن مقاتل بن حيان.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٤)، واستغربه.

(٣٦) ـ ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: وسوسةٌ وغضَبٌ، ودعاك إلى مُقابَلةِ القبيحِ بالقبيحِ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.

والنَّزغُ: القولُ الفاسدُ.

وقيل: تحريكٌ إلى الشَّرِّ.

ابنُ عيسى: الفحشُ؛ لِمَا يدعو إلى الفسادِ.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: اعتصِمْ بالله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاستعاذتِكَ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنزغِ الشَّيطانِ.

وقيل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ في إمهالي إيَّاهم وتركِ استئصالي شأفتَهم ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: آياتِ قُدرتِه ودِلالاتِ وحدانيَّته ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ وإنْ كثُرَتْ منافِعُهما ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ لأنَّ عبادةَ الخالقِ أولى من عبادةِ المخلوقِ.

يجوزُ أن تعودَ الكنايةُ إلى الآياتِ، ويجوزُ أن تعودَ إلى اللَّيلِ والنَّهارِ والشَّمسِ والقمرِ، ولم يُغلِّبِ المُذكَّرَ على القياسِ لأنَّ ذلك مع العقلاءِ.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فاعبدُوه وحدَه، فإنَّ مَن عبدَ مع الله غيرَه لا يكونُ عابدًا له.

(٣٨) ـ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عبادةِ الله ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: الملائكةُ، ومعنى (عندَه): له، كما تقولُ: عندَ فلانٍ ألفُ غلامٍ وألفُ فرسٍ.

وقيل: ذُكِرَ ﴿عِندَ﴾ للمرتبةِ والمنزلةِ.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: يُسبِّحون ويُمَجِّدون ويكبِّرون ويُهلِّلون دائمًا، وكلُّها تسبيحٌ، وقيل: يُصلُّون.

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا يَملُّونَ.

قيل: التَّسبيحُ منهم كالتَّنفُّسِ منَ النّاسِ.

موضعُ السَّجدةِ آخرَ هذه الآيةِ إجماعٌ، إلّا ما رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ والحسنِ رضي الله عنهما: أنَّهما ذهَبا إلى أنَّ موضِعَه ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يابسةً غبراءَ دارسةً.

وقيل: ذليلةً بالقحطِ.

﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾: المطرَ ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ للنَّباتِ ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتفعَتْ.

وقيل: ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تشقَّقَتْ ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخَتْ.

---

(١) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٨٧٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٣) عن ابن مسعود والحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٤)، واستغربه.

وقيل: انفَطَرَتْ للنَّباتِ وربَّتْ نباتَها وزادَت.

وقيل: فيه تأخيرٌ؛ أي: ربَتْ واهتَزَّتْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بعد موتِها بإنزالِ المطرِ عليها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ في الآخرةِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادِرٌ بالكمالِ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يَميلونَ ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآنِ، حين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] يكذِبونَ، وقيل: يكفُرونَ.

وقيل: يُعانِدون رسُلَنا.

وقيل: هو المُكاءُ والتَّصديةُ[١] والصَّفيرُ عند تلاوتِه.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنُلقيهم في النّارِ.

ثمَّ قال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ يعني: أبا جهلٍ عليه اللَّعنةُ ﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: هو عثمانُ[٢].

وقيل: عمرُ[٣].

وقيل: عمَّارُ بنُ ياسرٍ رضي الله عنهم[٤].

---

(١) «والتصدية»: ليست في (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٣).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١٧) عن بِشْرِ بنِ تَيْمٍ قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي جهلٍ وعمَّارٍ =

مُقاتلٌ: هو رسولُ الله ﷺ[١].

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ هذه نهايةٌ في التَّهديدِ والوعيدِ ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكم عليه.

* * *

(٤١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: حينَ جاءَهُم ﴿وَإِنَّهُ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ لا يقدرُ أحدٌ أن يأتيَ بمثلِه.

وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾: مَن تمسَّكَ به أعزَّه الله في الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾: ممتنعٌ[٢] منَ الباطلِ بما فيه من حُسنِ البيانِ ووُضوحِ البُرهانِ.

وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾: محفوظٌ من أن يُغيَّرَ أو يُبدَّلَ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾: الشَّيطانُ.

وقيل: التَّبديلُ.

وقيل: التَّناقضُ.

= ابن ياسرٍ، ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ أبو جهلٍ ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عمَّار بن ياسرٍ.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٤).

(٢) في (ف): «منيع».

وقيل: الكذِبُ.

وقيل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾؛ أي: في إخبارِه عمَّا تقدَّمَ ولا عمَّا تأخَّرَ.

وقيل: لا يأتيه الباطلُ بوجهٍ منَ الوُجوهِ.

وقيل: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: لفظُه ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: تأويلُه.

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ اختلَفُوا في خبرِ ﴿إِنَّ﴾، والجمهورُ على أنَّه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، والذي بينَهما اعتراضٌ، فيه (ذِكرُ) المبتدأ[١].

وقيل: خبرُه مُقدَّرٌ، تقديرُه: إنَّ الذين كفروا بالذِّكرِ كفروا به لـمَّا جاءَهُم.

وقيل: هلكُوا.

وقيل: خبرُه: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾؛ لأنَّ تقديرَه: ما يقولونَ لك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: ما يقولُ قومُك لكَ إلّا ما قالتِ الأممُ الماضيةُ لرسلِهم من قبلِكَ: إنَّه كاذبٌ، إنَّه ساحرٌ، إنَّه مُفترٍ[٢].

وفيه قولٌ آخرُ: أي: ما يقولُ الله لكَ في الوحيِ والتَّنزيلِ إلّا ما قال للرُّسلِ[٣] من قبلِكَ فيما أُوحيَ إليهم، فعلى هذا لا يصحُّ للخبرِ[٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنينَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

وقيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ مفعولٌ لقولِه: ﴿يُقَالُ﴾.

---

(١) كأن المراد أن الضمير في ﴿وإنه﴾ العائد إلى الذكر في الأصل، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

(٣) في (ن): «إلا ما قد قيل للرسل».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، وعده من العجائب.

وقيل: على الحكايةِ. ثمَّ عاد إلى وصفِ الذِّكرِ فقال:

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الذِّكرَ ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ على لغةِ العجَمِ[١]، لنفَرَتْ منه العربُ[٢].

﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بلسانِ العربِ.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ من تمامِ كلامِهم؛ أي: المُنزَّلُ أعجميٌّ، والمُنزَّلُ عليه عربيٌّ، كيف يتوافَقان؟

وقيل: المُنزَّلُ أعجميٌّ، والمُنزَّلُ إليهم عربيُّون، والاستفهامُ للإنكارِ.

وقال بعضُهم: يُعنَى بالأعجميِّ غيرُ المُبيَّنِ؛ أي: لو أنزَلْناه غيرَ مُبيَّنٍ لقالوا: لولا أُنزِلَ مُبيَّنًا.

وقيل: تقديرُ الآيةِ: إنَّ الذين كفَروا بالذِّكرِ لـمَّا جاءَهم وقالوا: هلّا أُنزِلَ بلسانِ العجمِ ليكونَ أقربَ إلى المُعجزةِ؛ لعجزِك عن نظمِ الكتابِ على لغةِ العجَمِ، وإنَّه لكتابٌ عزيزُ الآياتِ.

ثـمَّ قـال مُجيبًا لهؤلاءِ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ كما اقترَحُوا ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ[٣] ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بلسانِ العربِ؛ لنفهمَه نحنُ من غيرِ ترجُمانٍ.

---

(١) في (ف): «على غير لغة العرب».

(٢) في (ف) زيادة: «وقالوا».

(٣) «بينت»: ليست في (ف).

ثمَّ قالَ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ منَ الضَّلالةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ منَ الشَّكِّ؛ فإنَّ الشَّكَّ مرضٌ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾؛ أي: هم لتَرْكِهم قَبولَه بمنزلةِ مَن في أُذُنِه صمَمٌ.

﴿وَهُوَ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: لا يُبصرونَ به مراشدَهم.

وقيل: عَمَى القلبِ.

ويحتمِلُ أن يكونَ (الذين) في محلِّ جرٍّ عطفًا على (الذينَ آمَنُوا)، وتقديرُه: والذين لا يُؤمنون وَقرٌ في آذانِهم[1].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾: يسمَعُونَ الصَّوتَ بالقرآنِ ولا يفهمُونَ المعنى.

وقيل: بعيدٍ من قلوبِهم.

وقيل: بعيدٍ منَ الإجابةِ.

وقيل: هو مثَلٌ لمَن لا يفهمُ، وعلى الضِّدِّ: أنَّه يَأخذُ من قريبٍ.

وقيل: يُنادَونَ في القيامةِ بأشنعِ الأسماءِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فاختلَفَ أمَّتُه فيها؛ فمِن مُصدِّقٍ ومُكذِّبٍ، ومُحرِّفٍ ومُبدِّلٍ.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: هو الأجلُ المُسمَّى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

وقيل: هي قولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقيل: هي قولُه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقيل: هي قولُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والمعنى: سبقَتْ بتأخيرِ العذابِ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: أهلكَهم إهلاكَ استئصالٍ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: وإنَّ اليهودَ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: معه تُهمةٌ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾؛ أي: اختلفَ اليهودُ في كتابِهم كما اختلفَ قومُك في القرآنِ، ثمَّ رجعَ إلى القولِ في العربِ فقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ الآية.

* * *

(٤٦) ـ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابُه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ عقابُه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ذُكرَ بلفظِ المُبالغةِ لمكانِ (العبيدِ)؛ فإنَّه جمعٌ.

وقيل: كأنَّه جوابُ قائلٍ: إنَّه ظلَّامٌ.

وقيل: مَن ظلَمَ وعلِمَ أنَّه يظلِمُ فهو ظلّامٌ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: علمُها عندَ الله فحسبُ.

وقيل: مَن يُسألُ عنها[1] قالَ: اللهُ يعلَمُ.

---

(١) في (ن): «من سئل».

وقيل: يجبُ على المسؤولِ أن يقولَ: الله يعلمُ ذلك.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: من أوْعِيَتِها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ حملَها ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾؛ أي: والله عالـمٌ به، فالباءُ للحالِ.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ بزَعمِهم.

﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلَمْناكَ، وقيل: أخبَرْناكَ.

وقيل: أسمَعْناكَ، من قولِه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢](١).

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾؛ أي: لهم.

وقيل: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أنَّ لك شريكًا؛ لأنَّهم لـمَّا عايَنُوا القيامةَ تبرَّؤوا من معبودِيهم.

وقيل: يقولُ المعبودونَ: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ يشهدُ لهم بأنَّهم كانوا مُحِقِّين.

وقيل: كلامُ العابدينَ والمعبودينَ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾: يعبُدونَ ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ يومِ القيامةِ؛ أي: لـم ينتَفِعُوا بهم.

﴿وَظَنُّواْ﴾: أيقَنُوا، والظَّنُّ هاهنا مُعلَّقٌ عمِلَ في المعنى دونَ اللَّفظِ، كما يُعلَّقُ مع لامِ الابتداءِ وألفِ الاستفهامِ.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرَبٍ ومخلَصٍ من عذابِ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٥)، واستغربه.

وعن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على ﴿وَظَنُّواْ﴾؛ أي: وظنُّوهم آلهةً، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[1]، فلا يكونُ الظَّنُّ مُعلَّقًا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ، وقيل: عامٌّ للجنسِ.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: من دُعائِه الخيرَ.

والخيرُ هاهنا: المالُ.

وقيل: الصِّحَّةُ والعافيةُ.

والمعنى: لا يمَلُّ من جمعِ المالِ وطلبِه له.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقرُ ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ منَ الخيرِ ﴿قَنُوطٌ﴾ منَ الرَّحمةِ.

وقيل: يؤوسٌ منَ الإجابةِ قَنوطٌ بسوءِ الظَّنِّ.

وقيل: ﴿يؤوسٌ قَنوطٌ﴾ من عَودِ النِّعمةِ وزَوالِ المكروهِ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ يعني: أصبْناه عافيةً وغِنًى[2] ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾

---

(١) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ١٨٧)، وقال الأشموني في «الوقف والابتداء» (٢/ ٢٣٩): «﴿وَظَنُّواْ﴾ تام، قاله أبو حاتم السجستاني، والأجود الوقف على ﴿مِن قَبْلُ﴾، والابتداء بقوله: ﴿وَظَنُّواْ﴾».

(٢) كذا في النسختين، والظاهر أنه يجب أن يكون «أصبناه بعافية وغنى».

يعنـي: من بعـدِ شـدَّةٍ أصابَتْـه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ يعني: أنـا أهلٌ لهذا ومُسـتحِقُّه.

وقيل: ﴿هَٰذَا لِى﴾؛ أي: من خيرٍ عندي.

وقيل: هذا لعِلمي.

وقيل: هذا لي وأنا حقيقٌ به.

والمعنى: لا يرى ذلك تفَضُّلًا منَ الله وجبَ عليه شكرُه له، وشكَّ في الآخرةِ أيضًا فقالَ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: ما أُراها تكونُ ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ كما يقولُ المسلمونَ ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يُفضِّلُني في الآخرةِ كما فضَّلَني في الدُّنيا؛ لأنَّ تفضيلَه إيّايَ يدلُّ على رِضاه عنِّي.

وقيل: هذا استهزاءٌ وتكذيبٌ.

والحسنى: ما يحسُنُ ذِكرُه، ضدُّ السُّوءِ، وقيل: الحسنى: الجنّةُ.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: لنَجزِينَّهم بأعمالِـهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾: شديدٍ لا يُفتَّرُ عنهم.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ عن الشُّكرِ والطّاعةِ مُتكبِّرًا مُتجبِّرًا ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: تباعَدَ بكُلِّيتِه؛ لأنَّه إذا أَبعَدَ الجانبَ الذي هو فيه فقد بَعُدَ وأَبعَدَ كلَّ متعلِّقٍ به، وقراءةُ مَن قرأ: ﴿وناءَ بجانبِه﴾[1] مقلوبُ (نَأَى) وبمعناهُ.

---

(١) هي قراءة ابن ذكوان. انظر: «السبعة» (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

وقيل: معناه: أُعجِبَ[١] بنفسِه وتكبَّرَ.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثيرٍ، وقيل: طويلٍ.

والوصفُ بالعرضِ أبلَغُ منَ الوصفِ بالطُّولِ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا كان عريضًا فهو طويلٌ لا بدَّ، وقد يكونُ الشَّيءُ طويلًا في قليلٍ منَ العرضِ كالحبلِ والخيطِ، وقد يكونُ طويلًا لا عرضَ له البتَّةَ كالخطِّ؛ فإنَّه طولٌ لا عرضَ له[٢].

ولا مُنافاةَ بينَ قولِه: ﴿يَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾، وبينَ قولِه: ﴿ذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾؛ لأنَّ الأوَّلَ في قومٍ، والثَّانيَ في قومٍ.

وقيل: قَنوطٌ في البحرِ، وذو دعاءٍ في البرِّ.

وقيل: يؤوسٌ قَنوطٌ بالقلبِ، دَعَّاءٌ باللِّسانِ.

وقيل: يؤوسٌ قَنوطٌ منَ الصَّنمِ، دَعَّاءٌ لله.

* * *

(٥٢) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾؛ أي: القرآنُ ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: جحَدْتُم وأنكرتُم أنَّه من عندِ الله، وأفادَ ﴿ثُمَّ﴾ أنَّكم[٣] كفرتُم به الآنَ.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: خلافٍ بعيدٍ عن الوِفاقِ؛ أي: لا أحدَ أضلُّ منه.

---

(١) في (ن): «فأعجب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٦)، واستغربه.

(٣) «أنكم»: ليست في (ف)، وتكررت فيها: «كفرتم».

(٥٣) ـ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ هو ما أخبرَهم النَّبيُّ ﷺ بوُقوعِه من الفِتَنِ وظُهورِ الآياتِ في آفاقِ الأرضِ بعدَه، ولـم يُصدِّقوه، ثمَّ كانَ كما أَخبر.

وقيل: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: الأعلامُ التي تدلُّ على التَّوحيدِ.

وقيل: آثارُ مَن كذَّبَ الرُّسلَ، وآثارُ خلقِ الله في كلِّ البلادِ.

وقيل: ﴿ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ هي الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ وأحوالُـها.

وقيل: هي انشِقاقُ القمرِ.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بأنْ خلقَهم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ الآيةَ [الحج: ٥].

وقيل: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالأمراضِ والبلايا.

وقيل: ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: بما يفتحُ عليه من نواحي مكّةَ وأقطارِ الأرضِ، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: فتحُ مكّةَ.

وجاء في بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ أبا جهلٍ قال للنَّبيِّ ﷺ: ائتِنا بعلامةٍ، فانشَقَّ القمرُ بنصفَين، فقال أبو جهلٍ: يا معشرَ قُريشٍ! قد سحَرَكم محمَّدٌ، فوجِّهوا رُسلَكُم في الآفاقِ هل عايَنوا القمرَ كذلك؟ فإنْ عايَنوا شيئًا فهو آيةٌ، وإلّا فذلك سِحرٌ. فوجَّهوا رسُلَهم في الأرضِ، فإذا النّاسُ كلُّهم يتحدَّثون في انشقاقِ القمرِ، فقال أبو جهلٍ عليه اللَّعنةُ: هذا سِحرٌ مُستمِرٌّ، فنزلَ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[1].

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾: أنَّ القرآنَ.

وقيل: أنَّ محمدًا ﷺ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣).

وقيل: أنَّ الله تعالى.

وقيل: أنَّ الدِّينَ.

﴿ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾؛ أي: أوَلَـم يكفِ الإنسانَ منَ الزَّاجرِ والرَّادعِ عن المعاصي كونُ الله شهيدًا عليه[1]؟

وقيل: أوَلَـم يكفِ بربِّكَ شهيدًا لا يُخلِفُ ما وَعَدَ؟

* * *

(٥٤) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: البعثِ والحسابِ.

وقيل: المُخاطبةِ والمُحاسبةِ.

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾؛ أي: عالِـمٌ حافظٌ له، فقد أحاطَ به علمُه وقدرتُه.

والحمدُ لله حقَّ حمدِه.

* * *

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٦): «﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة دخلت على الفاعل، وهذا نادر، وقيل: تقديره: اكتف بربك، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ بدل من قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾، وإن شئت جعلتَه في محل جر، وإن شئت في محل رفع، وإن شئت في محل نصب».

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورةُ حم عسق

ثلاثٌ وخمسونَ آيةً. وقيل(١): هي سورةُ الشُّورَى.

مكِّيَّةٌ، ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلَّا أربعَ آياتٍ من قولِه: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فإنَّها نزلَتْ بالمدينةِ(٢).

مقاتلٌ: مكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ إلى قولِه: ﴿ٱلصُّدُورِ﴾، وقولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ إلى ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾(٣).

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ الكلامُ في ﴿حمٓ﴾ سبقَ، واختُلِفَ في ﴿عٓسٓقٓ﴾:

فقيل: اسمٌ للسُّورةِ.

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى.

وقيل: اسمُ جبلٍ.

---

(١) «قيل»: ليست في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩١)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥١٣).

(٣) أشار في حواشي «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٣) إلى وجود ذلك في نسختين، ولم يثبته المحقق في النص.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في رجلٍ يُقالُ له: أبو عبدِ الله، ينزلُ على نهرٍ من أنهارِ المشرقِ، يبني عليه مدينتَين. حكاه الثَّعلبيُّ وأطالَ[1]، ورواه أيضًا مرفوعًا[2].

وقيل: هي رموزٌ إلى فتنٍ كانَ عليٌّ رضي الله عنه يعرِفُ بها الفتنَ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الحاءَ حُكْمُ الله، والميمَ مُلْكُه، والعَينَ عِلْمُه، والسِّينَ سَناؤُه، والقافَ قُدرتُه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٤) بلفظ: «عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرني عن تفسير، قول الله: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾ قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرر، مقالته فأعرض، فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيئاً، فقال له حذيفة: «أنا أنبئك بها، قد عرفتُ بم كرهها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يَشق النهر بينهما شقاً، فإذا أذن الله في زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما نارًا ليلًا، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً، فذلك قوله: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾ يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء حُمَّ، (عين): يعني عدلاً منه، (سين): يعني سيكون، و(قاف): يعني واقع بهاتين المدينتين».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٧) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولفظه: «تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقُطرَبل والصّراة يجتمع فيها جبابرة أهل الأرض، تجبى إليها الخزائن، يخسف بها ـ وقال مرة: يخسف بأهلها ـ فلهي أسرع ذهابًا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة». ورواه أيضًا الداني في «الفتن» (٤٦٩)، وقال يحيى بن معين: «هذا موضوع، أو قال: كذب». انظر: «العلل» للإمام أحمد (٢/ ٣٧٠)، ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٧٢) وذكر عن الإمام أحمد أنه قال فيه: «ليس لهذا الحديث أصل».

وقيل: الحاءُ حربُ عليٍّ ومعاويةَ، والميمُ ولاية المروانيَّةِ، والعينُ ولايةُ العبَّاسيَّةِ، والسِّينُ ولايةُ السُّفيانيَّةِ، والقافُ قدرةُ مهديٍّ[١].

وأطالوا بمثلِ هذه الأقاويلِ حتَّى قال أبو مسلمٍ بعدما حكى بعضَها: أردْتُ بذكرِ ذلك أن يُعلمَ أنَّ في مَن يدَّعي العلمَ أيضًا حمقَى، والسَّلام.

وفي بعضِ مصاحفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (حم سق)، وكذلك قراءةُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٢].

وفُصِلُ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ خلافَ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾؛ لتقدُّمِ ﴿حمٓ﴾ قبلَه، واستقلالِ هذه بنفسِها، ولهذا عُدَّا آيتَين.

ابنُ عيسى: إنَّما فُصِلَتْ هذه من سائرِها بذكرِ ﴿عٓسٓقٓ﴾ لأنَّ جميعَها ذُكِرَ الكتابُ بعدَه على التَّصريحِ، إلّا هذه فإنَّه دلَّ عليه دَلالةَ التَّضمينِ بذكرِ الوحيِ الذي يرجعُ إلى الكتابِ.

* * *

(٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ليس من نبيٍّ صاحبِ كتابٍ إلّا يُوحِي الله إليه: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، ولذلك قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾[٣].

وقيل: أُوحِيَ معانِيْها على سائرِ الأنبياءِ.

وقيل: إشارةٌ إلى ما سيُذكَرُ في السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٧)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٤).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٠).

وقيل: إشارةٌ إلى شأنِ النَّبيِّ ﷺ وما كان عليه؛ أي: حالُ كلِّ مَن أُوحِيَ إليه كانت كحالِكَ، جوابًا لمَن أنكرَ الوحيَ.

ومَن قرأ ﴿يوحَى﴾ على المجهولِ(١)، فـ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ رفعٌ بفعلٍ دلَّ عليه ﴿يوحَى﴾، ومثلُه: ﴿يُسبَّح له فيها﴾ [النور: ٣٦] فيمَن فتحَ الباءَ(٢)، قال الشّاعرُ:

لِيُبكَ يزيدُ ضارعٌ لخُصومةٍ ... ومُخْتَبِطٌ ممَّا تُطيحُ الطَّوائحُ(٣)

وقيلَ: رفعٌ بالابتداءِ، وما بعدَه خبرٌ له.

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: الأنبياءِ ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمورِ عبادِه.

* * *

(٤) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كذلك ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ شأنُه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ برهانُه.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

(٢) هي قراءة ابن عامر وشعبة، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٤٨)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٣)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٥٧٨). أو للحارث بين نهيك، كما في «كتاب سيبويه» (١/ ٢٨٨).
قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٥/ ٢٨٩): هو من شعر في رثاء يزيد النهشلي، واختلف في قائله؛ فقيل: لبيد، وقيل: نهشل بن حري، وقيل: الحارث بن نهيك النهشلي، وقيل: الحارث بن ضرار النهشلي، وقيل: مزرد، كما في «شرح أبيات الكتاب». وقد تقدم عند تفسير الآية المذكورة من سورة (النور).

(٥) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: تقرُبُ، وقيل: من قولِه: ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشقَّقْنَ، و: ﴿ينفَطِرْنَ﴾[١]: ينشَقِقْنَ، التَّشديدُ للمُبالغةِ.

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الضَّميرُ يعودُ إلى السَّماواتِ؛ أي: تكادُ كلُّ واحدةٍ منها تنفطرُ فوقَ التي تليها.

وقيل: ينفطِرْنَ من أعلاهُنَّ عظمةً لله، فيكونُ مُتَّصلًا بقولِه: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقيل: ﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ؛ أي: تفطُّرُها مِن فوقِها.

وقيل: خشيةً مِن فوقِها، فجِهةُ فوقِها سببُ تفطُّرِها.

وقيل: انفِطارُه لِأَنْ دَعَوا للرَّحمنِ ولدًا، كما في الآيةِ الأُخرَى.

وقيل: ﴿تَكَادُ﴾ بمعنى: تقرُبُ، والمعنى: قرُبَتِ السّاعةُ وانفطارُ السَّماواتِ.

وما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ينفَطِرْنَ من ثقَلِ الرَّحمنِ[٢]؛ فإنْ صحَّ عنه فهو كما جاء في صفةِ القرآنِ: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وليسُ المُرادُ به اعتمادًا يُوجِبُ التَّحدُّرَ والتَّسفُّلَ، تعالى الله عن ذلك[٣].

---

(١) قرأ بهذه أبو بكر وأبو عمرو، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٩٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٦) بلفظ: «يعني: من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى». وإسناده ضعيف جداً.

(٣) قال النيسابوري في «غرائب القرآن» (٦/ ٦٧): «ولأهل السنة أن يتأولوا الثقل بالهيبة والجلال أو يقدروا مضافاً محذوفاً؛ أي: من ثقل ملائكة الرحمن».

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى الأرضِ، فهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قيل: هو عامٌّ.

وقيل: هم حملةُ العرشِ.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قيل: يُصلُّون.

وقيل: يُسبِّحون بالحمدِ لله[2].

وقيل: يُسبِّحون حامِدين.

وقيل: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: بإذنِه.

وقيل: بشُكرِه.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: المُؤمنين منهم، كقولِه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، واستغفارُهم: شفاعتُهم لهم.

وقيل: يسألونَ لهم الرِّزقَ[3].

وما رواه الماورديُّ عن عليٍّ رضي الله عنه: ﴿لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الحسينُ[4]؛ فلعلَّه أرادَ: منهم الحسينُ رضي الله عنه. والله أعلم.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، واستغربه.

(٢) «لله» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٣) عن الأصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٨)، وعده من العجائب.

(٦) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾؛ أي: أعوانًا وأنصارًا أشركوهُم معه في العبادةِ.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾: حافظٌ لأعمالِـهم فيُجازيهم عليها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: لم تُوكَّلْ على منعِهم منَ الكفرِ وحملِهم على الإيمانِ.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسانِ قومِك؛ أي[١]: كما أوحَينا إلى رُسلِنا من قبلِك أوحَينا إليك.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: تقديرُ هذه الآياتِ: إنَّا أوحَينا إلى الذين من قبلِك بمثلِ هذه الحروفِ، كذلك أوحَينا إليك بهذه الحروفِ قرآنًا.

ابنُ بحرٍ: هذا الكلامُ الأوَّلُ أُعيدَ لمَّا اعترَضَ بين الكلامَين ما يُخرجُ عن معناهما[٢].

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني: مكَّةَ؛ لأنَّ سائرَ الأرضِ دُحيَتْ من تحتِها.

وقيل: لأنَّها أشرفُ البقاعِ، وفيها بيتُ الله العتيقُ.

والمعنى: لتُنذِرَ أهلَها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: حولَ مكَّةَ؛ يعني: العربَ، وهم المبدَأُ بهم في الإنذارِ، ثمَّ الأقربَ فالأقربَ.

---

(١) «أي»: ليست في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أهلُ الأرضِ جميعًا[١].

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾؛ أي: تُنذِرَ النَّاسَ يومَ[٢] القيامةِ، فهو مفعولٌ به لا ظرفٌ.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ مُتنعِّمون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ مُعذَّبونَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مُسلمين، كلُّهم يدخلونَ الجنّةَ.

وقيل: لألجأهم إلى الإيمانِ فيُطبِقُوا عليه، لكنْ لم يستحِقُّوا به الثَّوابَ.

وقيل: لجعَلَهم أهلَ ضلالةٍ.

﴿وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: الإسلامِ؛ أي: يُكرِمُ بالإسلامِ مَن كان أهلًا لذلك.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ﴾: والٍ يمنعُهم منَ العذابِ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصُرُهم.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾: بل اتَّخذوا ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: الأصنامَ ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي تنفعُ ولايتُه لا الصَّنَمُ ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾: يُحييهم بعدَ موتِهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «بيوم».

وقيل: هو يُحيي ويُميتُ لا الصَّنمُ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بذاتِه.

***

(١٠) ـ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من أمورِ الدِّينِ والدُّنيا ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فعلمُه عندَ الله.

وقيل: كِلُوا علمَه إلى كتابِ الله وسنَّةِ الرَّسولِ، كقولِه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقيل: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقد بيَّنَ ذلك في القرآنِ؛ إمَّا ظاهرًا منصوصًا، وإمَّا مُتضمَّنًا فيه تضمينًا قريبَ المأخذِ، أو تضمينًا بعيدَ المأخذِ.

قال مُقاتلٌ: إنَّ أهلَ مكَّةَ كفَرَ بعضُهم بالقرآنِ وآمنَ بعضُهم به، فأخبرَ أنَّ حكمَهم إلى الله يَحكمُ يومَ القيامةِ للمُحِقِّ على المُبطلِ، فيصيرُ المُحِقُّ إلى النَّعيمِ، والمُبطِلُ إلى الجحيمِ[١].

وقيل: يحكُمُ في الدُّنيا بإظهارِ المؤمنين عليهم وقتلِهم وأَسرِهم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميعِ أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أَرجعُ بالأعمالِ والأقوالِ.

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٥).

(١١) ـ ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبتدأٌ ﴿جَعَلَ﴾ خبرُه.

وقيل: هو فاطرُ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿جَعَلَ لَكُم﴾: خلقَ لكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: من جنسِكم نساءً.

وقيل: من أنفسِكم ذُكورًا أو إناثًا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكورًا وإناثًا؛ ليُكثِّرَ منافِعَكم بها.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يخلقُكم بكثرةٍ.

وقيل: يُكثِّرُ نسلَكُم.

وقيل: يجعلُكُم ذُرِّيةً.

ابنُ عيسى: الذَّرْءُ: إظهارُ الخلقِ بإيجادِه.

﴿فِيهِ﴾؛ أي: (به) فيمَن جعلَ الهاء كنايةً عن مصدرِ ﴿جَعَلَ﴾.

وقيل: (له) فيمَن جعلَ الهاء كنايةً عن الاختلافِ، كما في قولِه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩][(١)].

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى الذَّرْءِ.

وقيل: معنى ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: يُعيِّشُكم ويرزُقُكم، والهاءُ تعودُ إلى ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، ووحَّدَ كقولِه: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]، وقد سبق.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

وقيل: ﴿فِيهِ﴾: في الوقتِ[1].

وقيل: ﴿فِيهِ﴾: فيما ذكَرْناه[2].

وقيل: في الرَّحِمِ.

وقيل: في البطنِ خَلْقًا من بعدِ خَلْقٍ.

وقيل: في التَّزاوُجِ، وذكرُ الأزواجِ يدلُّ عليه.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قيل: الكافُ زيادةٌ زيدَتْ لتأكيدِ نفيِ التَّماثُلِ، ومثلُه قولُ الشّاعرِ:

وقتلَى كمِثْلِ جُذوعِ النَّخيْـــ ـــلِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنهَمِرْ[3]

وتقديرُه: ليسَ مثلَه شيءٌ.

وقيل: (مثل) زيادةٌ، والتَّقديرُ: ليس كهو شيءٌ.

وقيل: (مثل) عبارةٌ عن الذّاتِ، كأنَّه قال: ليس كذاتِه شيءٌ.

وقولُ النّاسِ: «مِثْلي لا يفعلُ هذا» يخرَّجُ على القولَينِ.

وقيل: (مِثْل) و(مَثَل) يأتيانِ بمعنى الصِّفةِ؛ أي: ليس كصفتِه صفةٌ.

وقيل: مِثْلُ الشَّيءِ: صاحبُ صفاتٍ كصفاتِه، والله تعالى واحدٌ، ومُحالٌ أن يقعَ الواحدُ على اثنَين، فإذًا معناه: ليس كصاحبِ صفاتِه شيءٌ، وصاحبُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، وعده من العجائب. وذكر أيضًا من العجائب: في الرحم، وفي البطن.

(٢) في (ف): «ذكرنا».

(٣) البيت لأوس بن حجر. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٠)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٧٧).

صفاتِـه إنَّمـا هـو هـو؛ لأنَّ مِـن صفاتِه مـا لا يجـوزُ أن يشـتركَ فيه اثنـانِ[١].

وقيل: الكافُ لتشبيهِ الصِّفةِ، و(مثل) لتشبيهِ الذَّاتِ، فنفَى بـ﴿لَيۡسَ﴾ الشَّبَهَ عن الذَّاتِ والصِّفاتِ، وهذا ضعيفٌ لا وجهَ له في الإعرابِ[٢].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بجميعِ[٣] المسموعاتِ بغيرِ أذُنٍ ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ لجميعِ المرئيّاتِ بغير حَدَقةٍ، وختمَ الآيةَ بقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ لئلَّا يُتوهَّمَ أنَّه لا صفاتَ له كما لا مثلَ له.

* * *

(١٢) ـ ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: جمعُ إقليدٍ جاءَ على غيرِ بناءِ الواحدِ.

وقيل: جمعُ مقليدٍ ومِقلادٍ.

وقيل: هو مُعرَّبٌ.

و﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خزائنُهما؛ في السَّماءِ خزانةُ المطرِ، وفي الأرضِ خزانةُ النَّباتِ.

وقيل: خزانةُ السَّماء الغُيوبُ، وخزانةُ الأرضِ الآياتُ.

وقيـل: ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: مفاتيحُهمـا، ومَـن ملَـكَ المفتـاحَ ملَـكَ

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «الجميع».

الخزانـةَ، ورَوى ابـنُ عمرَ رضـي الله عنهما: أنَّ عثمـانَ رضي الله عنه سـألَ النَّبيَّ ﷺ عـن مقاليـدِ السَّـماواتِ والأرضِ، فقـال عليـه السَّـلامُ: «مـا سـألَني أحدٌ عنهـا، إنَّها قـولُ: لا إلهَ إلا الله، والله أكبرُ، سـبحانَ الله، وأسـتغفرُ الله، ولا حـولَ ولا قوّةَ إلا بالله، هـو الأوَّلُ والآخـرُ والظّاهـرُ والباطـنُ، بيـدِه الخيـرُ، يُحيـي ويُميتُ، وهـو على كلِّ شـيءٍ قديرٌ»(١).

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُوسِّعُ الرِّزقَ لمَن يشاءُ، ويقدرُ على مَن يشاءُ: يُضيِّقُ.

وقيل: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يَقدِرُ له البسطَ، فاكتَفَى بذكرِ أحدِ الضِّدَّين عن الآخرِ.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من مصالحِ العبادِ ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُعطيهم بقَدْرِ مصالحِهم.

* * *

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩) عن عثمان رضي الله عنه. وضعفه العقيلي بأغلب بن تميم المسعودي، وقال: «وليس يُتابع أغلبَ عليه إلا من هو دونه».
قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٢): «غريب جدًّا، وفي صحته نظر».
وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٨٨): «رواه ابن أبي عاصم وابن السني ـ وهو أصلحهم إسناداً ـ وغيرهم، قال الحافظ المنذري: فيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد».
ونقل ابن عراق عن ابن حجر في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢) قوله: «عندي أنه منكر من جميع طرقه، وأما الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب». وقد تقدم الحديث في تفسير سورة (الزمر).

(١٣) ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

﴿شَرَعَ﴾ بيَّنَ.

وقيل: أوجَبَ.

وقيل: شرَعَ شريعةً في الخيرِ والشَّرِّ.

وقيل: فتحَ عليكم.

﴿لَكُم﴾: لأجلِكُم، وقيل: عليكُم.

﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ قيل: ﴿مِّنَ﴾ زيادةٌ.

وقيل: اختارَ لكم منَ الأديانِ دينًا.

﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾؛ أي: الذي أمرَ به نوحًا، وقدَّمَ ﴿نُوحًا﴾ لأنَّه أوَّلُ مَن أُوحِيَ إليه الحلالُ والحرامُ.

وقيل: أوَّلُ مَن أُوحِيَ إليه تحريمُ الأمَّهاتِ والأخواتِ والبناتِ.

﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾؛ أي: شرعَ ذلك كلَّه.

وقيل: ﴿وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ﴾ مُبتدأٌ، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ عطفٌ، و﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ خبرُه.

الزَّجَّاجُ: يجوزُ في موضعِ ﴿أَنْ﴾ النَّصبُ على البدلِ من ﴿مَا﴾[1]، والرَّفعُ على: «هو أَنْ أَقِيمُوا»، والجرُّ على البدَلِ من الهاءِ في ﴿بِهِۦ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مُتَّصلًا بـ﴿وَصَّيْنَا﴾؛ أي: وصَّينا بأَنْ أقيمُوا[2].

---

(١) على معنى: شرع لكم أن أقيموا الدين. كما صرح به الزجاج.

(٢) أي: يكون ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ تفسيرًا لما وصى به نوحًا. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٦).

ومعنى ﴿أَقِيمُواْ﴾: اعبُدوا(١) وأخلِصُوا في الدِّينِ.

وقيل: إقامةُ الدِّينِ: التَّمسُّكُ به، والعملُ بمُوجَبِه.

وقيل: معنى ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾: ادعُوا إليه. وقيل: اعمَلُوا به.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تختلِفُوا في الدِّينِ؛ فإنَّ الحقَّ واحدٌ.

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: لا تتفرَّقُوا؛ فالجماعةُ رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ(٢).

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: التَّوحيدُ، وقولُ: لا إلهَ إلا الله، والإخلاصُ.

وقيل: ما خُصِصْتَ به منَ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

ويحتمِلُ أنَّه يعودُ إلى قولِه: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يختارُ للنُّبوَّةِ والرِّسالةِ، والهاءُ تعودُ إلى ما تعودُ إليه في قولِه: ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

وقيل: تعودُ إلى الله تعالى؛ أي: يصطَفي ويضُمُّ مَن يراه أهلًا لذلك، وعدَّاه بـ(إلى) لأنَّ الاجتباءَ بمعنى الجمعِ، من: جبَيتُ الماءَ في الحوضِ، والجمعُ يُعدَّى بـ(إلى) تقولُ: جمعتُ إليه، كما تقولُ: ضمَمْتُ إليه.

وقيل: (إلى) مُتعلِّقٌ بمُضمَرٍ تقديرُه: يجتَبي يدعو إليه.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ﴾: يُرشِدُ ويُوفِّقُ ﴿مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِلُ إليه.

* * *

---

(١) في (ن): «اعبدوه».

(٢) ذكره النسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ٢٤٨).

(١٤) - ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني: الأممَ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم، وقيل: أهلُ الكتابِ.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾؛ أي: العلمُ بصحَّةِ ما أُمروا به.

وقيل: ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾: القرآنُ.

وقيل: ﴿ٱلۡعِلۡمُ﴾: محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: العلمُ بإقامةِ الدِّينِ وتركِ التَّفرُّقِ فيه.

وقيل: جاءهم أسبابُ العلمِ فلم ينظُروا فيها؛ لأنَّه ختمَ الآيةَ بقولِه: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ﴾ والشَّكُّ والعلمُ لا يجتمِعانِ.

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: حسَدًا وعداوةً، فهو مفعولٌ له.

وعن أبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: لابتغاءِ الدُّنيا وطلبِ ملكِها[1].

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بالإمهالِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ قيل: هو قولُه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦].

وقيل: تأخيرُهم إلى وقتٍ معلومٍ.

وقيل: إنظارُهم إلى آخرِ أعمارِهم.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: لعُجِّلت لهم العقوبةُ في الدُّنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: مِنَ القرآنِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٧).

وقيل: منَ الإخلاصِ لله.

وقيل: من[١] صدقِ الرَّسولِ.

﴿مُرِيبٍ﴾: مُدخِلٍ في الرِّيبةِ.

وقيل: هم العربُ أورِثُوا الكتابَ بعدَهم فشكُّوا فيه.

***

(١٥) ـ ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ﴾ قيل: إشارةٌ إلى الدِّينِ والتَّوحيدِ.

وقيل: إشارةٌ إلى القرآنِ، واللّامُ بمعنى: إلى؛ أي: ادعُ إلى ذلك.

وقيل: هما يتعاقَبان، كما تقولُ: أُوحيَ إليه، و: له.

وقيل: لِـمَا أوتيتَ منَ العلمِ فادعُ، فتكونُ اللَّامُ لتعليلِ وجوبِ الدُّعاءِ[٢].

﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾: اثبُتْ على الدِّينِ.

وقيل: على أمرِ الله.

وقيل: على تبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: على طاعةِ الله ﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ في القرآنِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: لا تعمَلْ بأهوائِهم، وذلك حينَ دعَوه إلى ملَّةِ آبائِه.

---

(١) في (ن): «في».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، واستغربه.

وقيل: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ وشيبةَ بنِ ربيعةَ، حين وعدَه الوليدُ بأن يُعطيَه نصفَ مالِه، ووعدَه شيبةُ بأن يُزوِّجَه ابنتَه، إنْ رجعَ عن دعوتِه ودينِه إلى دينِ قريشٍ[١].

﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾؛ أي: جميعِ كتبِ الله تعالى.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: أُسوِّيَ بينكم في التَّبليغِ.

وقيل: أُسوِّيَ بينكم في الحُكمِ.

وقيل: لأُسوِّيَ بيني وبينكم، وأعملَ بما آمرُكم وأنتهيَ عمَّا أنهاكم عنه.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقُنا جميعًا.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: نُجازَى بها، فلا يُؤخَذُ[٢] أحدٌ بذنبِ غيرِه.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا خُصومةَ بينَنا في الدِّينِ، والحجَّةُ بمعنى الحِجاجِ، كالخصومةِ بمعنى الخِصامِ.

ابنُ عبّاسٍ: هو خطابٌ لأهلِ الكتابِ، ثمَّ نُسِخَ بقولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩][٣]، فيكونُ المعنى: لم نُؤمَرْ أن نحتجَّ عليكم ونُقاتلَكم، ثمَّ نُسِخَ.

وقيل: هي مُحكمةٌ، والمعنى: قد ظهرتِ البراهينُ وقامتِ الحججُ، فلا نحتاجُ إلى حجّةٍ نُقيمُها.

ابنُ عيسى: معناه: عدَلتُم عن الحُجَّةِ بإظهارِ العداوةِ والحسدِ[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٩).

(٢) في (ف): «يجازي جميعًا ولا يؤخذ».

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٢).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٩).

ويحتمِلُ: لا حجَّةَ بينَنا وبينكم، بل السَّيفُ بيننا وبينكم.

﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا﴾ في القيامةِ ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المَعادُ لفصلِ القضاءِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾: يُخاصِمونَ النَّبيَّ والمُؤمنين في توحيدِ الله.

قيل: هم المشرِكون.

وقيل: أهلُ الكتابِ، قالوا: كتابُنا قبلَ كتابِكم، ونبيُّنا قبلَ نبيِّكم، ودينُنا قبلَ دينِكم، فنحنُ خيرٌ منكم[1].

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ قيل: من بعدِ ما استجابَ الله محمّدًا[2] بإظهارِ المُعجزةِ الدَّالَّةِ على نُبوَّتِه.

وقيل: من بعدِ ما استجابَ أهلُ الكتابِ وأقرُّوا بنُبوَّتِه؛ لوجودِهم نعتَه في كتُبِهم، واستفتَحُوا به.

وقيل: من بعدِ ما استجابَ المؤمنونَ لربِّهم وآمنوا بكتابِهم.

وقيل: أُجيبَ له يومَ الميثاقِ.

وقيل: من بعدِ ما أُجيبوا إلى ما طلَبُوا منَ البيانِ والحجَّةِ.

وقيل: الاستجابةُ هاهنا: خلقُ السَّماواتِ ونصبُ الأَدِلَّاتِ[3].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٩).

(٢) كذا في النسختين، وكان الأظهر: «واستجاب الله لمحمد».

(٣) في (ف): «الأدلات».

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ لا تُؤدِّي إلى الحقِّ.

وقيل: ﴿دَاحِضَةٌ﴾: باطلةٌ زائلةٌ لتمسُّكِهم بالباطلِ، وسُمِّيت حُجَّةً بزعمِهم.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ بكفرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في النَّارِ.

* * *

(١٧) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ـ اسمٌ للجنسِ ـ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: العَدْلَ، وقيل: الأحكامَ.

وقيل: هو عينُ الميزانِ في زمنِ نوحٍ عليه السَّلامُ[١].

وقيل: أُلْهِمَ اتِّخاذَ الميزانِ.

وقيل: الميزانُ محمَّدٌ ﷺ يقضي بينَهم بالكتابِ[٢].

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾؛ أي: قريبٌ إتيانُها.

سيبويهِ: ذاتُ قربٍ، على النَّسبِ[٣].

الزَّجَّاجُ: لأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ[٤].

أبو عبيدةَ: القريبُ والبعيدُ إذا كانا ظرفَين أو بمعنى الظَّرفِ يستَوي فيهما المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ، والواحدُ والجمعُ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٠)، وعده من العجائب.

(٣) قوله: «على النسب» يعني: كحائض وطامث؛ بمعنى: ذات حيض، وذات طمث. انظر: «الكتاب» (٣/ ٣٨٣) (باب ما يكون مذكَّرا يوصف المؤنَّث)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٦).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٩، ٢٠٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١)، واستغربه.

(١٨) ـ ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾.

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ استهزاءً.

وقيل: طمعًا في أن يذكرَ النَّبيُّ ﷺ لها وقتًا مُعيَّنًا، ثمَّ يمضيَ الوقتُ فلا تقعَ، فيصيرَ حجَّةً لهم عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: خائفونَ منها وجلون لهولها.

وقيل: ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أن تقومَ فتَحولَ بينَهم وبينَ التَّوبةِ ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ الكائنُ لا محالةَ.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾: يُجادِلونَ في وُجودِها.

وقيل: يشكُّونَ في وُقوعِها.

وقيل: تَدخلُهم المِريةُ فينفونَها.

﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ﴾: خطأ ﴿بَعِيدٍ﴾ عنِ الصَّوابِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ أي: بارٌّ بهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: البرَّ والفاجرَ.

وقيل: معنى ﴿لَطِيفٌ﴾: يرزقُهم من حيثُ لا يعلَمون.

وقيل: معناه: يعلمُ خفيَّاتِ أمورِهم، واللُّطفُ في الأصلِ: الرِّقَّةُ.

وقيل: يَلطُفُ بهم فلا يُعاجِلُهم بالعقوبةِ كي يتوبوا.

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ غيرُ المغلوبِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ ﴾؛ أي: ثوابَ الآخرةِ بعملِه.

وقيل: تقديرُه: مَن كانَ يُريدُ بحَرْثِه الآخرةَ؛ أي: بعملِه.

وقيل: تقديرُه: حرثَ خيرِ الآخرةِ، وسُمِّيَ حَرْثًا؛ أي: كالزّارعِ الحرَّاثِ يطلبُ بحرثِه مزروعًا.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ فنُعطيَه بالواحدِ عشرًا ومئةً وأضعافًا.

وقيل: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾: نجمَعْ له الدُّنيا والآخرةَ.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قسَمْناه، و(مِن) للتَّبعيضِ.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾؛ أي: في خيرِ الآخرةِ ﴿مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنَّه كذَّبَ بها.

قتادةُ: إنَّ الله يُعطي الدُّنيا على نيّةِ الآخرةِ، ولا يُعطي الآخرةَ على نيّةِ الدُّنيا[1].

وقيل: نزلَتْ في الذين حارَبُوا مع رسولِ الله ﷺ؛ فمنهم مَن كانَ غرضُه وجهَ الله، فاللهُ وعدَه ذلك وزادَه في الدُّنيا الغنيمةَ، ومنهم مَن كانَ غرضُه الغنيمةَ، وهم المُنافقون فآتاهم ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قسمَ الغنيمةَ بين الكلِّ.

وفي كتابِ «النّاسخِ والمنسوخِ»: إنَّ في هذه الآيةِ قولَين:

أحدُهما: أنَّها منسوخةٌ بقولِه: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهو روايةُ جُوَيبرٍ عن الضَّحَّاكِ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩١) بلفظ: «من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئًا إلا رزقاً قد فرغ منه وقسم له».

والقولُ الثّاني: أنّها ثابتةٌ، وهو القولُ الذي لا يجوزُ غيرُه؛ لأنَّه خبرٌ، والخبرُ لا يدخلُه النَّسخُ[١].

***

(٢١) - ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾ ﴿أَمْ﴾ هي المُنقطعةُ عندَ بعضِهم، تقديرُه: بل ألهم شركاءُ.

وقال بعضُهم: هي المُعادِلةُ لألفِ الاستفهامِ، وفي الكلامِ مُضمَرٌ تقديرُه: أفتقبَلونَ[٢] ما شرعَ الله منَ الدِّينِ الذي وصَّى به نوحًا أم لهم آلهةٌ؟

﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: وضَعُوا[٣] لهم ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لم يأمُرْهم الله به.

وقيل: لم يعلَمْ به، كقولِه: ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٣٣].

والأَذَنُ: العلمُ بالمسموعاتِ؛ أي: شرَعُوا ما ليسَ بشريعةٍ؛ إذ لو كان شريعةً لعلِمَها الله.

وقيل: ما لم يُطلِقِ الله لهم التَّديُّنَ به، كما قالَ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ وهي نَظِرتُهم إلى وقتِ آجالِهم ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لعُجِّلت لهم العقوبةُ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٣١). وخبر ابن عباس واه، جويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٢) كذا في النسختين، والأظهر: «أفيقبلون...».

(٣) في (ف): «وصفوا».

(٢٢) ـ ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾.

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في القيامةِ ﴿مُشْفِقِينَ ﴾: خائفينَ ﴿مِمَّا كَسَبُواْ ﴾: من جزاءِ كفرِهم ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الجزاءُ ﴿ وَاقِعُۢ ﴾ لا محيصَ لهم عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾: في رياضِ الجنانِ، والرَّوضةُ: المكانُ الكثيرُ الخضرةِ والماءِ.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾؛ أي: يتمنَّونَ ويشتَهونَ في القيامةِ[١].

﴿ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: إعطاءُ هذه الأشياءِ ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾: النَّعيمُ الدّائمُ على القليلِ منَ العملِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.

﴿ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الفضلُ الكبيرُ، هو ﴿ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾؛ أي: هو لهم خاصَّةً.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا قدِمَ المدينةَ أتاه الأنصارُ وقالوا: إنَّك ابنُ أُختِنا، وقد هدانا الله على يدَيك، وتنوبُك نوائبُ وحقوقٌ، وليس لك عندَها سعةٌ، فرأينا أن نجمعَ لك من

---

(١) في (ف): «الجنة».

أموالِنا شطرًا فنأتيَكَ به وتستعينَ على ما ينوبُك، فنزلَتْ هذه الآيةُ(١).

وقال قتادةُ: اجتمعَ المُشركون في مَجْمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أترَونَ محمَّدًا يَسألُ على ما يتعاطاه أجرًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(٢).

وفي «النّاسخِ والمنسوخِ»: أنَّها منسوخةٌ بقولِه تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧](٣).

وفي معناه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ معنى قولِه: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إلَّا أنْ تَوَدُّوني في نفسي لقَرابَتي منكم، وهذا لقُريشٍ خاصّةً، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ وعكرمةَ ومُجاهدٍ(٤).

الثّاني: عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالوا: يا رسولَ الله، مَن هؤلاءِ الذين نَوَدُّهم؟ قالَ: «عليٌّ وفاطمةُ وولدُها»(٥).

---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٤)، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٩٨) دون نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٤).

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٥ ـ ٤٩٧). ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً البخاري (٤٨١٨): أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجِلْتَ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش، إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة».

(٥) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١١٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٤١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): «رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات».

والثَّالثُ: عن الحسنِ رضي الله عنه: إلَّا أن تودُّوا إلى الله وتتقرَّبُوا إليه بالطَّاعةِ والعملِ الصّالحِ[(١)].

الرَّابعُ: إلّا أن تودُّوا أقرباءَكم وتصِلُوا أرحامَكُم[(٢)].

وفي الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصلٌ، وهو فيمَن جعلَه منسوخًا.

وقيل: مُنقطِعٌ؛ أي: لا أسألُكم أجرًا البتّةَ، لكن أُذكِّرُكم المودَّةَ في القُربى.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: يكتسِبْ طاعةً.

وقيل: حبُّ آلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقرَفَ واقترَفَ بمعنًى.

وقيل: الاقتِرافُ لا يُستعمَلُ إلّا في الشَّرِّ، لكنْ لـمَّا كان معناه معنى الفعلِ استعملَه مكانَ الفعلِ.

ابنُ عيسى: الاقترافُ: عملُ شيءٍ يُؤخَذُ منه، مثل: قرَفَ التمرة[(٣)] في القُلَّةِ.

﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: نُضاعِفْها له، والضَّميرُ يعودُ إلى الحسنةِ، وقيل: إلى الجنّةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمَن أذنَبَ ﴿شَكُورٌ﴾ لمَن أطاعَ.

السُّدِّيُّ: ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبِ آلِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ، ﴿شَكُورٌ﴾ لحسناتِهم[(٤)].

***

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٩١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٩)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٣٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «التبر».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

(٢٤) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: إنَّ محمَّدًا ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بدعوى النُّبوَّةِ وتقوُّلِ القرآنِ.

﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لأَنساكَ ما آتاكَ منَ القرآنِ، ولكنَّه لـم يشَأْ، فأثبتَه فيه.

ابنُ عيسى: لو حدَّثْتَ نفسَك أن تفتريَ على الله كذِبًا لطبعَ على قلبِكَ[١].

وقيل: لجعَلَ قلبَكَ كالمختومِ عليه، لا يصِلُ إليه شيءٌ ولا يخرُجُ منه شيءٌ.

وقيل: لأماتَك؛ فإنَّ قلبَ الميتِ كالمختومِ عليه، ومثلُه: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦][٢].

مُقاتلٌ: فإنْ يشأ الله يربِطْ على قلبِكَ بالصَّبرِ على أذاهُم، فلا يدخُلْ قلبَك حزنٌ ولا ضِيقٌ[٣].

ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾: يرفعُه ويُزيلُه.

وقيل: يُهلِكُ الشِّركَ، وحُذِفَ الواوُ منَ الخطِّ لا للجزمِ، ومثلُه: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ [الإسراء: ١١]، و: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

وذهبَ أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ: أنَّ الواوَ حُذِفَ للجزمِ، وجعلَ معنى الآيةِ: إن افترَيتَ ختَمَ على قلبِكَ ومحا الباطلَ المُفترى[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٩)، وفيه: «يربط على قلبك فلا يَدخُل في قلبك المشقةَ من قولهم بأن محمداً كذاب مفترٍ»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢) واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، وعده من العجائب.

فعَلَى قولِه ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾ استئنافٌ، ومعناه: يُظهِرُ الحقَّ ويُثْبتُه.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: بالقرآنِ.

وقيل: يُصدِّقُ رسولَه بوحيِه.

وقيل: ينصُرُ دينَه بوعدِه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بضمائرِ القلوبِ، فلو علمَ من قلبِه أنَّه همَّ بالافتراءِ لعاجلَه بالعقوبةِ، فكيفَ إذا نطقَ به وصرَّحَ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ إذا تابوا؛ لأنَّه إنْ لم يقبَلْ كانَ إغراءً بالمعاصي.

﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بعدَ التَّوبةِ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا يفعلون﴾[١] فيُجازيهِم عليه.

وقيل: يعلَمُ اعتقادَهم فلا يقبلُ إلَّا التوبةَ النَّصوحَ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: يُجيبُهم إلى ما يدعونَه، وقيل: يَقبلُ طاعاتِهم، وقيل: هو دعاءُ بعضِهم لبعضٍ. واستجابَ وأجابَ بمعنًى، زيدَ السِّينُ للتَّوكيدِ؛ كقولِه: تعظَّمَ واستعظَمَ، وتثبَّتَ واستثبَتَ.

وقيل: ويستجيبُ للَّذين، فحُذِفَ اللَّامُ، كما قالَ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٥][٢]، مَنَّ عليهم بأن أمهلَهُم للتَّوبةِ، ثمَّ إذا تابُوا قبِلَها منهم وعفا

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿مَا تَفۡعَلُونَ﴾، والباقون بالياء، وعلى قراءة الياء شرح المصنف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٢)، واستغربه.

بعدَ التَّوبةِ عن سيِّئاتِهم، واستجابَ لهم ربُّهم، وزادَهم من فضلِه.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هذَين القولَين نصبٌ[١].

وقيل: محلُّه رفعٌ؛ أي: يُجيبُ المؤمنونَ ربَّهم فيما دعاهُم إليه[٢].

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: يُعطيهم في الجنَّة أكثرَ ممَّا سألوا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُشفِّعُهم في إخوانِهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: يُشفِّعُهم في إخوانِ إخوانِهم[٣].

الضَّحَّاكُ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: يجعلُ لهم محبَّةً في صدورِهم، ويُسبغُ عليهم النِّعمةَ في الدُّنيا والآخرةِ[٤].

وعن عبدِ الله رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: الشَّفاعةُ لمَن وجبَتْ له النّارُ»[٥].

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرةِ.

* * *

---

(١) والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على الخالق سبحانه وتعالى.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٧١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٦٢)، و«الأوسط» (٥٧٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٨)، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٢٨) إلى ابن مردويه، وقال: «وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي، ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا». وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٥٢).

(٢٧) ـ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾: لو أغناهُم جميعًا ﴿لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بغَى بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: لظلَمُوا في الأرضِ.

وقيل: لبَغَوا بارتكابِ المعاصي.

وقيل: لتَرامَوا إلى إفسادِ الأرضِ بأنْ لا يحتاجَ بعضُهم إلى بعضٍ فلا يتعاوَنُوا.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾؛ أي: بقَدْرِ ما علمَ أنَّ فيه صلاحَهم.

محمَّد بنُ جريرٍ: إنَّها نزلَتْ في أصحابِ الصُّفَّةِ تـمَنَّوا الغِنَى[1].

وقيل: هذا في العربِ، كانوا إذا أخصَبُوا تحارَبُوا وأغارَ بعضُهم على بعضٍ، وإذا أجدَبُوا انتجَعُوا في طلبِ الرِّزقِ، وفيه يقولُ الشّاعرُ:

وفي البقلِ إنْ لم يَدْفعِ اللهُ شرَّه ... شياطينُ ينزُو بعضُهنَّ على بعضٍ[2]

ومثلُه:

قومٌ إذا نبَتَ الرَّبيعُ لهم[3] ... نبتَتْ عداوتُهم معَ البقلِ[4]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٠٩)، ورواه عن عمرو بن حريث.

(٢) البيت بلا نسبة في «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩٦)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٧٢)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٥٢٧).

(٣) في (ن): «بأرضهم» والمثبت من (ف) والمصادر.

(٤) البيت للحارث بن دوس الإيادي يخاطب المنذر بن ماء السماء. انظر: «المعاني الكبير» (٢/ ٩٦٢)، و«لسان العرب» مادة: (ب ق ل). وهو دون نسبة في «الصحاح» مادة: (ب ق ل)، و«مجمل اللغة» (١/ ١٣٠) مادة: (ب ق ل)، و«الاقتضاب» للبطليوسي (٣/ ٣١١).

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ علمَ صلاحَهم وصلاحَ كلِّ أحدٍ منهم فأعطى كلَّ أحدٍ منهم ما كُتِبَ له منَ الرِّزقِ.

وقيل: لو رزَقَهم من غيرِ كسبٍ لتَفرَّغوا للفسادِ، ولكنْ شغلَهم بالكسبِ؛ لئلّا يتفرَّغُوا للفسادِ.

***

(٢٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ وهو منَ المطرِ ما كانَ نافعًا وفي وقتِه، والمطرُ قد يكونُ نافعًا ومُضِرًّا، وفي وقتِه وغيرِ وقتِه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ أيِسُوا منه لتأخُّرِ نزولِه.

﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾: نعمتَه وخِصْبَه، فيعمُّ[1] السَّهلَ والجبلَ والعامرَ والغامرَ.

وقيل: رحمتُه: مطرُه.

وقيل: نَشْرُها: عمومُها لجميعِ الخليقةِ.

﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾: الرَّبُّ المحمودُ، يُعيدُ المطرَ عامًا بعد عامٍ، مرَّةً بعد أُخرى[2].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿ٱلۡوَلِيُّ﴾ في الآيةِ: المطرُ الذي يقعُ بعد الوسميِّ[3] ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: المحمودُ أثرُه[4].

---

(١) في (ف): «فتعم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) في هامش (ن): «الوسمي: المطر الأول»، فالوسمي أول مطر السنة في الخريف، والولي آخر مطر الشتاء قبل الربيع. انظر: «العين» (٧/ ٣٢٢)، و«المخصص» ....

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، وعده من العجائب.

(٢٩) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: من علاماتِ قُدرتِه ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع عِظَمِهما وكثرةِ أجزائِهما ﴿وَمَا بَثَّ﴾: خلَقَ وفرَّقَ ﴿فِيهِمَا﴾: في السَّماواتِ وفي الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: من خلقٍ.

وقيل: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: الإنسُ والجنُّ والملائكةُ وسائرُ الحيوانِ.

الفرَّاءُ: ﴿فِيهِمَا﴾ يعودُ إلى الأرضِ وحدَها؛ كقولِه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢][1].

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾: إحيائِهم بعدَ الموتِ ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾: قادرٌ على ذلك.

* * *

(٣٠) - ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: غمٍّ وألمٍ ومكروهٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: فهو عقوبةُ المعاصي[2] التي اكتسبْتُموها.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ منَ الذُّنوبِ فلا يُعاقِبُ عليه.

وقيل: عن كثيرٍ منَ النَّاسِ فلا يُعاجِلُهم بالعقوبةِ؛ إمَّا عطفًا ورحمةً، وإمَّا زيادةً في العذابِ واستدراجًا.

الحسنُ: أرادَ به إقامةَ الحدودِ على المعاصي، ويعفُو عن كثيرٍ فلم يجعَلْ له حدًّا[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «للمعاصي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٤) وقال: «وهو مقتضى قول الحسن»، وقول =

مَن قرأ بالفاءِ فهو لجوابِ الشَّرطِ، أو بمعنَى الشَّرطِ[١]، ومَن حذفَ الفاءَ[٢] جعلَ ﴿ما﴾ مُبتدأً، وإن شئتَ قلتَ: لمَّا لم يَعملْ جزمًا لـم يحتَجْ إلى الفاءِ[٣].

وفي «تفسيرِ الكعبيِّ»: تعلَّقَ بهذه الآيةِ مَن يقولُ بالتَّناسخِ، وقالوا: لولا أنَّ الأطفالَ والبهائمَ كانت لهم حالةٌ كانوا عليها قبلَ هذه الحالةِ ما كانوا ليتألَّـموا.

قالَ: وقالَ الآخرون: لـمَّا بَطَلَ قولُ أصحابِ التَّناسخِ، وصحَّ أنَّ الأطفالَ لا ذنوبَ لهم صحَّ أنَّ الأطفالَ لا يألَـمونَ.

قالَ: قيل لهم: هذا خطابٌ للبالغينَ المُكلَّفين، وليس فيهم طفلٌ ولا شيءٌ منَ البهائمِ والحيوانِ غيرِ البالغِ المُكلَّفِ العاقلِ[٤].

وقال غيرُه: إنَّها في البالغينَ عقوبةٌ، وفي الأطفالِ مثوبةٌ.

وقيل: فيما يُصيبُ الطِّفلَ مثوبةُ الوالدَين.

***

(٣١) ـ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: فائتينَ فلا يُغرَّنَّكم إمهالُه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يحفظُكم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾: ناصرٍ يدفعُ عنكم العذابَ إذا حلَّ بكم.

= الحسن رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٤) بلفظ: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: هذا في الحدود»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(١) «أو بمعنى الشرط»: ليست في (ف).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: ﴿بما كسبت﴾ بغير فاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٤)، وعده من العجائب.

(٣٢) ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: جمعُ جاريةٍ، وهي السَّفينةُ من قولِه: ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾: كالجبالِ في العِظَمِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾.

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓ﴾؛ أي: فيبقَينَ واقفةً على ظهرِ الماءِ، تقولُ: ركَدَ؛ إذا وقَفَ وثبَتَ، ومنه «الماءُ الرَّاكدُ»: الواقفُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾؛ أي: لكلِّ مؤمنٍ؛ فإنَّ الإيمانَ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

وقيل: ﴿صَبَّارٖ﴾ في السَّفينةِ، ﴿شَكُورٍ﴾ إذا خرَجَ منها.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ۝٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾.

﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾: يُهلِكْ كثيرًا منَ السُّفنِ ومَن فيها بذنوبِهم ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ﴾ فيُنجيَهم.

وقيل: يعفُو عن كثيرٍ منَ الذُّنوبِ، فلا يُجازي عليها في الدُّنيا.

وقيل: لا يُجازي عليها في الدُّنيا والآخرةِ.

﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يجعلون الأوثانَ لله شُركاءَ ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ منَ العذابِ.

قولُه: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ جزمٌ بالعطفِ، وكذلك ﴿يَعۡفُ﴾، و﴿يَعۡلَم﴾ قُرِئَ بالرَّفعِ

والنَّصبِ[١]، النَّصبُ بإضمارِ «أنْ»، والكوفيُّونَ يُسمُّونَه صرفًا[٢]؛ أي: صُرِفَ عن إعرابِ الأوَّلِ، والرَّفعُ على الاستئنافِ.

* * *

(٣٦) - ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾؛ أي: أموالُكم تنفعُكم مدَّةَ حياتِكم في الدُّنيا، وهو نفعٌ يسيرٌ.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يريدُ: منافعُ الآخرةِ المُعدَّةَ للمؤمنين المتوكِّلين خيرٌ؛ لأنَّه أمتعُ وألذُّ وأبقى؛ لأنَّه دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

(٣٧) - ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿الذين آمنوا﴾ ومحلُّه جرٌّ.

﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ أضافَ إلى الإثمِ، فإنَّ في الإثمِ الصَّغيرةَ والكبيرةَ، والصَّغيرةُ مغفورةٌ إذا اجتُنِبَ الكبيرةُ؛ كقولِه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١].

وقيل: مُضافٌ إلى نفسِه، كقولك: عجائبُ خلقِ الله.

ومَن وحَّدَ[٣] فالمرادُ به الجمعُ أيضًا؛ لإجماعِهم على الجمع في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ: مَن وحَّد أرادَ الشِّركَ[٤].

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: (ويعلمُ الذين) بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤)، وقد تقدم الكلام على الصرف عند الكوفيين.

(٣) قرأ حمزة والكسائي (كبير الإثم) واحداً، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨١).

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٦). قال الفراء في =

﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ عطفٌ على الكبائرِ.

وقيل: هي الزِّنى.

وقيل: ما عظُمَ قُبحُه فهو فاحشةٌ.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ أي: غضِبُوا من أمورِ دُنياهم عَفَوا، وإذا[1] غضِبَ بعضُهم على بعضٍ تجاوَزُوا.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه إلى ما دَعاهم إليه منَ الطّاعةِ.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: الصَّلواتِ الخمسَ في مواقيتِها بشرائطِها.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: إذا حزَبَهم أمرٌ استشاروا ذَوي الرَّأيِ منهم.

والمُشاورةُ: المُفاوضةُ في الكلامِ ليظهرَ الصَّوابُ، واشتِقاقُها من: شُرْتُ الدَّابَّةَ شورًا؛ إذا استخرَجْتَ ما عندَها منَ الجرْيِ، وكذلك: شُرْتُ العسَلَ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدَّقونَ.

وقيل: يُنفِقُونَ منَ الحلالِ.

ويحتمِلُ: يُنفِقُونَ مُقرِّينَ بأنَّه من رزقِ الله؛ فإنَّ الكافرَ أيضًا يُنفِقُ مـمَّا رزقَه الله لكنَّه جاحدٌ.

* * *

= «معاني القرآن» (٣/ ٢٥): «قرأه يحيى بن وثاب: (كبير)، وفسر عن ابن عباس: أن كبير الإثم هو الشرك، فهذا موافق لمن قرأ: (كبير الإثم) بالتوحيد».

(١) في (ف) زيادة: «وقيل إذا».

(٣٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ ﴾: الظُّلمُ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: ينتَقِمونَ ويقتصُّونَ، وليس بينَ هذه الآيةِ وبين قولِه: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ مُنافاةٌ؛ لأنَّ البغيَ هو الذي يُؤدِّي إلى الفسادِ.

وقيل: [إذا] أصابَهم بغيُ المشركينَ انتَصَروا بالسَّيفِ منهم.

ابنُ زيدٍ: منسوخةٌ بالجهادِ(١).

غيرُه: محكمةٌ؛ لأنَّ الانتصارَ منَ الظَّالـمِ تقويمٌ له ممدوحٌ ومحمودٌ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ قيل: ذلك في القِصاصِ.

مجاهدٌ: إذا قالَ: أخزاهُ الله، فله أن يقولَ له مثلَ ذلك(٢).

وأفادَ ﴿مِّثْلُهَا﴾ قَدْرَ الجنايةِ من غيرِ زيادةٍ، وسُمِّيَ الثّاني ﴿سيِّئة﴾ ازدِواجًا للكلامِ، وليست هي سيئةً.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالسَّيِّئةِ هاهنا: ما يكرهُه النَّاسُ طبعًا، كالقِصاصِ والقطعِ والحدِّ وغيرِ ذلك(٣).

﴿فَمَنْ عَفَا﴾: تركَ الانتقامَ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما بينَه وبينَ أخيه، وقيل: أصلَحَ العملَ.

---

(١) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٨)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٥)، واستغربه.

﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: فهو المُتولِّي لذلك.

ورُوِيَ مرفوعًا أنَّه يُنادي يومَ القيامةِ مُنادٍ: «مَن له أجرٌ على الله فليقُمْ، فيقومُ مَن عفا وأصلَحَ»(١).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المُبتدئينَ بالسَّيِّئةِ.

وقيل: المُجازي بأكثرَ منَ السَّيِّئةِ.

وقيل: الذين يمنعونَ الواجبَ.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾؛ أي: أخذَ حقَّه بعد أن ظُلِمَ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ إلى لومِهِ.

وقيل: ما عليهم من إثمٍ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩٩٨)، وفي «مكارم الأخلاق» (٥٥) من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه يرفعه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٠٨٠): «أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه».
وروي موقوفًا على الحسن؛ رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٧٩).
ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.
وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٥٠) من طريق الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا.
وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا و(٤٧٧٧) مرفوعًا، ورجَّح الموقوف. وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٩).

(٤٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ باللَّومِ والإثمِ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: يستطيلونَ على النّاسِ ويُفسِدونَ عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وجيعٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾؛ أي: ﴿صَبَرَ﴾ على مَظْلِمةٍ ولم يقتصَّ، ﴿وَغَفَرَ﴾: تجاوَزَ عنه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الصَّبرَ والمغفرةَ ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾؛ أي: منَ الأمورِ الذي نُدِبَ إليها.

وقيل: منَ الثَّابتِ الذي لا يُنسَخُ.

والعَزْمُ: الإقدامُ على الأمرِ بعد الرَّوِيَّةِ والفكرةِ.

وقيل: عزمُ الأمورِ: حقيقتُها.

والعائدُ إلى المبتدأ مُقدَّرٌ؛ أي: منه، و: له.

نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ الله عنه[1].

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٩) عن الكلبي والفراء: أنها نزلت فيه مع ثلاثِ آياتٍ قبلها، وقد شتمه بعض الأنصار فرد عليه ثم أمسك. ولعله ما رواه أبو داود (٤٨٩٦) عن سعيد بن المسيب مرسلًا قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان».

(٤٤) ـ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بالخذلانِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: ما له أحدٌ يَهْدِيه بعدَ خذلانِ الله إيّاه.

﴿وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ في القيامةِ ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: حينَ يرونَ، فجاء بلفظِ الماضي تحقيقًا.

﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾: هل إلى رجعةٍ إلى الدُّنيا من حيلةٍ فنُؤمنَ بك؟

***

(٤٥) ـ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يُساقُونَ إليها، وأنَّثَ العذابَ حملًا على المعنى، وهو النَّارُ، وقيل: على جهنَّمَ.

﴿خَـٰشِعِينَ﴾: ساكتينَ مُتواضِعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: الذِّلةِ والخزيِ والحزنِ.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾؛ أي: ينظرُونَ إلى النّارِ بعينٍ ضعيفةٍ وطَرْفٍ ساقطٍ.

والطَّرفُ: العينُ، وأصلُه مصدرٌ فلم يُجمَعْ.

وقيل: يُسارِقُونَ النَّظرَ إلى النّارِ حذرًا.

وقيل: الطَّرفُ الخفيُّ: عينُ القلبِ؛ لأنَّهم يُحشَرونَ عُمْيًا فينظرون إليها بقُلوبِهم.

وقيل: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ذليلٍ.

وقيل: ينظرونَ إلى النّارِ ببعضِ أبصارِهم؛ لأنَّهم يجزَعونَ منَ النَّظرِ إليها بجميعِ أبصارِهم.

وقيل: غَضُّوا من أبصارِهم استكانةً وذُلًّا.

وقيل: ينظُرونَ من تحتِ أشفارِهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ أي: يقولون في القيامةِ إذا رأوا الظّالمينَ.

وقيل: يقولون في الدُّنيا.

وقيل: هذا تعليمٌ للمؤمنينَ.

﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: لا يَنتفِعون بأنفسِهم ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ قيل: هذا من تمامِ كلامِهم.

وقيل: هذا تصديقٌ منَ الله لهم.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يَحُولونَ بينَهم وبينَ عذابِ الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: يخذُلْه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: حُجَّةٍ.

وقيل: سبيلٍ إلى النَّجاةِ.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾: أجيبُوه إلى ما دَعاكُم إليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهو يومُ القيامةِ، وقيل: هو يومُ الموتِ.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قيل: ﴿مِنَ﴾ مُتَّصلٌ بـ﴿يَأْتِيَ﴾؛ أي: يأتيَ يومٌ منَ الله لا مردَّ له.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿مَرَدَّ﴾؛ أي: لا يرُدُّه الله.

وقيل: لا يُرجِعُ فيه بعدَ ما حِكمَ به.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾: مَفَرٍّ[1] وحِرْزٍ ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: مُغيِّرٍ يدفعُ عذابَ الله عنكم.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عنِ الإيمانِ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: مُسلَّطًا يحفظُهم على الإيمانِ ويمنعُهم منَ الكفرِ.

وقيل: حسيبًا.

وقيل: كفيلًا بإيمانِهم.

وقيل: هذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾؛ أي: ليس عليك إلا تبليغُ الرِّسالةِ وقد فعلتَ.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمةً وخِصْبًا وسَعةً ﴿فَرِحَ بِهَا﴾: بطِرَ لأجلِها وزَها إعجابًا بها فلم يشكُرْ مَن أزَلَّها وأسداها[2].

---

(١) في (ف): «مقر».

(٢) في هامش (ن): «أزل وأسدى؛ أي: أعطى».

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: مِحنةٌ وقَحْطٌ وضِيقٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسببِ معاصيهم عقوبةً لها، وجمعَ حملًا على الجنسِ، كما استثنَى[1] في (العصرِ).

﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ يَعُدُّ المصائبَ ويَجْحَدُ النِّعمَ.

وقيل: يسخطُ من قضاءِ الله ولـم يَرَه عقوبةً، وهو من كُفرانِ النِّعمةِ.

وقيل: هذا خاصٌّ، والمرادُ به الكفرُ بالله سُبحانَه وتعالى، ولهذا ذُكِرَ بلفظِ المُبالغةِ.

* * *

(٤٩) - ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ من غيرِ اعتراضٍ عليه.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: بناتٍ دونَ البنينَ، وقدَّمَ ذكرَ البناتِ تطييبًا لقلبِ آبائِهنَّ.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: البنينَ دونَ البناتِ، وأدخَلَ الألفَ واللَّامَ فضيلةً للمُذكَّرِ وتعريفًا، ومُراعاةً لرَويِّ الآياتِ.

* * *

(٥٠) - ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾؛ أي: ويهَبُ لمَن يشاءُ البنينَ والبناتِ، ومعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾: يجمعُهم.

وقيل: يَقرِنُهم، من قولِ العربِ: زوَّجْتُ إبلي؛ إذا قُرِنَ الضَّعيفُ بالقويِّ.

مجاهدٌ: هو أن تلدَ المرأةُ غلامًا ثمَّ جاريةً ثمَّ غلامًا ثمَّ جاريةً[2].

---

(١) أي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من لفظ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [العصر: ٢]، مع أن لفظه واحد، وذلك لأن معناه الجنس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١).

ابنُ الحنفيَّةِ: تلدُ توأمًا غلامًا وجاريةً(١).

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا بنينَ له ولا بناتٍ، والعقيمُ: الذي لـم يلِدْ منَ الرَّجلِ والمرأةِ. والعقيمُ منَ الرِّيحِ: التي لا خيرَ معها.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الآيةُ خاصّةٌ في الأنبياءِ عليهم السَّلامُ؛ وهَبَ الله للوطٍ عليه السَّلامُ بناتٍ، ولإبراهيمَ عليه السَّلامُ بنينَ، ولمُحمَّدٍ ﷺ البنينَ والبناتِ، وجعلَ عيسى ويحيى عليهما السَّلامُ عقيمًا(٢).

وقيل: معناه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا﴾: الدُّنيا ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: الآخرةَ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا﴾: الدُّنيا والآخرةَ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: لا دُنيا ولا عُقبى(٣).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بمصالحِ العبادِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادِرٌ على الكمالِ.

***

(٥١) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: رُؤيا منامٍ.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٤) بلفظ: «﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا﴾: التوائم». وذكر معناه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١) بلفظ: «أن تلد توأمين غلاماً وجارية»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٥) بلفظ: «تلد توأماً عاماً وجارية عاماً»، واستغربه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) عن إسحاق بن بشر، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١١) عن النقاش، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٦)، وعده من العجائب.

وقيل: نَفثًا في الرُّوعِ(١).

وقيل: إلـهامًا، كما كانَ لداوُدَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه أُلهِمَ الزَّبورَ فكَتَبَ حفظًا.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ قيل: حجابٍ عن إدراكِ ذلك الكلامِ إلّا المُكلَّمَ.

وقيل: حجابٍ لموضعِ الكلامِ.

وقيل: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ أي: بمنزلةِ ما يُسمعُ من وراءِ حجابٍ؛ لأنَّه على خلافِ المُخاطَبةِ كما كلَّمَ الله موسى عليه السَّلامُ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: جبريلَ عليه السَّلامُ ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما جاءَ إلى محمَّدٍ ﷺ، وجعلَ إرسالَ الرَّسولِ أحدَ أقسامِ الكلامِ.

قولُه: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾: لا يجوزُ أن يكونَ محمولًا على ﴿أَن﴾ المُتقدِّمةِ؛ لأنَّ الحملَ عليه إنكارٌ لإرسالِ الرُّسلِ، وذلك غيرُ جائزٍ، بل يكونُ محمولاً(٢) على (أنْ) آخَرَ، تقديرُه: إلّا وحيًا أو أن يُرسِلَ رسولًا.

وقيل: ﴿أَوْ﴾ هاهنا بمعنى: إلا أن؛ كما تقولُ: لا أُفارِقُكَ أو تعطيَني حقِّي، كأنَّه قالَ: إلا أن يُرسِلَ رسولًا فيوحيَ بإذنِه.

ومَن رفعَ ﴿يرسلُ﴾... ﴿فيوحيْ﴾(٣) جعلَه حالًا أو استئنافًا.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾: مُتعالٍ عمَّا لا يليقُ به منَ الأوصافِ ﴿حَكِيمٌ﴾: يُدبِّرُ ما يريدُ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «الرُّوع: القلب، والرَّوْع: الخوف».

(٢) في (ن): «حملاً».

(٣) هي قراءة نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٥). وذكر في «السبعة» خلافاً عن ابن عامر.

(٥٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ أي: كما أوحينا إلى سائرِ الأنبياءِ أوحينا إليكَ بأنْ أرسلنا إليك جبريلَ عليه السَّلامُ.

ويحتمِلُ أنَّه إشارةٌ إلى الخِلَالِ[١] الثَّلاثِ؛ لأنَّه عليه السَّلامُ كانَ في بَدءِ الأمرِ[٢] يرى الرُّؤيا، وسمِعَ من وراءِ الحجابِ الكلامَ ليلةَ المعراجِ، وأتاه جبريلُ عليه السَّلامُ على الدَّوامِ[٣].

قوله ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: القرآنَ، وسمَّاه رُوحًا؛ لأنَّ حياةَ الأديانِ به.

وقيل: ﴿رُوحًا﴾: وَحيًا.

وقيل: رحمةً.

وقيل: جبريلَ عليه السَّلامُ؛ أي: أوحَيْناه بالقرآنِ إليك.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: قبلَ الوحيِ ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ أي: قبلَ البُلوغِ.

وقيل: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا إنعامُنا عليك.

وقيل: ولا أهلُ الإيمانِ.

وقيل: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ لولا الوحيُ، وهذا أشدُّ اتِّصالًا بما قبلَه[٤].

---

(١) في (ف): «الحال».

(٢) في (ف): «الإسلام».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٧)، واستغربه.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الكتابَ، وقيل: الإيمانَ. وقيل: يعودُ إليهما.

﴿نُورًا﴾: ضياءً ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: نُوفِّقُ مَن كانَ أهلًا لذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: تُرشِدُ وتدعو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: الإسلامِ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: كتابٍ مُستقيمٍ[1].

* * *

(٥٣) ـ ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ هذا وعيدٌ بالجحيمِ ووعدٌ بالجنّةِ والنعيمِ.

والله أعلَمُ بالصَّوابِ[2].

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٣).

(٢) «والله أعلم بالصواب»: ليست في (ف).

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

تسعٌ وثمانون آيةً[1]، مكيَّةٌ.

قال مقاتلٌ: إلا آيةً من قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥][2].

بسم الله الرحمن الرحيم.

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ﴾: القرآنِ، أَقسمَ اللهُ به أنه جَعَله بلسانِ العرب ليَعْقِلوه.

وقيل: أَقْسَمَ به أن اللهَ جَعَله قرآناً عربيًّا وليس مفترًى[3] كما زعَمَه بعضُهم، وهذا أولى بالجواب؛ لأن كونه عربيًّا غيرُ مشكوكٍ فيه.

قال القفَّالُ: يجوز أن يكون (الكتاب) عامًّا، و﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾ كنايةً عن غيرِ مذكورٍ؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ويحتمِلُ على قولِ القفَّالِ أنَّ (الكتاب) لمَّا كان للجنسِ اشتَمَل على القرآنِ، فصار كالمتقدِّم ذِكرُه، فجاز الكنايةُ عنه.

---

(١) «تسع وثمانون آية»: ليست في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٣)، وفيه: «ثمانون وثمان في الشَّامي، وتسع في عدد الباقينَ، اختلافها آيتان: ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ لم يعدها الكوفي والشامي وعدها الباقون».

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٧٢).

(٣) في (ف): «بمفترى».

وقيل: تقديرُه: وربِّ الكتاب.

وقيل: الكتابُ: اللوحُ المحفوظ.

ابن بحر: الكتابُ: الخطُّ، وأَقْسَم به تعظيماً لنِعْمتِه فيه، وفي القَسَم بالشيء تعظيمٌ لذلك الشيءِ وتوكيدٌ لِمَا يُقْسَمُ عليه[1].

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: أبانَ الأحكامَ والحلالَ والحرام.

وقيل: بيَّن الهدى والرَّشاد.

وقيل: ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: البيِّن؛ لأنه من حروفٍ يَعْرِفونها.

قال ابنُ عيسى: البيانُ: ما يَظْهَرُ به المعنى للنَّفس عند الإدراكِ بالبَصَر أو السَّمْع، وذلك على خمسةِ أوجهٍ: لفظٍ، وخطٍّ، وإشارةٍ، وعقدٍ، وهيئةٍ كالإعراضِ وتكليحِ الوجه.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: بيَّنَّاه بلغةِ العرب.

وقيل: وصَفْناه.

وقيل: قُلْناه.

الثعلبي: معنَى ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: سمَّيْناه؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩][2]، وهذا مزيَّفٌ؛ لأنَّ القرآنَ عربيٌّ في جميعِ الأحوال.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٥٩)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٠٥)، وفيه: «أي: أنزلناه، وسميناه، وبيناه، ووصفناه، كقوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، وقوله تعالى: =

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تَفْهَموا معانيَه وما شَرَعَ لكم فيه، فيكونُ عامًّا.

وقيل: لعلَّكم تتفكَّرون؛ يعني: العربَ.

وقيل: (لعلَّ) للطَّمَع؛ أي: ليَرْجُوَ محمدٌ ﷺ أنْ يَسمعوا فيَعْقِلوا فيُؤْمِنوا.

* * *

(٤) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطفٌ على القَسَم؛ أي: القرآنَ.

وقيل: علمَ الساعة.

وقيل: عَمَلَ بني آدم.

﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللَّوح المحفوظ، وسمَّاه أمَّ الكتابِ لأنَّه أصلُ كلِّ كتاب.

ابنُ بحرٍ: ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الحكمةِ؛ أي: كلُّ كتبِ الله منزَّلٌ بالحكمة[1].

وقيل: هو الكتابُ الذي فيه أعمالُ العبادِ عند الحَفَظة.

﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا في محلِّ الشَّرفِ والكرامةِ لا يَتطرَّق إليه التغييرُ والتبديل.

﴿لَعَلِىٌّ﴾: عَلِيُّ الشأن، وقيل: عليٌّ في البلاغة؛ لظهورِ ما بالعبادِ إليه الحاجةُ فيه.

﴿حَكِيمٌ﴾: مُحْكَمٌ، وقد سبَق.

واللامُ لخبرِ (إنَّ)، والتقدير: وإنَّه لعليٌّ حكيمٌ في أمِّ الكتابِ لدَيْنا.

= ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ كلها بمعنى الوصف والتسمية، ويستحيل أن تكون بمعنى الخلق ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٠)، وعده من العجائب.

(٥) - ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾.

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾: أفنُمْسِكُ عن الذِّكر، تقول: ضَرَب عنه الذِّكرَ وأَضْرَبَ؛ إذا أَمْسَكَ عنه.

قال القفَّال: هذا مِن: ضَرَب في الأرضِ؛ إذا أَبْعَدَ، وأَنْشدَ:

اضْرِبَ عنك الهُمومَ طارِقَها ... ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ[1]

والصَّفْحُ: الإعراضُ، مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ السَّابق، والأصلُ فيه: أنْ تُوْلِيَ الشيءَ صَفْحةَ عُنُقك.

وقيل: نصبٌ على الحال؛ أي: صافحِينَ، ولا يمتنِعُ أن يكون مفعولاً له.

وتأويل ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾؛ أي: نَكُفُّ ونُمْسِكُ عنكم إنزالَ القرآن والتذكيرَ بالوعدِ والوَعيدِ ﴿ صَفْحًا ﴾: إعراضاً عن تنبيهِكم؟

وقيل: المرادُ بالذكر هو أنْ يُذَكَّروا بالعقوبةَ؛ أي: يعاقبوا.

وقيل: ضربُ الذِّكر: رفعُ القرآن عن الأرضِ؛ أي: أَفنَرْفعُ القرآنَ من بينِ أظهُرِكم لإشراكِكُم مع عِلْمِنا بأنَّه سيأتي مَن يَقْبلُه ويَعملُ به؟

السُّدِّيُّ: أفنترككُم سُدًى لا نأمُرُكم ولا نَنْهاكُم[2]؟

---

(١) نسب لطرفة في «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٤٦٢)، و«الصحاح» مادة: (ق ن س)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٣٧).

وجاء في «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٦٥) عن أبي حاتم: «أنشدني الأخفش بيتًا مصنوعًا لطرفة»، فذكره.

وذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٩٧) وقال: «مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا، ولا رواية تثبت به».

(٢) ذكره عن السدي القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٨)، =

النقَّاش: نُهْمِلُكم فلا نُعرِّفُكم ما يجبُ عليكم[١]؟

والأَلْيَقُ بالآيةِ ذكرُ العذاب؛ لقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾.

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مشركينَ، قرئ بالفتح؛ أي: لِأَنْ كنتُم، وبالكسر[٢]، وله وجهان:

أحدهما: إنْ يكونوا قوماً مسرِفين نَضْرِبُ.

والثاني: إنْ يَقَعْ مثلُ هذا نَضربْ عنكم، وقد مضَى في قوله: ﴿إِنْ صَدُّوكم﴾[٣].

وقولُ مَن قال: (إن) بمعنى (إذ) مزيَّفٌ[٤].

* * *

(٦) ـ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما أكثرَ ما أرسَلْنا من الأنبياء في الأُمم الماضِينَ!

* * *

= والواحدي في «البسيط» (٤/ ٦٤) عن الكلبي، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٧) عنه وعن مجاهد قالا: «أفنضرب عنكم العذاب ونمسك ونعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم؟».
وروى أوله الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٤٨) عن السدي قال: «أفنضرب عنكم العذاب؟».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٦).

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائيّ: (إن كنتم) بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٣) الآية (٢) من سورة (المائدة)، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة، وباقي السبعة بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٠)، وعده من العجائب.

(٧) ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾؛ أي: لم يكن يأتيهم نبيٌّ إلا استَهْزَؤوا به كما استَهْزَأ قومُكَ بك.

* * *

(٨) ـ ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم ﴾؛ أي: أشدَّهم ﴿بَطْشًا﴾ كعادٍ وثمودَ، و(مِن) زيادةٌ.

وقيل: أشدَّ من قومِكَ بطشاً.

ويحتمِلُ أن التقدير: أشدَّ منكم، فجاء بالهاء كما في قوله: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: سُنَّتُهم وعقوبتُهم.

وقيل: صفتُهم وذكرُهم في القرآن.

وقيل: حديثُهم والإخبارُ عنهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

* * *

(٩) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾؛ أي: القومَ المشركين، وقيل: الرسلَ: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ﴾: المنيعُ فلا يغالَبُ ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

وتمَّ كلامُهم، ثم وصَفَ اللهُ تعالى نفسَه بناءً على كلامِهم فقال:

(١٠) ـ ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فيكونُ رفعاً بالوصف.

ويجوز أن يكون استئنافاً؛ أي: هو ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾: موضعَ قرارٍ وطمأنينةٍ.

وقُرِئَ: ﴿مِهَادًا﴾ وقد سَبَق(١).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾: طُرقاً لتَسْلُكوا فيها(٢) لأمورِ الدِّين والدُّنيا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾: لكي تَهْتَدوا في أسفاركم، وقيل: تَهْتَدوا إلى الإيمان.

* * *

(١١) ـ ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ على قَدْرِ حاجةِ العباد ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: مُقْفِرةً من النباتِ، وذكَّر حملاً على المكان.

﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾؛ أي: كما أحيَيْنا الأرضَ بعد موتها نُحْيِيْكم بعد موتِكُم فتُخْرَجون وتَخْرُجون من قُبوركم.

* * *

(١٢) ـ ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾؛ أي: النباتَ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألفٍ، والباقون: ﴿مهاداً﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) «لتسلكوا فيها»: ليست في (ف).

وقيل: جميعَ الأصنافِ مِن كلِّ الأشياءِ: كالذَّكَر والأُنثى، والسَّماءِ والأرض، والشَّمسِ والقمر، واللَّيلِ والنَّهار، والصَّيفِ والشِّتاء، والجَنَّةِ والنار.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: السُّفُنِ ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ قيل: الإبلُ خاصةً.

وقيل: جميعُ ما يُرْكَبُ.

* * *

(١٣) - ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: جمَعَ الظَّهْر حملاً على اللَّفظ والمعنى، ووحَّد الهاءَ حملاً على لفظِ ﴿ٱلْفُلْكِ﴾.

وقيل: على ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ كقوله: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦] في (النحل).

وقيل: حملاً على لفظِ ﴿ما﴾، وهو الوجهُ.

والمعنى: لتَنتفِعوا بركوبها برًّا وبحراً ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تَذْكُروها بقلوبِكم ﴿وَتَقُولُوا۟﴾ بألسنَتِكم: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا﴾: تنزيهاً لله الذي ذلَّلَ هذا المركوبَ لنا ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: لمْ نُطِقْ ركوبَها مع صعوبتِها.

والمُقْرِنُ: المطيقُ.

أبو عبيدة: المقرِنُ: الضَّابطُ.

وقيل: المماثِلُ، تقولُ: أَقْرَنْتُ فلاناً؛ إذا صِرْتَ قِرْناً له.

وقيل: من المقارنة؛ كأنَّ المعنى: نطيقُ حملَه في تصرُّفه.

وقيل: نطيقُ أن نَقْرنَ بعضَها ببعضٍ حتى نسيِّرَها إلى حيث نريدُ.

(١٤) ـ ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾؛ أي: راجعون إلى الله في آخِرِ عُمرِنا.

طاوُسٌ: حقٌّ على كلِّ مسلمٍ إذا ركبَ دابَّةً أو سفينةً أن يقول: اللهُمَّ لك الحمدُ، هذا من فضلِكَ ونِعَمِكَ علينا، فلك الحمدُ ربَّنا، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[(١)].

وقيل: معنَى قولِه: ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾؛ أي: راجعون في آخِرِ عُمرِنا على مركبٍ آخَرَ وهو الجنازةُ، أُمِر بهذا لتذكُّرِ[(٢)] عند ركوبِه مركبَ الدنيا آخِرَ مَرْكبه منها.

* * *

(١٥) ـ ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ ﴾: اعتَقَدوا، وقيل: أَثْبَتوا ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: الملائكةِ ﴿جُزْءًا ﴾: مِثْلاً، وقيل: ولداً؛ لأنَّ الولدَ بعضُ أبيه وجزءٌ منه.

وقيل: بنتاً؛ قال:

إنْ أَجْـزأتْ حُـرَّةٌ يومـاً فـلا عَـجَبٌ　　　قد تُجْـزِئُ الحُـرَّةُ المِـذْكارُ أحيانـا[(٣)]

الزَّجّاج: لا أدري أمُوَلَّدٌ هذا البيتُ أم عربيٌّ[(٤)]؟

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٥٩) ولفظه: «عن ابن طاوس، عن أبيه: أنه كان إذا ركب قال: «اللهم هذا من منك وفضلك، ثم يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾».

(٢) في (ن): «التذكير»، وفي (ف): «التذكّر»، والوجه المثبت.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٠٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٦٨)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ١٠٠). وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦١) هذا القول، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٠٧)، ومعنى أجزأت؛ أي: وضعت أنثى، واستشهد بالبيت =

وقيل: معنى هذه الآية معنى قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

* * *

(١٦) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾: اختارَ لكم البنينَ وهم أفضلُ، ولنفْسِه البناتِ وهنَّ أَدْوَنُ؟

* * *

(١٧) ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ وهو البنتُ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ لِمَا يعتريهِ من الكآبةِ والغَمِّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوءٌ حزناً.

وقيل: يَنْطَوي على حزنٍ[1] خفيٍّ.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ أي: البنات، وقيل: الجواري، وقيل: الأصنام.

﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ﴾: في المجادلة والذبِّ عن الحريم ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: لا يَنْطِقُ بحجَّةٍ في الخصومة ولا بلاغةَ عنده.

= على أن كلمة (جزء) معنى: انثى.

(١) في (ف): «خزي».

وقيل: ما تحاكَمَتِ امرأةٌ[١] إلا نَطَقتْ بما هو عليها[٢].

ومَن حَمَل على الصَّنَم فالمعنى: هو عاجزٌ عن الجواب.

وقيل: ﴿ٱلْخِصَامِ﴾: جمعُ خصم.

و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ؛ أي: أجعَلوا مَن يُنشَّأُ.

وقيل: رفعٌ بالابتداء وخبرُه مضمَرٌ؛ أي: كضدِّه.

وقيل: محلُّه جرٌّ حملاً على قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾[٣].

* * *

(١٩) - ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾؛ أي: قالوا.

وقيل: حكموا.

وقيل: سمَّوا.

و﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: جمعُ عبدٍ، وقيل: جمعُ عابد.

وقُرِئ: ﴿عندَ الرحمن﴾[٤]؛ أي: مقرَّبون منه كرامةً، لا مسافةً تعالى اللهُ عن ذلك.

---

(١) في (ف): «المرأة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢) عن قتادة، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢)، واستغربه، وقال: «فيه بعد».

(٤) قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

﴿إِنَـٰثًا﴾؛ أي: وصفوهم بالتأنيثِ خطأً كما وَصَفُوه بالولدِ خطأً، ثم بالأَدْوَنِ خطأً وجهلاً.

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾: أَحَضَروا وقتَ خلقِ اللهِ إيَّاهم فشاهَدُوهم إناثاً؟

وقيل: أشاهَدُوا خَلْقَهم ورأَوْا صُوَرَهم؟

والمعنى: لم يَحْضُروا خَلْقي إياهم، ولم يَصِحَّ عندَهم ذلك بالسَّمع، فقد كَذَبوا.

وقرئ: ﴿أَأُشهِدُوا﴾ على المجهول(١).

﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ على الملائكة؛ أي: تُحفَظُ ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: عن الشهادة، وهذا وعيدٌ لهم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾؛ أي: الأصنامَ، وقيل: الملائكةَ.

وقيل: لو شاءَ الرحمنُ ما أمرَنا بعبادتهم؛ كقولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقيل: قالوا استهزاءً.

وقيل: معناه: لو لم يَشأْ لعذَّبَنا عليها.

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾: بكونِ الملائكةِ بناتاً ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ دلالةٍ عقليَّةٍ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: ما هم إلا كاذبون.

---

(١) قرأ نافع بهمزتين الثانية مضمومة مسهلة بين الهمزة والواو، وقالون بخلاف عنه يُدْخل قبلها ألفاً، والشين ساكنة، والباقون: ﴿أَشَهِدُواْ﴾ بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين. انظر: «التيسير» (ص: ١٩٦).

وقيل: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: لم أُعْلِمْهم ما عندي من المشيئةِ في ذلك.

* * *

(٢١) ـ ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾.

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾: من قبلِ القرآنِ، وقيل: من قبلِ هذا القولِ منهم.

أي: كتاباً فيه جوازُ عبادةِ الأصنام ﴿فَهُم بِهِۦ﴾: بذلك الكتابِ ﴿مُسْتَمْسِكُونَ ﴾: آخِذون عامِلون، استفهامُ إنكارٍ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: أَشَهِدوا خلقَهم أم آتيناهم كتاباً فيه أنَّ الملائكة إناثٌ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾.

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾: دِينٍ وملَّةٍ وطريقةٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: مُتَّبعون؛ أي: قلَّدوا آباءَهم من غيرِ حُجَّةٍ.

وفي بعض التفاسير: أنها نزلت في الوليدِ بنِ المغيرة، وأبي سفيانَ بنِ حربٍ، وأبي جهلِ بن هشامٍ، وعُتبةَ وشيبةَ ابني رَبيعةَ من قريشٍ[1].

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ﴾: بلدةٍ ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾: نبيٍّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾: متنعِّموها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ هذه تسليةٌ للنبيِّ

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٢).

ﷺ؛ أي: هـذا دأبُ كلِّ قـومٍ، وإنَّ تقليـدَ الآبـاءِ والكُبـراءِ داءٌ قديـمٌ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿قَٰلَ﴾؛ أي: النذير، ومَن قرأ: ﴿قُلْ﴾[1]؛ أي: أوحَيْنا إلى النذير.

وقيل: قلْ يا محمدُ، والأولُ أظهر.

﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ وجـوابُ (لـو) مقـدَّرٌ، تقديـره: أتُقِيمـونَ على دِيـنِ آبائكم، والمعنـى: جميعُ الأنبيـاءِ دعَوا أممَهم إلى تـركِ التقليد ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: قال المترَفون.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أهلَكْناهم هلاكَ استئصالٍ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: عاقبةُ تكذيبِهم الرسلَ.

قال القفَّال: ليس هذا لمحمدٍ ﷺ ولأمَّتِه.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ قال.

وقيل: تقديره: وإذْ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ ـ الآيةَ ـ قالوا: إنَّا وجَدْنا آباءَنا على أمَّةٍ.

وقوله: ﴿بَرَآءٌ﴾ مصدرٌ؛ أي: بريءٌ، وقيل: وصفٌ، نحو: كَهِيمٍ وكَهَامٍ.

---

(١) ابن عامر وحفص: ﴿قَٰلَ﴾ والباقون: ﴿قُلْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٢٧) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ قيل: الاستثناءُ متَّصلٌ، وكان فيهم مَن يَعبدُ الله.

وقيل: منقطعٌ.

وقيل: محلُّه جرٌّ بالبدل من (ما) في قوله: ﴿مِّمَّا﴾؛ أي: إلَّا مِن الذي فَطَرني[1].

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: يُثبِّتني على الهدايةِ، وقيل: يُثيبُني.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَجَعَلَهَا﴾؛ أي: جَعَل إبراهيمُ، وقيل: جَعَل اللهُ.

والكنايةُ تعودُ إلى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ الآيتين، والمعنى: أوصَى ولدَه بعبادةِ اللهِ والبراءةِ من كلِّ معبودٍ سوى الله.

وقيل: كنايةٌ عن شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ.

وقيل: عن كلمةِ التوحيد.

وقيل: عن كلمةِ الإسلام. والكلُّ واحدٌ.

﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: مَن خَلْفَه.

وقيل: في ذرِّيَّته؛ ولَدِه وولَدِ ولدِه.

وقيل: هذا حُكمٌ باقٍ إلى آخرِ الأبد؛ أي: لم يَزَلْ في ولدِ إبراهيمَ مَن يوحِّدُ ولا يُشرِكُ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ التَّرجِّي لإبراهيمَ؛ أي: قالَ ما قالَ لقومه رجاءَ قَبولِهم ذلك منه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٢)، واستغربه.

وقيل: قلْ يا محمدُ مِثْلَه لقومِكَ فإنَّهم ولدُه؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله وإلى مِلَّته.

***

(٢٩) ـ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في الدنيا بالإمهالِ والسَّلامةِ من العذاب لعِلْمي بمَن يُولدُ منهم فيُؤمنون.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: التوحيدُ والإيمانُ والقرآنُ ﴿وَرَسُولٌ﴾: محمدٌ ﷺ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ بالمعجزاتِ، وقيل: يُبيِّنُ لهم الهدى والرَّشاد.

***

(٣٠) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: القرآنُ والمعجزةُ ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ﴾: شيءٌ لا ثباتَ له، وقيل: معنى ﴿سِحْرٌ﴾: حيلةٌ خَفِيَّةٌ تُوْهِمُ المعجزةَ ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

***

(٣١) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾؛ أي: أحدِ القريتينِ: مكَّةَ والطائفِ ﴿عَظِيمٍ﴾ له أعوانٌ وأموالٌ.

وعَنَوْا بعظيمِ مكَّةَ: الوليدَ بنَ المغيرة، وقيل: الأَخْنسُ بنُ شَرِيقٍ، وقيل: عتبةُ بنُ ربيعةَ، وقيل: أبو جهل.

وبعظيمِ الطائف: حبيبَ بنَ عمرو الثقفيَّ، وقيل: ابنُ عبدِ ياليل، وقيل: عروةُ ابنُ مسعودٍ، وقيل: أبو[1] مسعودٍ الثقفيَّ.

---

(١) «أبو» ليست في (ن).

(٣٢) ـ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يريدُ: النُّبوَّةَ، فيضَعُوها حيثُ شاؤوا.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾: أرزاقَهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يريد: في الرِّزقِ والمعيشةِ حتى صار واحدٌ مالكاً والآخرُ[1] مملوكاً ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: خَدَماً ومِلْكاً وأجيراً، ويَستعمِلُ هذا ذاك، ويَنتفِعُ كلُّ طبقةٍ بالأخرى، واللامُ لامُ العاقبة، وقيل: لامُ الغَرَض.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: النُّبوَّةُ خيرٌ من المال، يريد: لم يُفوِّضْ إليهم قِسْمةَ مَعِيشتِهم ورزقِهم وهو حقيرٌ تافِهٌ ـ التَّافِهُ: الحقيرُ اليسيرُ ـ فكيف يفوِّضُ[2] إليهم قِسْمةَ النُّبوَّةِ وهي أَعْلَى مراتِبِ العِبادِ في الدنيا وفي المَعَاد؟

وقيل: معناه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ـ يعني: الرزقَ ـ فيقتسِموا النُّبوةَ أيضاً؛ أي: لم يفوِّضْ إليهم صَلاحَ دنياهُمْ فكيف يفوِّضُ إليهم صلاحَ دِينهم؟

وقيل: رحمةُ ربِّك عبادَه بالإيمانِ والإسلام خيرٌ من الأموال.

وقيل: رحمةُ ربِّك: الجنة.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ أي: مجتمِعين على اختيارِ الدنيا على

---

(١) في (ف): «وآخر».

(٢) في (ف): «نفوض».

الآخرة، وقيل: مجتمِعِين على الكَذِب ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ (بيوتِهم) بدل مِن (مَن) بدلَ الاشتمال دخَلَه اللامُ؛ كما دخل قولَه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]؛ لأنَّ العاملَ في البدلِ غيرُ العاملِ في المُبْدَلِ.

وقيل: اللَّامُ بمعنى: على، وفيه ضعفٌ[(١)].

وقيل: اللامُ للتَّبْيين؛ نحوَ قولِه: سَقْياً لك.

وقيل: اللامُ للعلَّةِ؛ كما تقول: وهَبْتُ لك لأخيك درهماً[(٢)]، وهذا أظهرُ الوجوه.

﴿سَقْفاً من فضّةٍ﴾: أعالي[(٣)] البيوت، وإذا كان السقفُ من فضةٍ فالجدارُ كذلك.

وقيل: ﴿سَقْفاً﴾: أبواباً، والسُّقُفُ ـ بضمَّتين[(٤)] ـ: جمعُ سَقْفٍ؛ كرَهْنٍ ورُهُنٍ، وقيل: جمعُ سقوفٍ جَمْعَ الجَمْعِ.

ويحتمِلُ أن المراد: السُّقوفَ، فحُذف الواو، كما قرئ: (وبالنُّجُمِ هم يهتدون)[(٥)]؛ أي: النجومِ[(٦)].

مجاهدٌ: ما كان من السماء فهو السَّقْف بالفتح، وما كان من البيوت فهو السُّقُف بضمتين[(٧)].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «أعلى».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (سَقْفًا) بفتح السين وسكون القاف، والباقون بضمهما. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٦)، وفيه: «قال ابن دريد: النُّجُم تكون واحدًا وجمعًا».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه.

(٧) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٨).

﴿وَمَعَارِجَ﴾: مصاعدَ ومراقيَ؛ أي: الدَّرَجُ من فضةٍ ﴿عَلَيْهَا﴾: على المعارج ﴿يَظْهَرُونَ﴾ السُّقُفَ والغُرَفَ، وقيل: على السُّقُف.

***

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ يريد: من فضةٍ ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضةٍ ﴿عَلَيْهَا﴾ على السُّرُر ﴿يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا﴾: ذهباً، وقيل: متاعَ البيت، وقيل: زينةً.

وقيل: هو عطفٌ على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾؛ أي: سقفاً من فضةٍ وزخرفٍ.

وقيل: فُرُشاً.

والمعنى: لو فُعِل ذلك بالكفَّار لافْتُتِنَ بهم غيرُهم وتوهَّموا أنَّ ذلك لفضيلةٍ في الكفَّار، فيَكْفُرون ويكونونَ في الكفرِ أمَّةً واحدةً.

وقيل: معناه: لو[1] ما أَرَدْنا أنْ يكونَ الناسُ أمَّةً واحدةً بأنْ يكونوا مؤمنين، وفي المؤمنين غنيٌّ وفقيرٌ، وفي الكافرين غنيٌّ وفقيرٌ، لجعَلْنا للكافرين ما ذكَرْنا؛ لهوانِ الدنيا وحقارةِ قَدْرِ متاعِها.

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مَن شدَّدَ ﴿لَمَّا﴾ جَعَل ﴿إِنْ﴾ بمعنى: (ما) النفيِ، و﴿لَمَّا﴾ بمعنى: إلاَّ؛ أي: ما كلُّ ذلك إلا متاعُ الحياة.

ومَن خَفَّفَ ﴿لَمَا﴾ جَعَل ﴿إِنْ﴾ المخفَّفةَ من المثقَّلة، وجعَل اللَّامَ هي التي تَصْحبُه إذا خُفِّف، وجَعَل (ما) صلةً[2].

---

(١) في (ف): «لولا».

(٢) قرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بفتح اللام وتشديد الميم، والباقون بفتح اللام وتخفيف =

﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: وثوابُ الآخرةِ خيرٌ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقيل: والجنةُ عند ربِّك للمتقين.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: يُعْرِضْ عنه.

وقيل: معناه: مَن لم يَنظُرْ في حُجَجِ اللهِ تعالى بالإعراض منه عنها إلا نَظراً ضعيفاً.

وقيل: يَعْشُ عنه لإظلامِهِ عليه بجَهْله به[1].

وقيل: يَعْشُ عنه عمًى عنه.

ومعنى: عَشَوْتُ إلى الشيء: نظرتُ إليه ببصرٍ ضعيفٍ، وكان القياسُ: إلى ذكرِ الرحمن؛ فقيل: لأن المعنى: حَدَث له العَشْوُ عن ذكرِ الرَّحمنِ. وفيه ضعفٌ، إلا أنْ يُحمَلَ على تركِ ذكرِ الرَّحمن.

وقيل: معنى ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: عن معرفةِ اللهِ وطاعتِه؛ لأنه لا يَذْكُرُه إلا مَن عَرَفه وأطاعه.

وقيل: عن القرآن.

ويَحتمِلُ أن المراد به مَن نَزَل فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ أي: نُسبِّبْ له.

= الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(١) في (ف): «لجهله»، وليس فيها «به».

وقيل: نُتِيحُ ونُيَسِّرُ.

وقيل: نسلِّطْ عليه.

وقيل: يخذُلْه اللهُ ويُبْدِلْه شيطاناً يُقارِنُه.

وقيل: نُخَلِّيهِ وإياه ونَكِلُه(١) إلى نَفْسه.

وقيل: ذلك في القيامةِ؛ يُقْرَنُ كلُّ إنْسيٍّ بالشيطانِ الذي كان يَدْعوْه.

﴿فَهُوَ﴾؛ أي: الشيطانُ ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لبني آدمَ ﴿قَرِينٌ﴾: لازمٌ في الدنيا، أو في النار؛ على القولين.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: الشياطينُ، وجُمع لأنَّ مع كلِّ مَن يَعْشُو شيطاناً.

وقيل: حُمل على معنى ﴿مَن﴾.

﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾؛ أي: الكفَّارَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: عن الإسلامِ ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾؛ أي: الكفَّارُ ﴿أَنَّهُم﴾: أنَّ الشياطين، وقيل: أنَّ الكافرين ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ مستَبْصِرون في دِينهم.

وقيل: في الدنيا.

* * *

(١) في (ف): «يخليه وإياه ويكله».

(٣٨) ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ يعني: الكافرَ، ومَن ثنَّى الضميرَ[١] فهو الكافرُ وقرينُه ﴿قَالَ﴾؛ أي: الكافرُ ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾؛ أي: ليتني لم أعرِفْكَ وليت بيني وبينَكَ ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾؛ أي: المشرقِ والمغربِ؛ كالعُمَرَين[٢].

وقيل: مَشْرِقِ الصَّيفِ ومَشْرِقِ الشتاء.

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ كنتَ في الدُّنيا، وقيل: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ أنتَ في النَّار.

وهذا مِن تمامِ كلامِ[٣] مَن في النار، وقيل: هذا استئنافٌ وكلامٌ من الله.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾: كفَرْتُم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾: اشتراكُكُم في العذاب؛ كما كان يتسلَّى البعضُ بالبعضِ في الدنيا ويستأنسُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مُشتغِلٌ بنَفْسه.

و(أنَّ) مع ما بَعْدَه الفاعلُ.

وقيل: الفاعلُ مضمَرٌ تقديره: لن ينفعَكم الاعتذارُ لأنَّكم في العذابِ مشتركون.

* * *

---

(١) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي بكر، والباقون: ﴿جَآءَنَا﴾ على التوحيد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٦).

(٢) في (ف): «كالقمرين». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٣)، واستغربه، وفيه: «كالعمرين والقمرين».

(٣) في (ف): «الكلام».

(٤٠) ـ ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ؛ أي: لا يَضِقْ صدرُكَ فإنَّ مَن سَبَق عِلْمُ اللهِ بكفرِه لا يَستَمِعُ ولا يَهْتَدي.

* * *

(٤١) ـ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾: قَبَضْناكَ إِلَيْنا فتتوَفَّيَنَّك قبلَ أنْ نُرِيَك ما نَعِدُهم من العذابِ ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ بعد موتِكَ.

الحسن رحمه الله: اللهُ أَكْرَمَه بأنْ لَمْ يُرِه تلكَ النِّقْمة[1].

وقيل: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ من مكَّةَ ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ يومَ بدرٍ[2]. فعلَى هذا رأى الانتقامَ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾.

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ حالَ حياتِكَ، يعني: العذابَ في الدنيا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾: على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ ﴾: قادِرُون.

وعن جابرٍ رضي الله عنه أنه قال: لمَّا نزلت ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «بعَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ» رضي الله عنه[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٠٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٤٤) عن أكثر المفسرين.

(٣) رواه ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٠)، بلفظ: «نزلت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي».
محمد بن مروان السدي الصغير متروك متهم بالوضع، والكلبي متروك، والإسناد ساقط.

(٤٣) ـ ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾؛ أي: تَمسَّكْ بالقرآنِ واتْلُه حقَّ تلاوتِهِ وامْتثِلْ أوامِرَه واجتَنِبْ نواهِيَه ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾: على الدِّين الذي[1] لا عِوَجَ له.

* * *

(٤٤) ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾: إنَّ القرآن ﴿لَذِكۡرٞ﴾: عِظَةٌ وتَبْصِرةٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾: أمَّتِكَ.

والجمهورُ على أنه شرفٌ لك ولأُمتك.

وقيل: ﴿لِقَوۡمِكَ﴾: قريش.

﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ عن هذه الموعظةِ أو عن هذا الشَّرفِ: هل أدَّيْتُم شكرَه أم لا؟

وقيل: عن كُفْرِكم بمحمدٍ ﷺ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾.

﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا ﴾: سَمَّيْنا وحَكَمْنا ﴿مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾: سوَى الرحمنِ ﴿ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ مع الله.

قيل: الخطابُ للنبيِّ عليه السلامُ، وهو لمْ يَسألْهم لأنه أَعلمُ به منهم.

وقيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ والمرادُ به غيرُه؛ كقوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ ﴾ الآية [يونس: ٩٤].

واختَلَفوا في الآيةِ؛ فقيل: تقديرُه: وسَلْ أُمَمَ مَن أَرْسَلْنا، فحُذِفَ المضاف، والمرادُ: أهلُ الكتابين؛ لأنهم كانوا يَرْجِعون إليه في كثيرٍ من أمورهم.

---

(١) «الذي» من (ف).

القفَّال: تقديرُه: فاسأَلْ مَن أَرْسَلْنا إليهم مِن قبلِكَ رسولاً مِن رُسُلنا، فحَذَف الصِّلةَ كما حَذَف من قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ أي: به.

وهذا والأولُ في المعنى سواءٌ ويختلفانِ في التقدير.

وقيل: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ ليلةَ المعراج، وقد رأى منهم جماعةً؛ منهم: موسى وعيسى عليهما السلام، وهو قولُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما(١).

وقيل: واسأَلْ جبريلَ مَن(٢) أرسَلْنا، ومثلُه: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١]، وتقديرُه: سَلْ جبريلَ عليه السلامُ عمَّن أرسَلْنا، فحَذَف حرفَ الصِّلة، وكذلك: سل بني إسرائيل عن كمِّيَّة ذلك، وعلى هذا تمَّ الكلام على قوله: ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا﴾(٣).

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أتاني مَلَكٌ فقال: يا محمدُ، سَلْ مَن أَرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنا علامَ بُعِثوا؟ قال: قلتُ: علامَ(٤) بُعِثوا؟ قال: على ولايتِكَ وولايةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ» رضي الله عنه، رواه الثعلبي(٥).

ثم قال: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

ويَجوزُ أنْ يكونَ ﴿مَنْ﴾ رفعاً بالابتداءِ خبرُه: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، والعائدُ مضمَرٌ؛ أي: على ألسنتِهم(٦).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٨).

(٢) في (ف): «عمن».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «على من» في الموضعين، والمثبت من (ن) والمصدر.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٥)، وهو حديث موضوع. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٨٨٤).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، وعده من العجائب.

(٤٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ في هذه الآياتِ تَسَلٍّ للنبيِّ ﷺ.

***

(٤٧) ـ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ استهزَؤُوا بها وقالوا: إنَّها سحرٌ وتخييل.

***

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: شَبيهتِها التي تقدَّمتْ؛ أي: إنَّها كلَّها كبارٌ متكافئةٌ في الكِبَر.

ويحتمِلُ أن يُقال: إنَّ الآيةَ الأولى كبيرةٌ، والتي تليها أكبرُ من الأولى، والثالثةُ أكبرُ من الثانية، وكذلك ما بَعْدَها.

﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: السِّنينَ ونَقْصٍ من الثَّمرات، إلى سائرِ ما ابتُلُوا به ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن كفرهم.

***

(٤٩) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: العالِمُ، ولم يَكنِ السِّحرُ عندَهم ذمًّا.

وقيل: يقالُ للعالِمِ البالِغِ في العِلْم: إنه لساحرٌ؛ أي: يَعلمُ ما لا يَعلمُه غيرُه.

وقيل: الساحرُ: الغالِبُ للسِّحر، من بابِ فاعَلْتُه ففَعَلْتُه؛ أي: ساحَرْتُه فسَحَرْتُه[١].

وقيل: كانوا بعدُ على كفرِهم فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾[٢].

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾؛ أي: مَن آمَنَ بك كشفتُ العذابَ عنه.

وقيل: ادْعُه بما عوَّدك الإجابةَ به.

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: مؤمنون.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: يَنقضون العهدَ ولا يُوْفُون به.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ قيل: نادى بنفسه، وقيل: أمر منادياً فنادى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ وهي المعروفة.

مجاهد: إسكندريةُ[٣].

وذلك أن موسى عليه السلام لمَّا دعا اللهَ فكشَفَ اللهُ العذابَ عن القِبْطِ خافَ فرعونُ أنْ يُؤمِنَ به بعضُهم، فجمَعهم ونادَى فيهم فقال: يا قوم، أليسَ لي ملكُ مصرَ ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يريدُ: أنهارَ النِّيل.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٩).

وفي التفاسير: كانت ثلاثَ مئةٍ وسِتِّين نهراً، وقيل: كان معظمُه أربعةً.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾؛ أي: تحتَ قَصْرِي.

وقيل: بين يديه لارتفاع سريره.

وقيل: في مُلكه.

وقيل: في أمري.

وقال عبدُ الله بنُ المبارَكِ الدِّيْنَوَرِيُّ[1] في «تفسيره الواضح»: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: الجيادُ من الخيل، وسمَّاه نهراً[2].

ولم يَبْعُد ابنُ المبارك؛ فقد قال عليه السلام في الفرس الذي ركِبَه: «وجَدْتُه بحرًا»[3].

---

(١) ذكره الداودي في «طبقات المفسرين» (١/ ٢٥٠) ولم يزد على قوله: له التفسير المعروف بـ«الواضح».

وقد روى هذا التفسير عنه الثعلبي كما ذكر في مقدمة «الكشف والبيان» (٢/ ١٣٩) عن أبي حنيفة القزويني، قال: أنا أبو بكر محمد بن يعقوب الأستوائي، عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدِّينوري.

وقال الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٧١): عبد الملك بن علي أبو حنيفة القزويني شيخ روى بنيسابور التفسير المعروف بـ«الواضح» لأبي محمد عبد اللهِ بن المبارك الدينوري عن أبي بكر محمد بن يعقوب الأستوائي عن المصنف، وسمعه منه أبو عبد اللهِ الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني، وروى الكتاب عنه الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وحكى روايته عنه في أول كتابه في جملةِ ما عَدَّ من كتب التفسير وأسانيدها.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٥)، واستغربه، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٤٠): «وقد أغرب من فسر الأنهار هنا بالخيل كما قيل في قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾، وإذا كان الفرس سريع العدو واسع الخطو وصف بالبحر وبالنهر».

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧) عن أنس رضي الله عنه.

الضَّحَّاك: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: هو القُوَّادُ والجبابِرةُ تحتَ لوائي[1]. وهذا يَقْرُبُ من قولِ ابن المبارك.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ مُلْكي وقوَّتي؟ أفلا تبصِرون قُدْرَتي[2] وعَجْزَ موسى؟ عليه السلام.

* * *

(٥٢) ـ ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ فيه أقوال:

قال بعضُهم: معناه: بل أنا خيرٌ.

وقال بعضُهم: تقديرُه: أفَلَا تُبصِرون أم تُبصِرون؟ فحَذَف أحدَ الجملتين.

سيبويه: تقديرُه: أَفَلَا تُبْصِرون أم تُبْصِرون؟ لأنهم إذا قالوا: أنت خيرٌ، صاروا عندهم بُصَراءَ[3].

وقيل: تقديرُه: أفَلَا تُبْصِرون أنِّي خيرٌ أم أبصرتُم؟ ثم استأنَفَ فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾.

ويحتمِلُ أنَّ التقديرَ: أهو خيرٌ مِن هذا الذي له ملكُ مصرَ والأنهارُ تجري من تحته[4]؟

﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ومعنى ﴿مَهِينٌ﴾: ضعيفٌ.

وقيل: قليلٌ، من المَهانة، وهي القلَّةُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٠).

(٢) في (ف): «قوتي».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٧٣).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

وقيل: ﴿مَهِينٌ﴾: يَمْتهِنُ نفسَه في جميعِ حاجاتِه، وليس له مَن يكفيهِ ذلك.

وقيل: ﴿مَهِينٌ﴾: فقيرٌ.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: وفي لسانه ثِقْلٌ، قيل: أراد ما كانَ في لسانه من العُقْدة وإنْ كان اللهُ قد أزالَ ذلك من لسانه.

وقيل: معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: لا يكادُ يُبِينُ ما يدَّعيه بحجَّةٍ واضحةٍ.

***

(٥٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾؛ أي: هلَّا كان في حِلْيَةٍ وزِيٍّ حسنٍ كما أن الملوكَ يَشْهرون رُسُلَهم بخِلَعٍ وكرامات.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: يَمْشُونَ معه يَقْتِرنُ بعضُهم ببعضٍ، وقيل: اثنين اثنين.

وقيل: أعوانٌ يُعِيْنونه.

السِّوارُ والإسْوارُ: هو الذي يُلْبَسُ مكانَ القُلْبَينِ[١]، و﴿أَسْوِرَةٌ﴾: جمعُ سوارٍ؛ كجِرابٍ وأَجْرِبةٍ، و﴿أساورةٌ﴾[٢]: جمعُ إسوارٍ، حُذفَ الواوُ وعُوِّض الهاءُ؛ كفرازنة وزنادقة[٣].

وقيل: ﴿أساورةٌ﴾: جمعُ أسورةٍ جمعَ الجمع.

***

(١) القُلب: سوار المرأة. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ل ب) (٤/ ٧١).

(٢) هذه قراءة السبعة عدا حفص فقرأ: ﴿أَسْوِرَةٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) «وزنادقة»: ليست في (ف). وانظر: «الكتاب» (١/ ٢٥).

(٥٤) ـ ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾.

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ ﴾؛ أي: طلبَ منهم الخفَّةَ في الطاعةِ، وهي الإسراعُ إليها ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾.

وقيل: استَخَفَّ عقولَهم.

القفَّال: ﴿استَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: عَمِل فيهم كلامُه فخَفُّوا في طاعته.

وقيل: استَجْهَلَهم فأطاعوه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾: خارجينَ عن دِين الله.

* * *

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾: أغضَبُونا، والأسفُ: الغضبُ، ويقال: أشدُّ الغضب.

وقيل: الأسفُ: الغَمُّ والتحسُّرُ على الغائب، فيكونُ التقديرُ: آسَفُوا رُسُلَنا[(١)].

﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾: جازَيْناهم على فِعْلِهم ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أهلكناهم بالماء ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا ﴾: مقدِّمةً لمَنْ بعدَهم من الكفَّار.

(السَّلَف) بفتحتين: مصدرُ سَلَفَ؛ إذا تقدَّم، فهو سالفٌ وسَلِيفٌ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ سالفٍ، كحارسٍ وحَرَسٍ.

و: ﴿سُلُفاً﴾ بضمَّتين[(٢)]: جمعُ سَلِيفٍ، ويجوزُ أن يكون[(٣)] جمعَ سَلَفٍ.

---

(١) في (ف): «أسفونا أي رسلنا».

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) في (ف): «وقيل» بدل: «ويجوز أن يكون».

وقيل: جَعَلهم اللهُ مقدِّمةَ كفَّارِ أمةِ محمدٍ ﷺ إلى النار.

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ يُضْرَبُ بهم الأمثالُ فيما بَيْنَهم.

وقيل: جَعَلْناهم حديثاً لِمَن بعدَهم.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ وذلك أنَّ قريشاً قالوا: إذا جازَ أن يكونَ عيسى ابنُ اللهِ جاز أنْ تكونَ الملائكةُ بناتُ الله؛ فيكونُ الضاربُ للمَثَلِ كافراً، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾؛ أي: المؤمِنون.

وقيل: إنَّ ابنَ الزِّبَعْرَى قال: إذا جازَ أن يكون عيسى ابنُ الله[1] في النار جاز أن يكون آلهتُنا فيها[2]، وقد سبق في سورة (الأنبياء)[3]؛ فيكونُ الضارب للمَثَل أيضاً كافراً، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ على هذا القولِ يَحتمِلُ أن يكونوا مؤمنينَ، ويحتمِلُ أن يكونوا كافرين.

وقيل: لمَّا نَزَل قولُه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] قالوا: إنَّ محمداً يريدُ أنْ نتَّخِذَه ربًّا كما اتَّخَذَ النصارى عيسى. فيكونُ الضاربُ للمَثَل هو اللهُ تعالى، ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: المشركون.

﴿مِنْهُ﴾: من المَثَل، وقيل: مِن ضَرْبِ المثل، وقيل: مِن الله، وقيل: من عيسى عليه السلام.

---

(١) «ابن الله»: ليست في (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٨)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٦١)، و«أسباب النزول» للواحدي (١/ ٣٧٦).

(٣) انظر تفسير الآيات (٩٨ ـ ١٠١) منها.

﴿يَصِدُّونَ﴾: يَعُجُّون، وقيل: يَضْحَكون، وقيل: يَجْزَعون، وقيل: يَضِجُّون[1]، وقيل: يَعجُّون ويصفِّقونَ بأيدِيْهِم سروراً بأنْ جَعَلوا يحتجُّون على محمد ﷺ.

والضمُّ[2] في هذه كلِّها لغةٌ، وقيل: الضمُّ بمعنى: يَنْفِرون صدودًا، ويمنعونَ غيرَهم صدًّا.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ يَعْنُونَ: الملائكةُ خيرٌ من عيسى.

وقيل: معناه: عيسى خيرٌ من الأصنام، وهو في النار؛ لعمومِ قولك: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، كذلك آلهتُنا.

وقيل: ﴿أَمۡ هُوَ﴾ يعودُ إلى محمدٍ ﷺ، والمعنى: أَنُطِيعُ محمداً ونَدَعُ آلهتَنا؟ عَنَوا أنَّ الآلهةَ خيرٌ منه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾: ما ضَرَبوا هذا المثَلَ، وقيل: ما قالوا هذا القول ﴿إِلَّا جَدَلَۢا﴾: باطلاً لا برهانَ عليه، ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾: حاذِقون في الخصومة.

* * *

(٥٩) ـ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿إِنۡ هُوَ﴾: ما هو ﴿إِلَّا عَبۡدٌ﴾ يعني: عيسى عليه السلام ﴿أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بالنُّبوَّة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا﴾: دلالةً ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على صدقِه.

---

(١) «يعجون... يضجون» من (ن).

(٢) قراءة ابنِ عامر ونافع والكسائيِّ (يصُدُّن)، والباقون بكسر الصاد. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

وقيل: جعَلْنا قولَنا[١]: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] مَثَلاً لبني إسرائيل.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ قيل: لجعَلْنا من الإنسِ ملائكةً وإنْ لم تَجْرِ العادةُ كما خَلَقْنا عيسى مِن غيرِ أبٍ.

وقيل: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا﴾ بعضَكم ملائكةً أو جميعاً، فجعَلْناهم سكَّانَ الأرضِ كما جعَلْنا الملائكةَ سكَّانَ السماوات؛ إذ ليس في كونِهم في السماوات ما يُوْجِبُ لهم الإلهيَّةَ ولا نَسَباً من الله[٢].

والأكثرُ على أنَّ (مِن) بمعنى البَدَل؛ أي: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا﴾ بَدَلَكم ومكانَكم ﴿مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: يكونون بدلاً عنكم، وقيل: يَخْلُفُ بعضُهم بعضاً.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: نزولُه من أشراط الساعةِ؛ يُعْلَمُ بنزوله قربُها وثبوتُها.

وقيل: إنَّ عيسى عليه السلام كان يُحيِي الموتى فعُلِمَ به الساعةُ والبعثُ[٣].

وقرئ في الشواذ: (لَعَلَمٌ للسَّاعة)[٤]، وهو كما تقولُ: من أشراطِ الساعة.

---

(١) في (ف): «قرآناً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٤) نسبت لابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقتادة ومالك بن دينار والضحاك، كما في «المختصر =

وقال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَوْلَى الناسِ بعيسَى، ليس بيني وبينَه نبيٌّ، وإنَّه أولُ نازلٍ، يَكْسِرُ الصَّليبَ، ويَقتُلُ الخنزيرَ، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام»[(١)].

مقاتل: ينزلُ عيسى عليه السلامُ بجبلٍ بأرضِ الشام يقالُ له: أَفِيقُ[(٢)].

وقيل: إذا نَزَل عيسى عليه السلام رُفِعَ التكليفُ، وفيه بُعْدٌ.

الحسن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾؛ أي: القرآنُ عِلْمٌ للساعة[(٣)]؛ أي: يُعْلَم منه، وفيه ثبوتُ ذلك.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: لا تَشُكُّنَّ فيها، ولا تكذِّبوني[(٤)] ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ فيما آمُرُكم به ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: دِينٌ قيِّم.

الحسن: القرآنُ صراطٌ إلى الجنة مستقيمٌ[(٥)].

* * *

= في شواذ القراءات» (ص: ١٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٤٧٢).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٦٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨١٤) و(٦٨٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) منه: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٠)، وفيه: «ينزل على ثنية أفيق: وهو جبل بيت المقدس يقال له: أفيق».

ونزوله على أفيق ورد في حديث عثمان بن أبي العاص رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٧٣)، وحديث حذيفة رواه الحاكم أيضاً (٨٥٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، وعده من العجائب.

(٤) في (ن): «تكذبن».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٦).

(٦٢) ـ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: عن الإيمانِ بالساعةِ والقرآن ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة.

* * *

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزاتِ، وقيل: بالإنجيل ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بما يَفْصِلُ بينَ الحقِّ والباطل، وقيل: بالنبوَّة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو أمرُ الدِّينِ لا أمرُ الدنيا، وهو بعض ما اختلفوا فيه.

وقيل: ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى: كلّ، وقد سبق.

وقيل: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ﴾ نصًّا، فاجتهدوا في طلبِ الباقي(١).

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾: خالِقي وخالقُكم، ورازِقي وأنا عبدٌ مخلوقٌ محتاجٌ إلى الرزق.

﴿فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ من تمامِ كلامِ عيسى عليه السلام، ويجوزُ أن يكونَ استئنافاً من اللهِ تعالى.

* * *

(٦٥) ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾؛ أي: الذين تحزَّبوا بعد عيسى عليه السلام، وهم اليَعْقوبيَّةُ والنَّسْطُورِيَّةُ والمَلْكانِيَّةُ(٢) والمرقُوسيَّة.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٦)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الملكائية».

وقال مقاتل: والسَّمْعونيَّة[١].

﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾: من بين النصارى، وقيل: فيما بينهم، وقيل: من بينِ اليهودِ والنصارَى، وقيل: ﴿مِنۢ﴾ زيادةٌ، وقيل: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾: من عند أنفسِهم لم يُؤْمَروا به.

وقيل: ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: هم الذين آمَنوا به؛ أي: اختلَف الأحزابُ مِن بينِ الناس.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قالوا في عيسى عليه السلام ما كفَروا به ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ وهو القيامةُ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ قيل: الضميرُ لقومِ عيسى عليه السلام، وقيل: للكفَّار ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ﴾: جمعُ خليلٍ ﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ مجاهدٌ: في الدنيا[٢]، والجمهور على أنه يومَ القيامة ﴿بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ يريد: الكفَّارَ والأحزاب.

وقيل: الأخِلَّاءُ على معصية الله.

﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: الذين يتَّقون المعاصيَ.

* * *

---

(١) في «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٠): «والأحزاب هم: النسطورية والماريعقوبية والملكانية»، وقد تقدم التعريف بهذه الطوائف في تفسير (المائدة).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٣٩) بلفظ: «فكل خلة على معصية الله في الدنيا متعادون».

(٦٨) ـ ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾؛ أي: لا تخافوا ولا تَحْزَنوا.

قيل: هو متَّصِلٌ بالأول؛ أي: إلا المتَّقِين فإنَّه يُقال لهم: يا عبادي.

***

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ على دِينِ إبراهيمَ عليه السلام.

وقيل: داخلِينَ في الإسلامِ والدِّين.

قيل: هذا مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ﴾.

وقيل: صفةٌ لـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(1).

وقيل: بدلٌ من ﴿عباد﴾.

وقيل: مبتدأٌ، وخبرُه: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم ﴾، وقوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾، وهو اعتراضٌ بين المبتدأ وخبرِه، والمبتدأُ اعتراضٌ بين المنادَى والمنادَى به.

﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ قيل: الحورُ، وقيل: النساءُ المسلِمات.

﴿تُحۡبَرُونَ ﴾: تزيَّنون، والحِبْر: حُسْنُ الهيئة.

وقيل: ﴿تُحۡبَرُونَ ﴾: تُسَرُّون، والحُبُورُ: السُّرُور.

وقيل: تُكْرَمون. وقيل: تُنعَّمون. وقيل: تُعْجَبون. وقيل: إنَّه التَّلَذُّذُ بالسَّمَاع.

***

---

(١) في (ن): «للمؤمنين».

(٧١) ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾: جمعُ صَحْفةٍ؛ أي: فيها طعامٌ.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾؛ أي: من ذهبٍ أيضاً: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ لا عروةَ له، وقد سَبَق.

﴿وَفِيهَا﴾؛ أي: الجنَّةِ ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾: تُنازِعُ النُّفوسُ إلى الظَّفَر به ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾: تَجِدُ بالنَّظَرِ[1] إليه لذَّةً لإفراطِ حُسْنِه في مَرْآها، وما الْتَذَّ به العينُ قَبِلَتْه النفسُ؛ لأنها رائدُ النفس.

قال القفَّال: جُمعَ بهاتين اللفظتينِ ما لو اجْتَمَع الخَلْقُ كلُّهم على وصفِ ما فيهما على التفصيلِ لم يَخرُجوا عنه[2].

وقرئ: ﴿ما تشتهي﴾[3] فحُذف الضميرُ، وحَذْفُ الضميرِ من الموصولِ أحسنُ من الإثبات.

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ لأن نعيمَها لا ينقطعُ ولا يَزُولُ.

* * *

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقالُ لهم ذلك.

---

(١) في (ف): «النظر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٧).

(٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ تتعلَّلُون فيها بعدَ الطعامِ والشراب ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: ما اشتَهَيْتُم منها، وهذا ردٌّ على مَن زَعَم أنْ لا أَكْلَ في الجنة.

ثم ذكر(١) جزاءَ الكفارِ للتَّقابُل فقال:

(٧٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ رُفع ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بالخبر لأنه المقصودُ بالذِّكر، ويجوزُ أن يكونَ خبراً بعدَ خبرٍ.

* * *

(٧٥) ـ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفَّفُ عنهم زماناً ولا نقصاناً ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: آيِسونَ من النَّجاة متحيِّرون.

* * *

(٧٦) ـ ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: هم ظلَموا أنفسَهم بكفرهم، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نصبٌ بـ(كان)، و﴿هُمُ﴾ عمادٌ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ لمَّا يَئِسوا من فُتورِ العذابِ نادَوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾، وهو خازنُ النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: ليُمِتْنا ربُّك.

---

(١) «ذكر» ليس في (ف).

﴿قَالَ﴾ مالك بعد أربعين عاماً، وقيل: بعد مئة عامٍ، وقيل: بعد ألفِ عامٍ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: لابِثُون في العذاب أبداً لا تتخلَّصون عنه لا بموتٍ ولا فتورٍ(١).

وقيل: هذا تمنٍّ منهم لا طَمَعٌ؛ لأنهم يعلمون أنه لا مَخْلَصَ لهم.

* * *

(٧٨) - ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ هذا استئنافُ كلامٍ؛ أي: جاءكم رسلُنا بالحقِّ الذي لا باطلَ معه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: كرهتُم ما جاءكمُ الرسولُ به وخِفْتُم زوالَ رِيَاسَتِكم.

وقيل: هذا متَّصلٌ بكلامِ مالكٍ؛ أي: ﴿جِئْنَٰكُم﴾ يعني: الملائكةَ، وهم رسلُ الله، وهو منهم(٢).

* * *

(٧٩) - ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ عَدَل من الخطابِ إلى الغيبة، والمعنى: أَحْكَموا أَمْراً في المكرِ بمحمدٍ ﷺ، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: مُحْكِمون أمراً في مجازاتهم.

قيل: نزلتْ في كفارِ قريشٍ حين اجتمَعوا في دارِ الندوة وأَجْمَعوا على الاغتيالِ بمحمدٍ(٣) ﷺ(٤).

---

(١) في (ف): «قبور».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، ولو قال: «اغتيال محمد» أو «الاغتيال بمحمد» لكان أظهر، ولعله ضمَّن الاغتيال معنى الغدر، والله أعلم.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٦٥) عن مقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٣) مطولًا.

الفرَّاء: أَحْكَموا أمراً يُنْجِيهم من العذاب بزَعْمِهم، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ معذِّبوهم[١].

قتادةُ: أَجْمَعوا على التَّكْذيبِ، وأَجْمَعْنا على التَّعْذيب[٢].

وقيل: أَعَلِموا دِينَهم؟ بل هم في جهلٍ، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ ما دَعَوْناهم إليه مِن الدِّين.

ابنُ بحرٍ: هو عطفٌ على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ... أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾[٣]: رأَوْا رأيًا عزَموا عليه، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: فاعِلُون ما يَليقُ بفِعْلِهم.

* * *

(٨٠) ـ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾: يتوهَّمون ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: حديثَ أنفُسِهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾: ما يتحدَّثون فيما بَيْنَهم ويُخْفُونها عن غيرِهم، ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: الحفَظَةُ ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ما يكونُ منهم، ثم يُعْرَضون عليهم في القيامةِ؛ ليَعْلَموا أنه لا يخفى على ملائكَتِنا، فكيف علينا؟

* * *

(٨١) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ بزَعْمكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ بأنه أحدٌ[٤] لا وَلَدَ له.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى النَّفْي، والفاءُ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ؛ أي: ما كان

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٨). وفي (ف): «معذبون».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٤) في (ف): «واحد».

للرَّحمـن ولـدٌ، وأنـا أوَّلُ العابديـن بأنـه لا ولـدَ لـه من هـذه الأمَّة.

وقيل: من الآنفين.

وقيل: ﴿إِن﴾ للشرط، و﴿ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ بمعنى: الآنفين.

وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ مَن يعبدُ ذلك الولدَ، ولكنْ ليس له ولد.

وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠﴾ أعبدُ اللهَ بهذه الصِّفة، لكنْ ليس له ولدٌ، ولم يَثْبُتْ، فليس إلى اعتقادِه سبيلٌ.

حكاهما القفَّال، وقال: هذا على تعريضِ الكلام؛ كما قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤][(١)].

سفيانُ بن عُيَيْنَةَ: إنْ كان للرحمنِ ولدٌ فأنا أولُ [العابدِين]، ولستُ بأولِ العابدين، فليس للهِ ولدٌ.

قال: وهذا كما تقولُ: إنْ كان ما تقولُ حقًّا فأنا جمادٌ؛ أي: ليس ذلك بحقٍّ كما لستُ بجمادٍ[(٢)].

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٨)، واستغربه.

(٢) ذكره بهذا اللفظ المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٩)، وعده من العجائب، وما بين معكوفتين منه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١) بلفظ: «قل: إن قلتم: إن للرحمن ولداً، فأنا أول الجاحدين أن يكون له ولد».

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١١٩) عن سفيان بن عيينة والسدي بلفظ: «إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، وليس له ولد ولا أنا أول عابد، وهذا كالرجل يقول لغيره: إن كنت كاتباً فأنا حاسب؛ يعني: لستَ بكاتب ولا أنا حاسب».

وذكر الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٨٢) عن ابن عيينة: أنه سئل عن هذه الآية فقال: «يقول: فكما أني لست أول من عبد الله، فكذلك ليس لله ولد».

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

ثم نزَّه نفسَه عن الولدِ فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٨٢ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دُنْياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾؛ أي: القيَامةَ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾؛ أي: معبودٌ في السَّماء يعبدُه الملائكةُ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾: معبودٌ في الأرضِ يعبدُه الإنسُ والجنُّ؛ أي: ليس له فيهما ولدٌ ولا شريكٌ.

وقُرِئ: (وهو الذي في السَّماءِ اللهُ وفي الأرضِ اللهُ)(١).

وقُرِئ في الغَريبِ: (وهو الذي في السَّماءِ لاهٌ وفي الأرض لاهٌ)(٢).

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: خَلَقَهُما بحِكْمته ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: عَلِمَ ما يكونُ فيهما.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وهو الهواءُ، وقيل:

---

(١) نسبت لعمر وعلي وابن مسعود وأبيٍّ رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٨١)، و«معاني القرآن» له (٦/ ٣٨٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧).

(٢) ذكر هذه القراءة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٤)، واستغربها، ونقله عنه السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ١٤١)، وكذا الخفاجي في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦).

هو المخلوقاتُ فيهما ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: القيامةِ، وقيل: علمُ ساعةِ قيامِ القيامة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للثَّواب والعِقَاب.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: الذين يَدْعُونهم، فهو عامٌّ في المدْعُوِّين من الملائكة والإنسِ والجنِّ والصَّنم، ثم استثنَى فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ فإنَّهم يملِكون الشفاعة؛ يعني: الملائكةَ وعيسى وعُزيراً عليهم السلام.

و﴿مَن﴾ في محلِّ رفع.

وله وجهٌ ثانٍ تقديرُه: ولا يملكُ الذي يَدْعُون من دونه الشفاعةَ لأحدٍ، فحَذَف اقتصاراً؛ لأنَّ الشفاعةَ تقتضِي مَشفوعاً له ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لِمَن شَهِد بالحقِّ وهم المؤمنون، فحَذَف اللامَ، و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ.

وله وجهٌ ثالثٌ: وهو أنْ يُحمَلَ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على الدَّاعين؛ أي: لا يملكُ أحدٌ منهُم شفاعةً ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾؛ أي: لكنْ مَن شَهِدَ بالحقِّ فإنه يملكُ الشفاعةَ، والاستثناءُ منقطِعٌ، و﴿مَن﴾ في محلِّ نصبٍ، ومعنى ﴿يَمْلِكُ﴾: ينالُ.

ووجهٌ رابعٌ: وهو أن يُجعلَ ﴿مَن﴾ بمعنَى (ما) المصدرِ، فيكونَ التقديرُ: لا يملِكُ المدعوُّونَ إلا الشهادةَ، حكاها القفَّال[1].

ومِثْلُ حَمْلِ ﴿مَن﴾ على (ما) المصدرِ حملُهم ﴿ٱلَّذِى﴾ عليه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقد سَبَق.

---

(١) «المصدر فيكون التقدير لا يملك المدعوون إلا الشهادة حكاها القفال» من (ف). ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٠)، وعده من العجائب.

ومعنى ﴿شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إذا حمَلْتَه على الملائكة والنبيين؛ أي: الذين يُخْلِصون الوحدانيَّةَ على علمٍ منهم ويقينٍ.

وقيل: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ من الملائكةِ له بأنه كان على دِين الحقِّ مع عِلْمِهم بذلك منهم.

ومَن حمَله على المؤمنين فمعناه: إلَّا مَن قال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ» على علمٍ وعقيدةٍ خلافَ ما يقولُه المنافقُ.

ابنُ بحرٍ: الشفاعةُ هاهنا: الشركةُ، و﴿مَن شَهِدَ﴾ بمعنى الشهادةِ[1].

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾؛ أي: المعبُودِين ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

وقيل: ولئن سألتَ العابدين.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ محمولٌ في الوجهين على العابدين، والمعنى: يُصْرَفون عن الحقِّ إلى الباطل.

وقيل: فأنَّى يُكذِّبون؟

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ الهاءُ يعودُ إلى النبيِّ ﷺ، وقد تقدَّم ذكرُه بالكنايةِ في قولِه: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١).

أبو عليٍّ: يعودُ إلى عيسى لأنه المذكورُ في آخِرِ هذه السورةِ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ قاله حينَ يئسَ مِن صلاحِ قومِه، قال: وأرادَ به تَصبيرَ محمدٍ عليه السلام.

ابن بحرٍ: يعودُ الضمير إلى ﴿مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾[1]؛ أي: لا يُقْبَلُ منه إلا الشهادةُ بالحقِّ، وقولُه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

والوجهُ هو الأولُ، والمعنى: إنَّ هؤلاء قومٌ ليس مِن همِّهم الإيمانُ والتصديقُ بالحقِّ؛ لتركِهم النَّظَرَ وركونِهم إلى الباطل.

قرئ بالنصب والجر[2] الجرُّ: بالعطفِ على ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: عنده عِلْمُ الساعةِ وعلمُ قيلِهِ، والنصبُ بالعطفِ على محلِّ العلم.

وقيل: بالعطف على قوله: ﴿سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُم وقيله﴾.

وقيل: نصبٌ على المصدر؛ أي: قال قيلَه: يا رب.

***

(٨٩) ـ ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾: أَعْرِضْ عنهم ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾؛ أي: معروفاً، ثم نُسخ بالقتال.

قال القفَّال: وقد يكونُ ذلك مع الأمرِ بالقتال على حَسَبِ اختلافِ الأحوال.

وقيل: قُلْ ما تَسْلَمُ من شرِّهم، واحْلُمْ عنهم، وقلْ خيراً بدلَ شرِّهم.

النقَّاش: ودِّعْهم[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٠)، واستغربه.

(٢) قرأ حمزة وعاصم بالخفض، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٣) بلفظ: «أمره بتوديعهم بالسلام، ولم يجعله تحية لهم»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧١)، واستغربه.

وقيل: ما نَدَب إليه في مَوَاضعَ كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ابن بحرٍ: من شأنِ العربِ خَتْمُ كلِّ أمرٍ وقولٍ يبلُغون آخِرَه بالسلام؛ كأنهم يقولون: أَتَيْنا على ما أَرَدْنا وتخلَّصْنا منه، والسلام[1].

ابنُ عيسى: أصلُ ﴿فَٱصْفَحْ﴾ من قولك: صَفَحْتُ الورقةَ وتَصفَّحْتُها؛ إذا تجاوَزْتَها إلى غيرِها، سواءٌ قرأتها أم لم تقرأْ[2].

غيرُه: هو من الإعراض؛ أي: أعرضْتُ حتى أبدَيْتُ له صَفْحةَ عُنُقي.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء[3]، تهديدٌ ووعيدٌ، الياءُ للغيبةِ، والتاءُ على تقدير: قُلْ لهم يا محمَّدُ ذلك.

وصلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وسلَّم.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكر نحوه العسكري في «الفروق» (ص: ٢٣٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٥٤٠) بلا نسبة.

(٣) بالتاء قراءة نافع وابن عامر، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٩٧).

سُورَةُ الدُّخَانِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

تسعٌ وخمسونَ آية[1]. مكيةٌ.

النقَّاش: مكيَّةٌ إلا آيةً مِن قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ سَبَق في (الزخرف)، واختُلف في الجواب:

فقيل: جوابُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

صاحبُ «النَّظْم»: جوابُه: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وقال: ليس من عادتهم أن يُقْسِموا بنفسِ الشيءِ إذا أَخْبَروا عنه، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ اعتراضٌ[3].

---

(١) «تسع وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٥) وفيه: «وهي خمسون وتسع آيات في الكوفي، وسبع في البَصريّ، وست في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات...»

(٢) ذكره دون نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٦٩)، والرازي في «التفسير الكبير» (٢٧/ ٦٥١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٥). لكن قال ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٦٨): «هذه السورة مكية لا أحفظ خلافًا في شيء منها».

(٣) أي: اعتراض بين القسم وجوابه، وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٣)، واستغربه.

وقيل: جوابُ القَسَمِ مقدَّمٌ؛ أي: والكتابِ المبينِ حُمَّ ما هو كائنٌ(١).

والجمهورُ على أنَّ الجوابَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على أنَّ المعنى: إنَّا أنزَلْنا القرآنَ على محمدٍ ولم يَتقوَّلْه كما زَعَم البعضُ.

ويحتمِلُ أن القَسَم وَقَع على إنزاله ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ لا على الفاعلِ والمفعول.

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾، قيل: القرآنَ، وقيل: جبريلَ.

﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ الجمهورُ على أنها ليلةُ القَدْرِ؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، وليلةُ القَدْر في شهرِ رمضانَ؛ لقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقيل: أنزلَه جملةً من اللوحِ المحفوظِ إلى السماءِ الدنيا، ثم نَزَل به جبريلُ عليه السلام في وقتِ وقوعِ الحاجةِ إليه.

وقيل: كان ينزلُ ما يُحتاجُ إليه في طول السَّنةِ في ليلةِ القَدْر إلى قابلٍ.

وقيل: كان بَدْءُ إنزاله في ليلةِ القَدْر.

ويحتمِلُ: إنَّا أنزلناه في شأنِ ليلةٍ مباركةٍ ومَنْزِلتِها.

عكرمةُ: ليلةُ النصفِ من شعبان(٢).

---

(١) قوله: «حُمَّ ما هو كائنٌ»؛ أي: قضي ما هو كائن؛ كما قيل في ﴿قٓ﴾: أي: قضي الأمر. انظر: «تفسير السمعاني» (٥/ ٥)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٧) بلفظ: «﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾: في ليلة النصف من شعبان، يبرم فيه أمر السنة، وتنسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد».

وقد رد العلماء هذا القول وأثبتوا أنها ليلة القدر، فقال ابن العربيِّ: «وجمهورُ العلماءِ على أنها ليلةُ القدر، ومنهم مَن قال: إنها ليلةُ النصف من شعبان؛ وهو باطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصَّادق =

قوله: ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾؛ أي: كثيرةِ البركةِ؛ لِمَا يَنزِلُ فيها من الرحمةِ، ويجابُ فيها من الدَّعوة.

وقيل: سمَّاها مباركةً؛ لأنه سبحانه وتعالى يَقْسِمُ فيها نِعَمَه على الخلق، ويَبُثُّ(١) ذلك فيهم طولَ سَنَتِهم.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾؛ أي: أَنْذِرْ قومَكَ به جَرْياً على عادتي في إنذارِ سائرِ الأمم.

***

(٤) - ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿فِيهَا﴾: في تلك الليلةِ ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفْصَلُ فيَظْهَر، وقيل: يُكتَبُ، وقيل: يُقْضَى، وقيل: ينزل، وقيل: يُخْرَجُ.

﴿كُلُّ أَمْرٍ﴾ قيل: هو عامٌّ في الرِّزقِ والأَجَلِ والشَّقاوةِ والسعادة.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: إلا السعادةَ والشَّقاوةَ؛ فإنهما في أمِّ الكتاب لا يغيَّر ولا يبدَّل(٢).

= القاطع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فنَصَّ على أن ميقات نزوله رمضانُ، ثُم عبَّر عن زمانيَّة الليل هاهنا بقوله: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، فمَن زعم أنه في غيره فقد أَعظم الفِرْيةَ على الله». انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١١٧).

وقال الملا علي القاري: «قال جماعةٌ من السَّلف: إنَّ المراد في الآية هي ليلةُ النصف من شعبان، إلَّا أن ظاهر القرآن - بل صريحُه - يَرُدُّه؛ لإفادته في آيةٍ أنه نَزَل في رمضانَ، وفي أخرى أنه نَزَل ليلةَ القدر، ولا تَخَالُفَ بينهما؛ لأن ليلةَ القدر من جملة رمضان... وإذا ثَبَت أن هذا النزولَ ليلةَ القدر ثَبَت أن الليلة التي يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم في الآية هي ليلةُ القدر، لا ليلةُ النصف من شعبان...». انظر: «مرقاة المفاتيح» (٣/ ٩٧٤).

(١) في (ف): «ويكتب».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٧).

مجاهد: إلا الحياةَ والموت[١].

وقيل: فيها[٢] ينزل الكتابُ على الأنبياءِ عليهم السلام.

﴿حَكِيمٍ﴾؛ أي: مُحْكَم.

وقيل: الحكيمُ: الأمرُ الصواب[٣].

ويحتمِلُ ﴿حَكِيمٍ﴾: محكومٍ به، وهو ما حَكَم اللهُ به.

***

(٥) ـ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أمراً منَّا لذلك، بأنْ[٤] نقولَ له: كنْ، فيكون.

و﴿أَمْرًا﴾ نصبٌ من وجوهٍ:

أحدها: أن يكونَ حالاً من ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وإن كان نكرةً؛ لأنه قَرُبَ من المعرفةِ بالوَصْف.

وقيل: حالٌ عن الهاءِ في ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾.

وقيل: حالٌ عن الفاعل؛ أي: أنزلناه آمِرين.

وقيل: على المصدر؛ أي: أَمَرْنا أمراً.

وقيل: مصدرٌ من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّل؛ أي: يُفْرَقُ أمراً.

وقيل: نصبٌ على المدح؛ لقوله: ﴿مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أمراً أَرَدْناه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨).

(٢) «فيها»: ليس في (ف).

(٣) في (ن): «بالصواب».

(٤) في (ف): «لمن».

وقيل: تمييزٌ.

وقيل: مفعولٌ؛ أي: أَحْكَمْنا أمراً، ودلَّ ﴿حَكِيمٍ﴾ عليه.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾؛ أي: أرسَلْنا إليك جبريلَ عليه السلامُ بالقرآن على عادتنا بإرسالِ الرسلِ إلى الأنبياءِ عليهم السلامُ قَبْلَكَ.

***

(٦) ـ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: رحمةً منَّا للخلق وإنعاماً عليهم.

و﴿رَحْمَةً﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: راحمين.

وقيل: مفعولٌ له؛ أي: للرَّحمة.

وقيل: مفعولٌ به، وهو محمدٌ ﷺ؛ لقوله[1]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقيل: مصدرٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقولُ الرسولُ ويُجابُ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ قبلَ الإرسالِ والإجابة.

***

(٧ ـ ٨) ـ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ الرفعُ محمولٌ على ما قَبْلَه أو على الاستئناف؛ أي: هو ربُّ، والجرُّ[2] على البدل.

---

(١) في (ن): «كقوله».

(٢) هي قراءةُ عاصمٍ وحمزةَ والكسائيِّ، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ في إقرارِكم إذا سُئِلْتُم: مَن خَلَقَها؟ فقُلْتُم: اللهُ، فأَيْقِنوا أنه لا يُهْمِلُكم.

وقيل: إن كنتُم موقنينَ بشيءٍ، فأَيْقِنوا بما أَخْبرتُكم.

وقيل: معناه: ربّ السماواتِ والأرضِ وما بينهما، فاعْلَموا ذلك وكونُوا موقِنين به.

وقيل: المُوْقِنُ: الذي يريدُ اليقينَ ويطلبُه كالمُنْجِدِ والمُتْهِم؛ أي: [إن] كنتُم تريدون اليقينَ، فاعْلَموا أنَّ الإلهَ هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى النَّفْي؛ أي: ما كنتُم موقِنين[1].

واليقينُ: العلمُ بلا ريبٍ.

وقيل: اليقينُ: ثَلَجُ الصدرِ بالعلم.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ظاهر.

* * *

(٩) ـ ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾؛ أي: ليسوا بموقِنينَ، بل قلَّدوا آباءهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ في كلامِهم، فإن كلامَهم يَنقُضُ بعضُه بعضاً.

وقيل: يَلْعبون في الدنيا؛ لا يتفكَّرون ولا يتذكَّرون ولا يتدبَّرون.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٤)، وعده من العجائب.

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: انتظِرْ لهم هذا اليومَ وتوقَّعْه، واليومُ عبارةٌ عن ذلك الوقتِ.

وقيل: هو يومُ القيامةِ ﴿تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ﴾ يُحدَثُ في الهواءِ دخان.

واختلَفوا في الدُّخان:

فقيل: هو عبارةٌ عن الجوع؛ لأن الجائعَ يَرَى بينه وبينَ السماءِ كهيئةِ الدُّخان من ضَعْف بَصَره، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ دعا عليهم بعدَ قَتْلَى بئرِ معونةَ فقال: «اللهُمَّ اشْدُدْ وطأَتَكَ على مُضَرَ، واجْعَلْها سنينَ كسِنِيْ يوسفَ»(١) عليه السلام.

فقُحِطوا سبعَ سنينَ حتى أكلوا العِلْهِزَ ـ أي: الدَّمَ ـ والجِيَفَ(٢).

فيكونُ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾: العربَ.

وقيل: الدخانُ عبارةٌ عن الجَدْب ويُبُوسةِ الأرضِ، فإنه يَثورُ منه في الأرضِ وفي آفاقِ السماءِ كالدُّخانِ من الغُبارِ المنكدِرِ الذي يَشُوبُه الظُّلمةُ.

والعربُ تقولُ: جوعٌ أغبَرُ وسَنَةٌ غَبْراءُ(٣)، وسمِّي عامَ الرَّمَادةِ في زمانِ عمرَ رضي الله عنه لهذا.

وقيل: الدخانُ عبارةٌ عمَّا عَلَاهم يومَ فتحِ مكَّةَ، والعربُ تضعُ الدُّخانَ موضعَ الشرِّ.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (١٢٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه النَّسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩) في تفسير سورة المؤمنين من حديث ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النَّبي ﷺ فقال: يا محمد، أَنْشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز ـ يعني: الوبر والدَّم ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٠٢).

فعلى هذه الأقوالِ قد مضَى الدخان.

وقيل: هو دخانٌ يَجيءُ قبلَ قيامِ الساعةِ، وإنَّ الدُّنيا تَصيرُ كبيتٍ لا خَصَاصَ له مملوءٍ دخاناً يَدْخُلُ أنوفَ الكفَّار وآذانَهم فيَصِيرون كالسُّكارى، ويصيبُ المؤمنَ منه كالزُّكام، فيبقَى ذلك أربعينَ يوماً.

وجاءَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه إنكارُ هذا[1]، وذهب إلى أنه الجَدْبُ والجوعُ على ما سَبَق.

وروَى بعضهم عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أولُ الآياتِ الدُّخانُ، ونزولُ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، ونارٌ تخرجُ من قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ تَسُوقُ الناسَ إلى المحشَرِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «أول الآيات الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان» قال حذيفة: يا رسول الله! وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره». ونبه الطبري إلى ضعفه. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٤)، واستغربه.

ويشهد له حديث حذيفةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفاريِّ عند مسلم (٢٩٠١)، قال: «اطَّلَعَ النَّبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ، فقال: «ما تَذَاكَرُون؟» قالوا: نَذْكرُ السَّاعةَ، قال: «إنها لن تقومَ حتى ترون قَبْلَها عشرَ آياتٍ» فذَكَر الدُّخانَ، والدَّجَّالَ، والدابَّةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريمَ ﷺ، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمن، تطردُ الناسَ إلى مَحشَرهم».

وقيل: الدُّخانُ يكونُ في القيامة إذا خرجوا من قبورهم، تأتي السماءُ بدخانٍ مُبينٍ محيطٍ بالخلائق.

﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ تقديرُه: هو عذابٌ أليمٌ فارْتَقِبْه، ويجوزُ أن يكونَ حكايةً لكلامِهِم متَّصلاً بما بعدَه؛ أي: يقولونَ: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(١٢) ـ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: هذا العذابَ ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: آمنَّا فاكْشِفِ العذابَ عنَّا.

* * *

(١٣) ـ ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: من أين لهم أن يتذكَّروا، وكيف يتذكَّرون بذلك ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، فلم يتذكَّروا بالرَّسول.

* * *

(١٤) ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: أَعْرَضوا عنه ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾؛ أي: ما أَتَى به من البيانِ والقرآن يعلِّمُه الشيطانُ كما يعلِّمُه الكَهَنةُ.

وقيل: هو من قولِهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ بدعاءِ النبيِّ ﷺ، وهو الجوعُ والقَحْطُ.

وقيل: الثَّلْج، حكاه الماورديُّ وأنكَره[١].

﴿قَلِيلًا﴾؛ أي: يُكْشفُ عنهم بعضُ العَذاب ـ وقيل: كلُّ العذابِ ـ زماناً قليلاً، وهذا دليلٌ على أنه وَقَع في الدنيا.

وقيل: تقديرُه: إنَّا لو كشَفْنا العذابَ لعدتُم إلى الكفر.

وقيل: هو بينَ النفختينِ.

﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى الكفر الذي كنتُم فيه، وقيل: إلى العذاب.

* * *

(١٦) ـ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: العقوبةَ الكبرى ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾؛ أي: ننتقِمُ يومَ نبطشُ، وهو يومُ بدرٍ عند جماعةٍ، وعند جماعةٍ يومُ القيامة.

وقيل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ عطفٌ على ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾، ومنتصِبٌ بقوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، فحُذفَ واوُ العطف.

وقيل: منصوبٌ بقوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾.

وقيل: منصوبٌ بـ﴿تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾[٢].

* * *

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٧)، وفيه: «وهذا لا وجه له؛ لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة، ولم تكن مكة من بلاد الثلج، غير أنه مقول فحكيناه»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

(١٧) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾: امتَحَنَّا قبلَ هؤلاء المشركين ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بالإيمان وطاعةِ اللهِ ورسولِه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على اللهِ اصطَفاهُ لنبوَّته.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: حسيبٌ نسيبٌ في قومه.

وقيل: كريمُ الأخلاق.

* * *

(١٨) ـ ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿أَنْ أَدُّوا﴾: بأنْ أدُّوا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أرسِلوا بني إسرائيلَ معي وأَطلِقُوهم عن الاستِعْبادِ، من قولِ العربِ: أدِّ إليَّ حقِّي؛ أي: لا تَحْبِسْه.

و﴿عِبَادَ﴾: جمعُ عبدٍ.

وقيل: جمعُ عابدٍ؛ أي: هم عبادُ اللهِ ليسوا بعبيدِكم.

وقيل: أدُّوا إليَّ حقَّ اللهِ وما وَجَب عليكم من الإيمان به والاعترافِ بنِعَمِه يا عبادَ الله، فحُذف حرفُ النداء(١).

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿أَمِينٌ﴾: غيرُ متَّهَمٍ في إرادةِ الخيرِ لكم.

وقيل: ﴿أَمِينٌ﴾ على وَحْيِه.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: لا تتكبَّروا عليه، ولا تَرْفَعوا أنفسَكم عن طاعتِه وطاعةِ رسولِه، وقيل: لا تَفْتَروا على الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وهي معجزاتُه وبراهينُه.

قتادةُ: بعُذرٍ مُبينٍ(١).

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾.

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ﴾: لُذْتُ والْتَجأْتُ إليه وتوكَّلْتُ عليه ﴿أَن تَرۡجُمُونِ﴾: من أن تعذِّبوني رجماً بالحجارة.

وقيل: من أنْ تَشْتِموني وتَنْسُبوني إلى السِّحر.

وقيل: عُذْتُ بالله من أنْ ترجموني فلا تقدرون على قتلي، من قوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦].

وقيل: مجازُ قوله: ﴿عُذۡتُ بِرَبِّي﴾: نَشَدْتُكَ اللهَ، وأَقسَمْتُ عليه أنْ تَفْعَلَ كذا.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾.

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾: إنْ لم تصدِّقوني فيما أُخْبِرُكم به عن الله ففارِقوني وكونوا بمعزِلٍ منِّي، لا عليَّ ولا لي(٢).

* * *

(٢٢) ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ شاكياً قومَه: ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾: مُصِرُّون على الكفرِ فاعْمَلْ بهم ما تَعْملُ بالمجرمين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١).

(٢) في (ف): «ليا».

ثم أَخبرَ جلَّ ثناؤُه عمَّا آلَ إليه أمرُ فرعونَ مع موسى عليه السلام:

(٢٣) ـ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: أَجَبْنا دعاءَه وقلنا له: أسر بعبادي بني إسرائيل ومَن آمَنَ بموسى عليه السلام مِن غيرهم ﴿لَيْلًا﴾: قَبْلَ الصُّبْح ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتَّبِعُكم فرعونُ وقومُه إذا عَلِموا بخروجِكُم من مصر.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ﴾؛ أي: لا تَضرِبْه ثانياً واترُكْه ﴿رَهْوًا﴾: ساكنَ الجَرْيِ، فيكونُ حالاً عن ﴿ٱلْبَحْرَ﴾.

وقيل: صفةٌ لسَيْرِ موسى عليه السلام؛ لأنه عَجِلَ حين دخلَ البحرَ، فقيل له: سِرْ ساكناً؛ كما تقولُ: افعَلْ كذا سَهْواً رَهْواً؛ أي: ساكناً بغيرِ تشدُّدٍ.

وقيل: واتركِ البحرَ منفرِجاً منكشِفاً كما[1] كشَفْتُه، من قولِ العرب: امرأةٌ رَهْوٌ ورَهْوَى؛ أي: واسعةُ الهَنِ.

وقيل: ﴿رَهْوًا﴾؛ أي: على حاله يَتْبعُ بعضُ الناس بعضاً متقاطِرينَ أرسالاً، والرَّهْو: القطار.

الزجَّاج: يَبَساً، من قوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧][2].

وقيل: ﴿رَهْوًا﴾؛ أي: سهلاً، وقيل: واسعاً، وقيل: غَرِقاً.

---

(١) بعدها في (ف): «قد».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٥)، واستغربه.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾: مُهْلَكون بالماء بعدَ خروجِكَ من البحر.

* * *

(٢٥) ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ ﴿كَمْ﴾ عبارةٌ عن الكثرة.

﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾: بساتينَ كثيرةِ الأشجارِ ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعةٍ بالماء.

سعيدُ بنُ جبير: عيونُ الذهب(١).

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَزُرُوعٍ﴾: فنونِ الأقواتِ وألوانِ الأطعمة؛ أي: كانوا أهلَ ريفٍ وخِصْبٍ خلافَ حالِ العرب.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: محافِلِ الاجتماعاتِ للتَّدبير والتشاوُرِ فيها.

وقيل: المنابر(٢).

وقيل: المنازل.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٢٧) ـ ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾.

﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾[(١)]: وتَنعُّمٍ في عيشٍ ﴿ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾: لاعِبينَ لاهِينَ.

وقيل: متنعِّمين بأنواعِ اللَّذَّات.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: هكذا كان فلا تَشُكَّنَّ فيه، وقيل: كذلك أهلَكْناهم ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾؛ أي: نقلناها إلى بني إسرائيل ومَن آمَنَ[(٢)] معهم.

وقيل: إلى غيرِ بني إسرائيلَ؛ لأنهم لم يَعودوا إلى مصر[(٣)].

* * *

(٢٩) ـ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾.

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ كانت العربُ تزعُمُ أنَّ الرئيسَ الجليلَ إذا مات بكَتْ له السماءُ والأرضُ؛ يَعْنُونَ: أنَّ المصيبةَ به عمَّتْ المخلوقِين[(٤)].

وقيل: كانوا يَعتقِدون ذلك، ويجعلونَ الخسوفَ والكسوفَ والحُمرةَ تحدُثُ في السماء بكاءً على الميت، ولهذا قالَ ﷺ عند موتِ ابنهِ إبراهيمَ يومَ كَسَفَتِ

---

(١) في هامش (ن): «بالفتح التنعم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المسرة. عزيزي».

(٢) في (ف): «أمنوا».

(٣) وتقدم عند تفسير الآية (٥٩) من (الشعراء) عن الحسن: أنهم رجعوا، كما ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥) بلفظ: «رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه». وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

الشمسُ وقال الناسُ: كَسَفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فخطَبَهم فقال: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله تعالى، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتُم ذلك فافْزَعوا إلى الصَّلاة»(١).

وقيل: ما بكَتْ عليهم أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ، فحُذِف المضاف.

وقيل: هو ما جاء في الخبر: أنَّ المؤمنَ ليَبْكي عليه مِن الأرضِ مُصلَّاهُ وموضِعُ عبادته، ومن السماء مَصعَدُ عمله، والمعنى: ما بكَتْ عليهم حيثُ لم يكنْ لهم أثرٌ في طاعةٍ وعبادةٍ(٢).

وقيل: معناه: لم يَنتصِرْ لهم ولم يَطْلُبْ بثأرهم أحدٌ.

ومَن أَثْبَتَ لهما بكاءً قال: بكاؤها حُمرةُ أطرافها(٣).

وقيل: تبكي كبكاء الناس(٤).

وقيل: أمارةٌ تظهَرُ منها تدلُّ على حزنٍ وأسف.

---

(١) رواه البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٦)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٣٠٥)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٧) من كلام علي رضي الله عنه.

ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٤١) عن سعيد بن جبير، وقال: «وكذلك ذكره حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس».

(٣) في (ن): «بكاؤهما حُمرةُ أطرافها». والقول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٦)، وعده من العجائب.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾: مؤخَّرين عن العذاب ولا طَرْفةَ عينٍ.

مقاتل: لم يُنْظَروا بعدَ الآياتِ التِّسع(١).

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾؛ أي: استعبادِه إيَّاهم واستخدامِه لهم وقتلِه أولادَهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: عذابِه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾: قاهِرَ العِبَاد غيرَ منقادٍ لأوامِرنا ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزينَ الحدَّ المفرِطَ في معاصِيْه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بني إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منَّا باستحقاقِهم ذلك وقيامِهم بالشكرِ عليه ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانِهم، فجَعَلْنا فيهم الكتابَ والنبوَّةَ والمُلك.

وقيل: اختَرْناهم على جميعِ العالَمين بما جَعَلْنا فيهم من كثرةِ الأنبياءِ عليهم السلام، وهذه خاصةٌ لهم ليستْ لغيرِهم.

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٢٢).

(٣٣) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: آتيناهم معجزاتِ موسى وسائرِ أنبياءِ بني إسرائيلَ ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾: نعمةٌ، وقيل: محنةٌ، وقيل: اختبارٌ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ لا يَخْفَى على مَن تأمَّله.

* * *

(٣٤ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ قريشٍ ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ﴾: ما الموتةُ ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا﴾. ويحتمِلُ: ما النهايةُ، ويحتمِلُ: الحالةُ والعاقبةُ إلا موتَتُنا الأولى.

قوله: ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ ليس بإثباتٍ لثانيةٍ، وإنما هو بمنزلةِ قولِ القائل: حَجَّ فلانٌ الحَجَّةَ الأُولى ومات.

وقيل: لمَّا سمعوا وصفَ مَن في[1] النار بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

وزيَّف القفَّالُ هذا القولَ وقال: إنَّ الله قال: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، ويحتمِلُ أنَّ هذا إنكارٌ لِمَا أثبتَه غيرُه في قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثِينَ ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّا نُبْعَثُ.

فلم يُجِبْهم اللهُ بل أَوْعَدهم، وإنما لم يُجِبْهم لأنَّ البعثَ الموعودَ إنما هو في دارِ الجزاء يومَ القيامةِ، والذي كانوا يطلبونه بعثٌ في الدنيا وحالةَ التكليف، وبينهما تغايُرٌ.

---

(١) «من في»: ليس في (ف).

وقوله: ﴿فَأْتُوا﴾ بمنزلةِ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ أي: ليسوا بخيرٍ منهم في العُدَّةِ والعَدَد والعِزَّة والـمَنَعة.

ابن عباس رضي الله عنهما: تُبَّعٌ نبيٌّ[١].

أبو هريرةَ رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أَدْري تُبَّعٌ نبيًّا كان أم غيرَ نبيٍّ» رواه الثعلبي[٢].

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: إنَّ تُبَّعاً كان رجلاً صالحاً[٣].

سعيدُ بن جُبيرٍ: إنَّ تُبَّعاً كسا البيتَ[٤]؛ يعني: الكعبةَ.

قتادةُ: كان رجلاً من حِمْيرَ سار حتى حيَّر حِيرةَ، ثم أتى سمرقندَ فهدَمها، وقيل: فبناها[٥].

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٧٥). وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٤٨٣): «وحكاية نبوته عن ابن عباس لا تصح».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٧)، وعده من العجائب. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٩): والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري أتبعٌ لعينٌ هو أم لا، وما أدري أعزير نبي أم لا» أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٢)، لكن قال: «ذو القرنين» بدل «عزير»، قال الدارقطني: «تفرد به عبد الرزاق وغيره أرسله».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩) برواية الهدم، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

وقيل: كان اسمُه: أَسْعَدُ بنُ مَلْكِي كَرِبَ[١].

أبو عبيدةَ: هم ملوكُ اليمنِ يُسمَّى كلُّ واحدٍ منهم تُبَّعاً؛ لأنه يَتْبَعُ صاحبَه، وهو بمنزلةِ الخليفةِ للمسلمين، وكسرى للفُرس، وقيصرَ للروم[٢]، وجمعُه: تَبَابعة.

وقيل: سمِّي تُبَّعاً لكثرةِ تَبَعِه، وكان يَكتبُ إذا كَتَب: بسم الذي مَلَكَ برًّا وبحراً وضِحًّا[٣] وريحاً.

كعبٌ: هو رجلٌ صالحٌ ذمَّ اللهُ قومَه ولمْ يَذُمَّه[٤].

وقيل: خصَّهم بالذِّكر لقُرْبهم من العربِ مكاناً وزماناً.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: قبلَ قومِ تُبَّعٍ.

ويجوزُ أن يكون الضميرُ عن كفارِ قريشٍ فيَحسُنَ[٥] الوقفُ على ﴿تُبَّعٍ﴾[٦].

= (٥/ ٢٥٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢) عن قتادة أيضاً، لكن برواية البناء.

وقوله: «حير حيرة»؛ أي: بناها ونظم أمرها. انظر: «روح المعاني» (٢٤/ ٤٧٧).

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٣) في (ن): «والشمس ضحا»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٥)، عن قتادة، وكذا ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٧٧). والضِّح بالكسر: الشمس وضوؤها. انظر: «القاموس» مادة: (ض ح ح).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠).

(٥) في (ن): «فيجيء».

(٦) قال أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨٨): «﴿أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ حسن»، وقال الداني في «الوقف والابتدا» (ص: ١٩٣): «﴿أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ كاف».

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ خبراً عن ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ويجوزُ أنْ يكونَ استئنافاً يعودُ إلى ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فيكونَ التقديرُ: أَهُمْ خيرٌ أمْ قومُ تُبَّعٍ والذين مِن قبلِهم خيرٌ؟ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كافرينَ يُنكِرون البعثَ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾: عابثينَ لاهينَ؛ فإنَّ اللَّعِبَ يقتضي الإهمال.

* * *

(٣٩) ـ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بسببِ الحقِّ.

وقيل: لِلْحقِّ[1]، وهو الجزاءُ والحسابُ، وذلك يقتضِي البعثَ والنشورَ.

وقيل: الباءُ للحال، أي: مُحِقِّينَ.

وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالجِدِّ ضدِّ اللَّعب.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خُلِق لذلك.

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يعني: يومَ القيامة يُفصَلُ بين المحقِّ والمبطِلِ.

وقيل: يُفْصَلُ بين الوالدِ والولد، والرجلِ والزوجة[2]، والمرءِ وخليله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «وولده والرجل وزوجته».

﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وقتُ موعودِهم كلِّهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾: لا يَدْفعُ ولا يَمنعُ ﴿مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾؛ أي: وليٌّ عن وليٍّ، ووالدٌ عن ولدِه، ولا مولودٌ عن والدِه.

أبو عبيدةَ: ابنُ العمِّ عن ابنِ العمِّ(١)، كما يَمنعُ في الدُّنيا.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ليس لهم مَن ينصرُهم من عذابِ اللهِ بالشَّفاعةِ، فإنَّ النُّصرةَ في القيامةِ بالشفاعة.

وقيل: لا يَنْصرُهم الذين كانوا يَعبدونهم(٢) من دونِ الله.

* * *

(٤٢) ـ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ الاستثناءُ متَّصلاً؛ أي: إلا المؤمنون، فإنه يَشفعُ بعضُهم لبعضٍ، وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: لكنْ مَن رَحِمَه اللهُ فإنه مغفورٌ له.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ على أعدائِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأوليائِه.

* * *

(٤٣ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ شجرةُ الزقُّوم على صورةِ شجرِ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٢) في (ف): «يعبدون».

الدُّنيا، لكنَّها من النارِ والزقُّومُ ثمرُها، وهو ما أُكِل بتكرُّهٍ شديدٍ.

ثعلبٌ: كلُّ طعامٍ ثقيلٍ فهو زقُّومٌ.

وفي التفسيرِ: أنَّ ابن الزِّبَعْرَى قال: إنَّ أهلَ اليمن يسمُّون أكلَ التَّمْرِ مع الزُّبْدِ التَّزَقُّمَ، فدعا أبو جهلٍ بتمرٍ وزُبدٍ، فقال: تزقَّموا؛ فإنَّ هذا هو الذي يخوِّفُكم به محمد، فنزل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[1]؛ يعني بالأثيمِ: أبا جهلٍ.

النَّقَّاشُ: ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: أبو جهلٍ[2]، وفيه ضعفٌ.

و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: الكافرِ، وقيل: ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: كثيرِ الإثم.

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ المهلُ: ما يُمْهَلُ في النَّارِ حتى يَذوبَ؛ كالذَّهبِ والفِضَّة وسائرِ الفِلِزَّات.

وقيل: المهلُ: عَكَرُ الزَّيتِ؛ أي: دُرْدِيُّه.

مجاهد: المهلُ: القيحُ والدَّمُ[3].

﴿يَغْلِى﴾ قرئ[4] بالياء والتاء[5]؛ التاءُ على الشجرةِ، والياءُ على الزَّقُّوم أو لإضافةِ الشجر إلى مذكَّرٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «وقال أبو جهلٍ: أَيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم، هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتَزَقَّموا». وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨) عنه نحوه، ورواه (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، وعده من العجائب، ثم قال: «بل جاء في الأثيم: أبو جهل».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٩).

(٤) «قرئ»: ليس في (ف).

(٥) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

ومَن ذهَبَ إلى أن التَّذكير للمُهْل فقد أخطأ؛ لأنَّ الغلَيَانَ للمأكولِ ـ وهو شجرةُ الزَّقُّوم ـ لا للمُهلُ(١).

﴿كَغَلِي ٱلْحَمِيمِ﴾؛ أي: غَلْياً كغَلْيِ الحَمِيم.

* * *

(٤٧) ـ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: ثم يقولُ الله للزَّبانيَةِ: ﴿خُذُوهُ﴾؛ أي: الأثيمَ ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾: سوقُوه بدَفْعٍ وجَذْبٍ، والعُتُلُّ: الجافي الغليظُ. الكسرُ والضمُّ لغتان(٢).

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وَسَطِها الذي تستوِي المسافةُ إليه من جميعِ أطرافِه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الماءِ الحارِّ، فالحميمُ مصبوبٌ فوقَ رأسِه يأخُذُ جميعَ بدنِه من خارجٍ والزقومُ في جَوْفِه من داخلٍ.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: ثم اسقُوهم الماءَ الحميمَ، فيكونُ العائدُ في ﴿فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ يعودُ إلى ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ الحسن: أي: عند نَفْسِك(٣).

---

(١) في (ف): «المهل». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٨)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ بضم التاء، والباقون: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٤) عن قتادة.

وقيل: إنَّك الذي تَطلبُ العزَّةَ والكَرَمَ بمعصيةِ اللهِ في قومِكَ.

سعيد بن جبير: هذا استهزاءٌ به[١].

وقيل: هو على الضِّدِّ؛ أي: الذليلُ المَهينُ.

الكسرُ على الاستئنافِ والفتحُ[٢] على: لأنك.

وقيل: ذُقْ بهذا القولِ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لقيَ أبا جهلٍ فهزَّه[٣] فقال: أَوْلَى لك يا أبا جهلٍ فأَوْلَى، فأَنْزلَ اللهُ تعالى ما قالَها له[٤]، فردَّ عليه أبو جهلٍ وقال: ما تَقْدِرُ أنت ولا ربُّكَ عليَّ، إنِّي لأكرمُ أهلِ الوادي وأعزُّهم، فنزلَتْ[٥].

ومعناها: التوبيخُ؛ أي: ذُقْ بهذا القولِ الذي قُلْتَه؛ أي: بسببِه.

* * *

(٥٠) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾؛ أي: يقالُ لجماعتِهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾: تشكُّون وتجادِلون في دَفْعِه[٦] إذا أُنذِرْتُموه.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٤).

(٢) قرأ الكسائي بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) في (ف): «فهدده».

(٤) أي: فأنزل الله فيه ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤ ـ ٣٥]. كما صرح المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، وكما جاء في مصادر التخريج.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٤) و(٣٤١٦)، والمروزي في «الصلاة» (٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١) و(٢٣/ ٥٢٤)، عن قتادة.

(٦) في (ف): «وتجادلون لدفعه».

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾: موضعِ إقامةٍ لا زوالَ عنها، وبالفتح[1]: في مجلسٍ.

﴿أَمِينٍ﴾: يأمَنُ فيه صاحبُه.

وقيل: ﴿أَمِينٍ﴾ بمعنى: مأمونٍ؛ أي: مأمونِ الغوائلِ والآفَات.

﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدلٌ من ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ وهو ما رقَّ من الحريرِ يجري مَجرى الشِّعار[2] لهم، وهو ألينُ من الدِّثار في المعتاد.

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو ما غَلُظَ وصَفُقَ نَسْجُه.

وقيل: هو فارسيٌّ معرَّبٌ.

وقيل: سمِّي به لبريقِه.

يجرِي مَجْرَى الدِّثار، وهو أرقَى[3] نوعٍ من أنواعِ الحرير.

والحريرُ نوعان: نوعٌ كلَّما كان أَدقَّ كان أَنْفَسَ، ونوعٌ كلَّما كان أَرْزَنَ[4] بكثرةِ الإبريسَمِ كان أَنْفَسَ.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: يتقابلون في مجالسهم.

وقيل: يتقابَلون[5] أزواجَهم من الحورِ العِين[6].

---

(١) قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ بضم الميم، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) «الشعار»: ما يلي الجسد من الثياب، و«الدثار»: ما يُلبس فوقه.

(٣) في (ف): «أرفع».

(٤) في هامش الأصل: «الأوزن الأثقل».

(٥) كذا في النسختين، والأظهر: «يقابلون».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، واستغربه.

وقيل: من القَبول؛ أي: يَقْبَلُ بعضُهم بعضاً ويَتوادُّون من غيرِ عداوةٍ ولا منافَسةٍ(١).

* * *

(٥٤) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أكرَمْناهم بما تقدَّم ذكرُه أكرَمْناهم بأنْ زوَّجْناهم بالحور العين.

وقيل: كذلك يَدُومُون على تلك الحالِ فلا تتبدَّلُ أحوالُهم.

وقيل: كذلك هم في حُكمِ الله.

ومحلُّه رفعٌ؛ أي: الأمرُ كذلك، وقيل: نصبٌ؛ أي: فَعَلْنا(٢) كذلك.

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي: قَرَنَّاهم، ولهذا عدِّي بالباء، وقيل: زوَّجْتُه امرأةً، و: زوَّجْتُه بامرأةٍ، لغتان(٣)، وأنكره الأخفشُ قال: معناه: وجعَلْناهم أزواجاً بالحُور العين(٤).

* * *

(٥٥) ـ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾؛ أي: يَحْكُمون ويأمُرون بإحضارِ ما يشتَهُون ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾؛ أي: فاكهةِ كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ، وذلك لا يجتمِعُ في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الزَّوَال والانقطاعِ وتولُّدِ ضررٍ من الإكثار.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «وجعلنا».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٧٩)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٦).

(٥٦) ـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: لا يذوقون في الجنة موتاً ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، قيل: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: بَعْدَ، وهذا يدفعُه ﴿فِيهَا﴾.

وقيل: بمعنى: سِوَى، وهذا يدفعُه المعنى؛ لأن ﴿إِلَّا﴾ تكونُ ناقصةً أبداً، وإذا جعَلْتها بمعنى (سوى) تكونُ زائدةً، نحوَ قولك: «لك[1] عندي ألْفٌ إلا الألْفَ الذي مِن قِبَلِ زيدٍ»؛ أي: سواه، يلزمُه ألفان[2]، وهذا يؤدِّي في الآيةِ إلى أنهم يذوقون من جنسِ الموتةِ الأولى.

وقيل: الاستثناءُ منقطِعٌ؛ أي: لكنِ الموتةُ الأولى قد ذاقوها، وهذا لولا الإضمارُ حسنٌ.

وقيل: إنما قال هذا لأنه أخبرَهم بذلك وهم أحياءٌ في الدنيا، فلمَّا كان الخبرُ متقدِّماً لموتهم في الدُّنيا جاز أن يقالَ: لا ينالُهم فيها موتٌ إلا الموتُ في الدنيا، وهذا أيضاً يدفعُه قولُه: ﴿فِيهَا﴾.

وقيل: لأنهم في وقتِ المعايَنةِ ينظرون إلى الجنةِ فكأنهم[3] فيها.

وهذا جملةُ ما قيل في الآية.

ويحتمِلُ أن الهاءَ في قوله: ﴿فِيهَا﴾ تعودُ إلى الآخرةِ لا إلى الجنَّة؛ لأنَّ هذا وصفٌ عامٌّ لأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّار، وجاز استثناءُ الموتِ لأنَّ الموتَ أولُ أحكامِ

---

(١) «لك» من (ن) كتبت فوق السطر وعليها علامة التصحيح. وانظر التعليق الآتي.

(٢) ومثله: إذا قال: له عليَّ درهم سوى الدرهم الأول، يلزمه درهمان، فإذا قال: ليس له عليَّ درهم إلا الدرهم الأول، يلزمه درهم. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠).

(٣) في (ن): «كأنهم».

الآخرة، والقبرُ أوَّلُ منزِلٍ من منازلِ الآخرة، ولهذا لا تُقبَلُ التوبةُ عند النَّزْعِ كما لا تُقْبَلُ يومَ القيامة، واللهُ أعلم(١).

ويحتمِلُ أيضاً: أن يُجعل ﴿فِيهَا﴾ حالاً دائماً من الضميرِ في ﴿يَذُوقُونَ﴾ لا صلةً للذوق(٢)، وفي هذا نوعُ غموضٍ في الإعراب.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

***

(٥٧) - ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: تفضُّلاً منه؛ أي: لأَجْلِ تفضُّله عليهم.

وقيل: نصبٌ على المصدر، ودلَّ ما قبلَه على فِعْله، ويجوزُ أن يكونَ مصدَراً من غيرِ لفظِ الفعلِ الأوَّلِ لكنْ مِن نوعِه.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ أحدٌ إلَّا بفَضْلِ الله» فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يَتغَمَّدَني اللهُ برحمتِه وفَضْلِه»(٣).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: صرفُ العذابِ ودخولُ الجنةِ ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: النجاةُ العظيم.

***

(٥٨) - ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾؛ أي: الكتابَ في قوله: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ﴾.

فَتَح السورةَ بذكرِ الكتابِ وختمها به.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠)، وفيه بدل «وجاز استثناءُ الموتِ»: «وإذا عاينوا الموت فقد صاروا في الآخرة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٠)، واستغربه. وفي (ف): «الذوق».

(٣) رواه بنحوه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلُغَتِكَ؛ ليَسْهُلَ عليهم[١] تفهُّمُه.

وقيل: أطلَقْنا لسانَكَ به تيسيراً، ولولا تيسيرُنا ذلك لم يمكِنْكَ قراءتُه؛ لأنه كلامُ الله تعالى ولا يُمْكِنُ حفظُه وقراءتُه إلا بتيسيرِ الله[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

* * *

(٥٩) ـ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ هلاكَهم وإظفارَكَ عليهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: منتظِرونَ الدوائرَ ورِيَبَ المَنون.

وقيل: يَحِلُّ بهم الوعيدُ حلولَ الشيءِ المنتظَر.

وقيل: معناه: فارْتَقِبْ فعن قريبٍ يتحقَّقُ أملُكَ وتُخَيَّب آمالُهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) في (ف): «عليك».

(٢) في (ف): «بتيسيره».

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سبعٌ وثلاثون آيةً(١). وتسمَّى: سورةَ الدهر(٢)، وسورةَ الشريعة(٣)، مكيةٌ.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: مكيةٌ إلا آيةَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾، فإنها مدنيةٌ نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿حمٓ﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداءِ فيمَن جعَله اسمَ السورة ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ خبرُه، أو رفعٌ بالخبر، والتقدير: هذه حم.

ومَن جعَله قسَماً فالمقسَمُ عليه ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، ولم يأتِ بحرفِ الجواب؛ لأنه لمَّا عُدِلَ القَسَمُ عن وَجْهِه خُفِّفَ حُكْمُ جوابِه.

---

(١) «سبع وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٦)، وفيه: «وهي ثلاثون وسبع آيات في الكوفي وست في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿حمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٩٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٠)، وقصة نزول الآية في عمر رضي الله عنها ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨٣٧)، وذكرها السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٧) عن مقاتل والكلبي، وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤) عن ابن عباس ومقاتل، وذكرها الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، بسياق مختلف.

وقيل: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرُه.

ومَن جَعَل ﴿حمٓ﴾ لافتتاحِ الكلام كـ(ألَا) فـ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رفعٌ بالابتداء[1]، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُه.

والمعنى: القرآنُ كلامُ الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامِه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره، وليس كما زَعَم المُبْطِلون أنه شعرٌ أو كَهَانةٌ أو تَقَوُّلُ محمَّدٍ.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: في السماواتِ والأرضِ دلائلُ على الوحدانيَّة، ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بالآيات: ما في السماوات من الشمسِ والقمرِ والنجومِ وغيرِها، وما في الأرضِ من الجبالِ والأشجارِ والأنهارِ وغيرِها، فإنَّ كلَّ واحدةٍ منها آيةٌ دالَّةٌ على توحيدِ الله تعالى، وخصَّ المؤمنين بالذِّكر لانتفاعِهم بها.

وقيل: معناه: مَن كان يؤمِنُ بآياته ففيها مَقْنَعٌ ومُكتَفًى.

* * *

(٤) ـ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مَن تأمَّلَ في خَلْقِ نَفْسِه وخَلْقِ الحيوان جميعاً واختلافِ طبائعِها وعجائبِ صُنْعِها تيقَّن أنَّ لها صانعاً حكيماً، وخَصَّ الموقِنين بالذِّكر لأنَّ اليقين يقعُ بالاستدلال.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣)، واستغربه.

(٥) ـ ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالظُّلمةِ والضِّياء، وقيل: بتعاقُبِهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من السَّحاب، وقيل: من جهةِ السماء، وقيل: من سماءِ الملائكة ﴿مِن رِّزْقٍ﴾: مطرٍ؛ لأنه سببُ رزقِ الحيوان ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أنبتَتْ بالمطرِ نباتَها وأشجارَها وتلك حياتُها بعد يَبْسِها بانقطاعِ الماءِ عنها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ جنوباً وشَمالاً ودَبُوراً وصباً ونكباءَ.

وقيل: وتصريفِها رحمةً وعذاباً.

﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ خصَّ العُقلاءَ بالذِّكر لأن بالعقلِ يمكنُ الوقوفُ على الدلائلِ المذكورةِ في هذه الآياتِ الثلاثِ، وهي أكثرُ الأدلَّة[١].

قرئ: ﴿آيات﴾ بالرَّفعِ والنَّصبِ[٢] في المحلِّ، فالنصبُ بالعطفِ على اسمِ ﴿إِنَّ﴾، والرفعُ بالابتداءِ على مذهبِ سيبويهِ وأصحابِه، أو بالعطفِ على اسمِ ﴿إِنَّ﴾ وخبرِه، أو بالظرف على مذهب الأخفش[٣].

وفي الآيةِ الثالثةِ عطفٌ على عامِلَين[٤] سواءٌ رفَعْتَ أو نَصَبْتَ، وذلك غيرُ جائزٍ عند سيبويه وأصحابه، وله وجهان:

أحدهما: أن (الآيات) هي الأُولى ذُكِرتْ تأكيداً من غيرِ حاجةٍ إلى ذِكْرِها؛ كما

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٣): «الغريب: أكثر أدلة التوحيد في هذه الآيات الثلاث».

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالنصب، والباقون بالرفع، وكذا الاختلاف في الآية التي بعدها. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٧٣).

(٤) في هامش (ن): «أحدهما ﴿إِنَّ﴾ والآخر الجارُّ».

تقولُ: إنَّ في الدار زيداً وفي الحجرةِ زيداً وفي المسجد زيداً، وأنت تريدُ: إنَّ في الدَّار زيداً وفي الحجرةِ والمسجدِ.

والثاني: أن قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾ مجرورٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه الجارُّ الأولُ كما قال الشاعر:

أكُلَّ امرئٍ تَحْسَبينَ امْرَأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ باللَّيْلِ نارا[1]

أي: وكلَّ نارٍ.

ومثلُه قولُهم: بمَنْ تَمْرُرْ أَمْرُرْ، فتَحذِفُ الباءَ من الثاني لأن الأول يدل عليه، ولا يجوزُ: مَن تَضْرِبْ أَمْرُرْ.

وأجاز الأخفشُ العطفَ على عامِلينِ واستَدَلَّ بالآية[2]، وليس له فيه استدلالٌ كما سبق.

* * *

(٦) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: الدلائلُ المتقدِّمةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقرأُ ذكرَها ﴿عَلَيْكَ﴾[3]؛ أي: بقراءةِ جبريلَ عليه السلام.

قال أبو عليٍّ: لا تُستعمَلُ التلاوةُ إلا في كتبِ الله، والأصلُ فيها: إتيانُ الثاني إِثْرَ الأول.

وقيل: هذه آياتُ القرآنِ نتلُوها عليك.

---

(١) البيت لأبي دؤاد حارثة بن الحجاج الإيادي. انظر: «الكتاب» (١/ ٦٦)، و«الأصمعيات» (ص: ١٩١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٣٣)، ونسب لعدي بن زيد في «الكامل» (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٩٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، واستغربه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: مُحِقِّين.

وقيل: نخبرُ عنها بالحقِّ لا بالباطل(١).

وقيل: لأَجْل الحقِّ الذي قَصَدْناه(٢).

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بعد حديثِ اللهِ ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ كقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وقيل: هو ما يَتَحدَّثُ به عن وحدانيَّته ونبوَّةِ رسوله.

وقيل: فبأيِّ آيةٍ بعدَ آياتِ اللهِ وهي القرآن.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: مَن لم يؤمِنْ بآيات الله(٣) فلن يؤمنَ بحديثٍ سواه.

وقيل: معناه: القرآنُ آخِرُ كتبِ اللهِ ومحمدٌ آخِرُ رسُلِه، فإنْ لم يُؤْمِنوا به فبأيِّ كتابٍ يؤمنون؟ فلا كتابَ بعده ولا نبيَّ(٤).

قُرِئ بالياء حملاً على القوم، وبالتاء(٥) على تقدير: قل يا محمد.

وقيل: ﴿بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بعدَ إعراضِكُم عن الله.

* * *

(٧) - ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كثيرِ الكذِبِ ﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ الإثم.

---

(١) في (ف): «الباطل».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥) واستغربه.

(٣) في هامش الأصل: «في نسخة: بكلام الله» وهي نسخة (ف).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥) واستغربه.

(٥) قرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتاء والباقون بالياء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

وقيل: ﴿أَفَّاكٍ﴾ يكذِّبُ ربَّه.

قتادةُ: كاهنٍ(١).

❃ ❃ ❃

(٨) ـ ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾(٢)؛ أي: يسمعُ النبيَّ يقرأ(٣) آياتِ الله، فحُذف المفعولُ الأولُ، و﴿تُتْلَىٰ﴾(٤) حالٌ من ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يَبْقَى بعدَ سماعِ القرآنِ كافراً، والإصرارُ: العزمُ على الأمورِ، وأكثرُ ما يُستعمَلُ في الإقامةِ على الذنب.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمانِ ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في عدمِ الانتفاعِ بها والقبولِ لها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قيل: هذا استهزاءٌ، وقيل: أخبرَه خبراً يظهرُ أثرُه على بَشَرته من التَّرَح.

وقيل: نزلت في النَّضْر بنِ الحارثِ، وكذلك التي بعدَها(٥)، وهي:

❃ ❃ ❃

(٩) ـ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾؛ أي: سَمِعَها وفَهِمَها وحَفِظَها، وقيل: عَلِم وعانَدَ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٠).

(٢) في (ف): «يتلى عليه».

(٣) في (ف): «بعد».

(٤) في (ف): «ويتلى».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٣٦)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٧) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: استهْزأَ بها وعارَضَها بحديثِ الفُرْس، يُرِي العَوَامَّ أنه لا حقيقةَ لذلك ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: مُذِلٌّ مُخْزٍ، وجُمِع حملاً على معنَى (كلّ)[1].

***

(١٠) ـ ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: قُدَّامَهم؛ لأنه لم يأتِ بعدُ.

وقيل: مِن خَلْفِهم؛ لأنه يكونُ بعد انقضاءِ آجالِهم وقيامِهم من قبورِهم، وكلُّ ما تَوَارَى عنك فهو وراءٌ تَقَدَّمَ أو تأخَّر.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم﴾: لا يَدْفَعُ عنهم ﴿مَّا كَسَبُوا﴾؛ أي: كَسْبُهم المالَ والأولادَ ﴿شَيْئًا﴾ من عذابِ الله ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: الأصنامَ وما عبدُوه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطِعُ.

***

(١١) ـ ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾؛ أي: القرآنُ سببُ الهدايةِ والرَّشادِ لمَن تَدبَّره وتَفكَّرَ فيه.

وقيل: هذا العذابُ الذي ذُكر حقٌّ. حكاه الفقيهُ أبو الليثِ رحمه الله[2].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قيل: الرجزُ أشدُّ العذاب؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٥]، فيكونُ التقديرُ: لهم عذابٌ من أشدِّ العذاب، فأفادَ الصِّفة.

---

(١) في (ف): «الكل».

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٧٦).

وقيل: الرِّجْز: النَّتْنُ[١]، وأصلُه: الارتِعادُ والسرعة.

﴿أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ؛ بالرفعِ صفةً للعذاب، والجرِّ صفةً للرِّجز[٢].

* * *

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: سهَّل[٣] لكم ركوبَ البحر ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السُّفُن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ لتسخيرِه ذلك لكم دونَ غيرِه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: لتَطْلُبوا المالَ بالتجارةِ في البحرِ، واستخراجِ الجواهرِ منه، وصيدِ ما فيه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتَشْكُروني على هذه النعم.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: صيَّره بحيث تَتصرَّفون فيه وتَنْتفِعون به في دُنياكم ودِينِكم بالاستدلالِ به على التوحيد.

ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: المطرُ والثلجُ والبَرَدُ، ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: النباتُ والأشجارُ والثِّمار[٤].

﴿جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحال.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٥)، واستغربه.

(٢) قرأ ابنُ كثيرٍ وحفص بالرفع؛ والباقون بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٣) في (ن): «سخر»، والمثبت من (ف)، ونسخة في هامش (ن).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٣٧).

﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: هذه النِّعَمُ كلُّها منه خَلْقاً، فيكونُ خبرَ مبتدأ محذوفٍ.

وقيل: تسخيرُ الجميعِ منه.

وقيل: تقديرُه: مِن خَلْقه، فحُذِف المضافُ.

وقيل: ابتداءُ كونِه منه.

ويجوزُ أن يكونَ صفةً للمصدر؛ أي: تسخيراً منه، ويجوز أن يكون ﴿مِّنْهُ﴾ حالاً.

وقرأ ابن عباس: (مِنَّةً)[٥]؛ أي: منَّ بها عليكم مِنَّةً.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ العائدُ في ﴿مِّنْهُ﴾ للأمر؛ أي: من أمره؛ كما قال في الآية الأولى: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾[٦].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: في تسخيرِ القويِّ للضعيفِ دلالةٌ على صانعٍ قديرٍ حكيمٍ.

* * *

(١٤) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ في سبب النزول:

ابنُ عباسٍ بروايةِ عطاءٍ: أنها نزلتْ في عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وذلك أنَّهم نزلوا في غَزاةِ بني المصطَلِقِ على بئرٍ يقالُ لها: المُرَيْسيعُ، فأرسَلَ عبدُ اللهِ بنُ

---

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٣٩)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٦٢).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦)، واستغربه.

أبيٍّ غلامَه ليستقيَ الماءَ فأبطأ عليه، فلمَّا أتاه قال له: ما حَبَسكَ؟ قال: غلامُ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ قَعَد على رأسِ البئرِ فما تَرَكَ أحداً يَستقِيْ حتى ملأَ قِرَبَ النبيِّ ﷺ وقِرَبَ أبي بكر، وملأ لمولاهُ ـ رضي الله عنهما ـ، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلا كما قيل: سمِّن كلبَكَ يأكُلْكَ، فبلَغَ قولُه عمرَ رضي الله عنه، فاشتَمَل بسيفِه يريدُ التوجُّهَ إليه، فأَنزل اللهُ هذه الآية(١).

وعن مَيْمُون بنِ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلتْ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهوديٌّ بالمدينة يقالُ له: فنحاصُ بن عازُوراءَ: احتاجَ ربُّ محمد، فبلَغَ ذلك عمرَ، فاشتَمَل على سيفِه وخرج في طلبه، فجاء جبريلُ عليه السلام وأنزل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ يعني: عمرَ رضي الله عنه(٢).

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: لا يخافون مِثْلَ عقوباتِ الأيامِ الخالية، والعربُ تعبِّرُ عن الوقائعِ بالأيام كيومِ أُحُدٍ ويومِ حُنَينٍ.

وقيل: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يَطمَعون في أيامِ الله نصرةً لأولياءِ الله.

وقيل: لا يَطمَعون في أيامِ الله التي وعَدَها اللهُ المؤمنين في الجنة(٣)، وأضافَ إلى الله كـ: بيت الله.

ومعنى ﴿يَغْفِرُواْ﴾ هاهنا: يَعْفُوا ويَصْفَحوا، وجَزَمُه على جوابِ قوله: ﴿قُل﴾ على اللَّفْظ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٤)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦)، واستغربه.

وقيل: على إضمارِ أمرٍ؛ أي: وهو: اغْفِروا يَغْفِروا[1].

وقيل: بإضمارِ اللامِ؛ أي: ليَغْفِروا. والقولُ الأولُ فيه ضعفٌ.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: ليجزيَهُم الله على فِعْلِهم.

وقرئ: ﴿لِيُجْزَى قَوْماً﴾[2]؛ أي: ليُجزَى الخيرُ والشرُّ قوماً.

ومَن قال: ليُجْزَى الجزاءُ قوماً، ففي قوله ضعفٌ.

والقومُ: هم المؤمنون، وقيل: الكافرون، وكلاهما جائزان لقوله بعده:

* * *

(١٥) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: لها الثوابُ وعليها العقابُ ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

أكثرُ المفسِّرين على أنها منسوخةٌ بآيةِ السيف[3].

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٦) واستغربه.

(٢) قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٢). وقرأ ابن كثير ونافعٍ وعاصم وأبو عمرو: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٤ ـ ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٥)، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨١ ـ ٨٣) عن ابن عباس وقتادة والضحاك وأبي صالح وابن زيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراةَ ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: الحكمةَ، وقيل: الفقهَ، وقيل: السُّنَّةَ، وقيل: القضاءَ بين الناس.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ فإن إبراهيمَ عليه السلام كان شجرةَ الأنبياء.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالُ، وقيل: اللَّذيذُ، وقيل: المنُّ والسَّلْوى.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم الزيادةَ ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زمانهم.

وقيل: خَصَصْنا[1] بكثرةِ الأنبياء من بين سائرِ الأمم.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يريد: أمرَ محمَّدٍ ﷺ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ في كونه نبيًّا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ محمدٌ عليه السلام والقرآنُ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقيل: أراد بالاختلاف اختلافَهم في أوامرِ اللهِ ونواهيهِ في التوراةِ ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً، لا عن جهلٍ يكونُ به الإنسانُ معذوراً.

* * *

(١٨) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: بعدَ اختلافِ أهلِ الكتابِ ﴿جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ﴾ طريقةٍ ومنهجٍ ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: من الدِّين.

وقيل: على ملَّةٍ مشروعةٍ لك من أمرِنا الذي أَمَرْناه مَن قَبْلكَ مِن رُسُلنا.

---

(١) كذا في النسختين، والأظهر: «خصصناهم».

وقيل: من الأمرِ الذي أنت بصدَدِه.

قتادةُ: الشريعةُ: الفرائضُ والحدودُ والأمرُ والنهي[١].

وقيل: على بيِّنةٍ.

وقيل: على سُنَّةٍ.

ابن عيسى: أصلُ الشريعةِ: علامةٌ تُنصَبُ على الطريقِ دلالةً على الماء.

﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾: فاتَّبعْ هذه الشريعةَ واعْمَلْ بها واتَّخِذْها إماماً.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا تَتَّبعِ الكافرينَ والمنافقينَ ولا تَعْمَلْ بهواهُم.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: إنَّ هؤلاء الكفارَ والمنافقينَ غيرُ نافِعيكَ ممَّا يريدُه اللهُ بك من العَذابِ، ولا كافِيْكَ ما يشاؤُه فيك من العقاب.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: الظالمُ ـ وهو الكافرُ ـ يوالي ظالماً مثلَه وينصرُه ويُعِينُه، وقيل: هم متَّفقون على عداوتك.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يُوالي ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهم المؤمنون.

* * *

(٢٠) ـ ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: القرآنُ، وقيل: ما تقدَّمَ من اتِّباعِ الشريعةِ وتركِ طاعةِ الظالمِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٥).

﴿بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ﴾: بيِّناتٌ ودلائلُ في أمرِ دِينهم ﴿وَهُدًى﴾: رَشَدٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: نعمةٌ من اللهِ ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: لا يَشُوبُ إيمانُهم شكٌّ وارتياب.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: اكْتَسَبوا معاصيَ اللهِ وارتكبوا مآثمَ[1] ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

نزلت فيمَن قالوا: نُعْطَى في الآخرةِ خيراً مما يُعْطَى المؤمنون[2].

وقيل: أم حَسِبَ عتبةُ وشيبةُ والوليدُ وأتباعُهم أن نجعلَهم كعليٍّ وحمزةَ وعبيدةَ ابنِ الحارث رضي الله عنهم سواءً[3]؛ أي: أَحَسِبوا أنْ نسوِّيَ بين الفريقين في المحيا والممات؛ أي: في الدُّنيا والعُقْبى.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئسَ هذا الحكمُ، بل نفرِّقُ بينهم فنُعْلِي المؤمنين وننصرُهم في الدنيا والآخرةِ، ونُخْزِي الكافرين فيهما.

وقيل: المرادُ بالمحيا: الحياةُ بعدَ الموت، وبالمماتِ: القبرُ، من قوله: «القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنةِ أو حفرةٌ من حُفَرِ النِّيران»[4].

---

(١) في (ن) زيادة: «المأثم».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٣٩).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٤٣) عن الكلبي.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وقيل: أَحَسِبَ الكفَّارُ أنْ يشاركوا المؤمنينَ فيما يُعطِيْهم اللهُ في الآخرة كما شارَكوهم فيما أعطاهم في الدنيا، من قوله: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قُرِئ ﴿سَوَاء﴾ بالرَّفعِ والنَّصب[1]؛ فمَن رَفَع: ﴿مَّحۡيَاهُمۡ﴾ المبتدأُ، و﴿مماتُهم﴾ عطفٌ على المبتدأ، و﴿سواءٌ﴾ خبرُ المبتدأ، وتقدَّم عليه، ولم يثنَّ لأنه مصدرٌ. ويجوزُ في الجملةِ أنْ تكونَ واقعةً موقعَ المفعولِ الثاني لـ(جَعَل)، ويجوزُ أن تكون استئنافاً وما قبلَه وقفٌ؛ أي: محياهُم محيا سواءٍ ومماتُهم كذلك، وهذا أولى؛ لأنه قُطِعَ فلا يَدخُلُ في الحسبان.

ومَن نَصَب: جاز أن يكونَ المفعولَ الثانيَ لـ(جَعَل)، وجاز أن يكونَ حالاً والمفعولُ الثاني: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ويرتفعُ ﴿مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ بالمصدر، وفيه ضعفٌ؛ لأنه ليس باسمِ الفاعلِ ولا بالصفةِ المشبَّهةِ باسم الفاعل.

وفي الضميرِ قولان: أحدُهما: أنه يعودُ إلى الكفارِ فحَسْبُ، وقيل: إلى القَبيلين[2]، ويحتمِلُ أن يعودَ إلى المؤمنين فحسبُ كما[3] قُرِئ في الشواذِّ بالجر[4]، فيكونُ التقدير: أنْ نجعَلَ محيا الكفارِ ومماتَهم كمحيا المؤمنين ومماتِهم، فحذف الأول.

وقرئ بالنَّصبِ[5]، فيكونُ للكفار[6] على البدلِ وحُذف الثاني، ويجوزُ في النصبِ أن يكون ظرفًا، والله أعلم.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب، والباقون بالرَّفع. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) في (ن): «القبيلتين».

(٣) في (ف): «لما».

(٤) ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٧).

(٥) أي: (محياهم ومماتَهم). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٩) عن الأعمش.

(٦) في (ن): «الكفار».

(٢٢) ـ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالعَدْلِ، فلا يقتضِي التساويَ بين الفريقين.

وقيل: لم يخلُقْه عبثاً لكنْ للجزاء، ثم بيَّنه فقال: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقيل: خَلَق للعَدْلِ ولتُجْزَى.

* * *

(٢٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾؛ أي: بهواهُ وإيثارِه لا بالأدلَّةِ والبراهين.

قال ابن عباس: كان أحدُهم يَعبدُ حجراً، فإذا رأى ما هو أحسنُ منه رمَى به وعبَد ما هو أحسنُ[1].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقديرُ: اتَّخَذ هواهُ إلهَهُ فركِبَ ما اشتهاه من غيرِ زاجرٍ[2].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾: خَذَله اللهُ.

وقيل: أضلَّه من[3] الثواب.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، والأظهر: «عن».

وقيل: (أَضَلَّه): وَجَده ضالًّا.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على علمٍ من اللهِ بضلالِه في سابقِ عِلْمه.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ للمفعول، فيكونُ علمَ التجارةِ وسائرِ الصناعةِ، وفيه ضعف.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ به المعاندَ؛ لأنَّ ضلالَه على علمٍ.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ فلا ينتفِعُ بما يَسمعُ ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يتفكَّرُ في آياتِ الله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا يُبْصِرُ الحقَّ.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرِ الله[1]، وقيل: بعدِ هدايةِ الله، وقيل: بعد خذلانِ اللهِ إياه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وجوابُ ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ﴾.

* * *

(٢٤) - ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ ﴿هِىَ﴾ كنايةٌ عن الحياة؛ لأنهم وُعِدوا حياةً ثانيةً فقالوا: ما الحياةُ إلا حياتُنا ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها.

وقولهم: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ ليس بتسليمٍ للثانية[2]، وإنما هو كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أي: بزعمك.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لثانية».

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ قيل: فيه تقديمٌ وتأخير؛ أي: نحيَى ونموتُ، ولأن الواوَ لا تُوْجِبُ الترتيب.

وقيل: يموتُ الآباءُ ويحيَى الأبناءُ، وحياةُ الأبناءِ حياةُ الآباء؛ لأنَّ الأبناءَ بحياةِ الآباءِ صاروا أحياءً.

وقيل: يموتُ بعضٌ ويحيَى بعضٌ.

وقيل: كنَّا مَوَاتاً فحَيِيْنا.

ويحتمِلُ أنَّ هذا كلامُ مَن يقولُ بالتناسُخِ؛ أي: يموتُ الرجلُ ثم تُجْعلُ روحُه في مَوَاتٍ فتحيا به[1].

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ مُضيُّ الأيامِ والليالي، وقيل: طولُ الدَّهر بالهَرَم.

قتادةُ: إلا العمرُ[2].

عكرمةُ: إلا الله[3]، وهذا موافقٌ لقولِ النبيِّ ﷺ إخباراً عن الله تعالى: «لا تسبُّوا الدهرَ فأنا الدهرُ»[4]، وفيه نظرٌ.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: ما هم في اعتقادِ هذا القول إلا على شكٍّ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٦)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، وعده من العجائب.

(٤) رواه البخاري (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٥) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتِ الدلائلِ، ويريد بالآيات هاهنا: ما فيه ذكرُ البعثِ والنُّشور.

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾؛ أي: جوابَهم وما احتجُّوا به، وسمِّي حجةً على زعمِهم.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أحيُوهُم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوَى البعثِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ في القبور[1] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وقيل: ثم يُحييكم ويجمعُكم في يومِ القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في اليوم، وقيل: في الجَمْعِ؛ أي: لا تَرْتابوا فيه.

وقيل: قد قامتِ الدلالةُ على صحةِ البعثِ فلمْ يَبْقَ فيه ارتيابٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدرةَ اللهِ على البَعْثِ؛ لإعراضِهم عن التدبُّر والتفكُّرِ في الدَّلائل.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يجوزُ أن يكونَ عطفاً على محلِّ

---

(١) «في القبور» من (ف).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيكونَ مفعولاً به[١]، ويجوزُ أن يكونَ ظرفاً، وقولُه: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ منه، ومعنى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: حينئذ ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ مَن لا حُجَّةَ له.

* * *

(٢٨) - ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾: أمةَ كلِّ نبيٍّ يومَ القيامة ﴿جَاثِيَةً﴾ ابنُ عباس رضي الله عنهما: مجتمِعةً للحساب[٢].

وقيل: باركةً جِلْسةَ المدَّعِي عند الحاكم.

وقيل: مستوفزاً لا يصيبُ الأرضَ إلا رُكْبتَاه وأطرافُ أناملِه.

وقيل: متميِّزة، وقيل: خاضعةً.

والجُثُوُّ للكفار خاصةً، وقيل: عامٌّ.

تقول: جثا يجثو؛ إذ جلَس على ركبتيه، وحَذَا يَحْذو بمعناه.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ يريد: كتابَ الحفظة؛ ليقرؤوه ويستوفُوا الجزاءَ، وهو قولُه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

الجاحظُ: إلى كتابِ نبيِّها فيَنظرُ هل عملوا به أم لا[٣]؟

وقيل: إلى حسابها.

وقيل: يُدْعَى: يُسأَلُ؛ كما تقولُ: سألتُ اللهَ كذا، ودعوتُه بكذا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩) واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٨٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٨).

ويحتمِلُ: يُدْعَوْن بكتاب نبيِّها فيقال: يا أهلَ التوراة، يا أهلَ القرآنِ؛ كما سبق في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]؛ أي: بكتابهم.

* * *

(٢٩) - ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾؛ أي: يبيِّنُ لكم، وضعَ النُّطقِ موضعَ البيانِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدلِ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: نُثْبِتُ.

وقيل: نحفظُ أعمالَكم، وليس ذلك بنقلٍ من كتابٍ.

تقول: نَسَخْتُ واستنسَخْتُ بمعنًى؛ نحوَ: عَجِبْتُ واستَعْجَبْتُ.

وقيل: نأمرُ بإثباتها، والاستنساخُ: الأمرُ بالنسخِ، وعليه بابُ الاستفعال.

وقيل: نستنسِخُ أعمالَكم من اللَّوح المحفوظ كُتب قبلَ أن تُخلَقوا وقبلَ أن تعملوا، فيكونُ النسخُ نقلاً من كتابٍ إلى كتاب.

وقيل: ﴿كِتَٰبُنَا﴾: القرآنُ يدلُّكم على ما فيه، فهو شاهدٌ عليكم.

* * *

(٣٠ - ٣١) - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فيقالُ لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: الكتبَ المنزلةَ ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظَّمْتُم عن الانقيادِ والإيمانِ بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كافرينَ مُذْنِبين، والفاءُ في ﴿أَفَلَمْ﴾ قامَ مقامَ المحذوف.

* * *

(٣٢) - ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: قيل لكم: إنَّ الجزاءَ والبعثَ حقٌّ[1] كائنٌ ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: قائمةٌ لا محالةَ، ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: لَسْنا نَعْلَمُ ما تريدون بقولكم: ﴿السَّاعة﴾ وكيفيَّةَ قيامِها.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أبو عليٍّ: لا يَجْرِي هذا الكلامُ على ظاهره؛ لأنَّ كلَّ مَن يَظنُّ فإنه لا يَظنُّ غيرَ الظنِّ.

قال: ويصحُّ الكلامُ بأنْ يقدَّر بـ﴿إِلَّا﴾ التقديمُ[2]، وهو قولُ الأخفش؛ أي: ما نحن إلا نظنُّ ظنًّا[3]، والتوكيدُ غيرُ مستنكَرٍ.

المازنيُّ: تقديرُه: إنْ نظنُّ نحن إلا أنَّكم ظَنَنْتُم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنكم لا تظنُّون[4]؛ أي: هذا الذي تَدْعونَنا إليه ظنٌّ منكم وأنتم شاكُّون فيه.

وقيل: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ لا يؤدِّينا إلى العلم[5] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ أي: نَشُكُّ في جوازِ وقوعِه ولا نَستيْقِنُ ذلك.

* * *

---

(١) «حق»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «المسائل الحلبيات» (ص: ٢٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٨)، وفيه: «﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ ما نظن إلا ظنًّا».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٨٩)، وعده من العجائب.

(٣٣) ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾: ظَهَر[1] لهؤلاء المشركين حين شاهَدوا القيامةَ وأُخرج لهم ما كَتَبتِ الحفَظةُ من أعمالهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾: قبائحُ أفعالِهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاطَ بهم ولَزِمَهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: جزاءُ استهزائِهم بقائلِ ذلك والمخبِرِ به.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: تقولُ لهم الملائكةُ: اليومَ نترُكُكم في النارِ تركَ الشيءِ المنسيِّ الذي لا يُذْكَرُ كما أَعْرَضْتُم عن تدبُّرِ الوعيدِ والإنذارِ إعراضَ مَن نسيَ الشيءَ.

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: منزلُكم ومَثْواكُم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَن يَنصرُكم ويَدفَعُ عنكم ممن كنتُم تتعزَّزون بهم في الدنيا.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُم﴾؛ أي: ذلكم العذابُ ﴿بِأَنَّكُمُ﴾: بسببِ أنكم ﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما كان يُتْلَى عليكم ﴿هُزُوًا﴾: تُنْزِلونها مَنزلةَ الهُـزْءِ الذي لا يُقبَلُ عليه ولا يُتدبَّرُ فيه ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: اغترَرْتُم بما مُدَّ لكم فيها من الحياةِ السريعةِ الانقضاءِ وما وُسِّع عليكم من أسبابِ دنياكم.

---

(١) في (ن): «خلص».

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا﴾ لأنَّهم فيها خالدونَ ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾: لا يُطْلَبُ رضاهُم.

وقيل: لا يُطالَبون بالتَّوبة.

وقيل: لا يُرَدُّون إلى الدُّنيا.

وقيل: لا يُراجَعون الكلامَ بعدَ دخولِ النَّار.

وقيل: لا يُقبَلُ منهم العُتْبَى، وهو إعطاءُ الرِّضا.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] ختَم السورةَ بكلمةِ الإخلاص.

وقيل: قولوا: (للهِ الحمدُ)؛ عَرَّفهم كيف يحمَدون ربَّهم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: العظمةُ والجلالُ.

وقيل: استحقاقُ التعظيمِ في أعلى المراتبِ له وحدَه.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ بسلطانه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيما أَمَرَ ونَهَى وخَلَق وقَضَى.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «قال الشيخ: قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ صفة لـ﴿الله﴾، ﴿وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾ عطفٌ عليه، ولم يأت بالواو في ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنه لو دخل عليه الواو لأظهر تغايراً في الكلام، وذلك لأن الأرض والسماوات من جملة العالَمين، وإنا بالتذكير لما فيها من [...] وهذا نكتة لطيفة».

سُورَةُ الأَحۡقَافِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

خمسٌ وثلاثونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: إلَّا آيةً فإنَّها مدنيَّةٌ، وهي قولُه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقيل هي: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سَبَق، وإنَّما كرَّر ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنَّه بمنزلةِ عُنوانِ الكتبِ، ثم ذَكر ما أُنزلَ فقال:

(٣) ـ ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾.

---

(١) «خمس وثلاثون آية»: ليس في (ف). وقد ذكر الداني الخلاف في عدد آيات السورة وهو بين كونها خمساً وثلاثين آية أو أربعاً وثلاثين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٧).

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٠)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٣٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٢)، وصرح الماوردي بأن هذه الرواية عن ابن عباس وقتادة شاذة.

(٣) ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٢) عن مقاتل: أنها مكية غير آيتين: هذه الآية، والآية التي في الخبر السابق. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٧ و٣٣).

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾: للحَقِّ ولإقامةِ الحق[(١)].

وقيل: بالعدلِ في الخَلْق.

وقيل: ليَدُلَّ على وحدانيَّة الله تعالى.

وقيل: بالصِّدْق.

وقيل: إلا للبَعْثِ.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: خَلَقه مقروناً بأجلٍ مسمًّى إلى وقتٍ معلومٍ قد سمَّاه، وإنْ كان قد طَوَى عِلْمه عن عِبَادِه.

وقيل: هو الأجَلُ المخلوقُ لكلِّ مقدورٍ[(٢)].

المبرِّدُ: ما خلقناهما إلا بأجَلٍ مسمًّى، والأجَلُ المسمَّى قولُه: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤][(٣)].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالآخرة ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ به وهو الجزاءُ يومَ المَعَادِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون، وقيل: أَعْرَضوا بعدما قامَتْ عليهم الحُجَّةُ.

* * *

(٤) - ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: تَدْعُونه إلهاً، وقيل: تَعْبُدونه من الأصنام، وقيل: الملائكةِ والجنِّ وعيسى.

---

(١) في هامش (ن) في الموضعين: «في نسخة الصدق».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، وعده من العجائب.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ هل خَلَق واحدٌ منهم شيئاً من الأرض، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: في خَلْقِها ومُلْكِها؟ ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ أنزلَه اللهُ وفيه برهانُ ما تَدَّعُون؛ أي: التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وسائرِ كتُبه ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: قبلِ القرآن.

﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: روايةٍ، تقول: أَثَرهُ يَأْثُرُه، وخبرٌ مأثورٌ، وجاء في الأثر، يريدُ[1]: ما كانتِ العربُ تَعْلَمُ بعضَ الأشياءِ به: منَ القِيَافةَ والزَّجْرَ والطَّرْقَ[2] ممَّا كانوا يأْثُرونه عن أسلافِهِم ويَعُدُّونه علماً، وإنْ لم يكنْ فيه ما يُوجِبُ الوثيقةَ.

وقيل: الأثارةُ: البقيَّةُ، تقولُ العربُ: سَمِنتِ الإبلُ على أَثَارةٍ؛ أي: بَقيَّةٍ من الشَّحْم.

وقيل: ﴿أَثَارَةٍ﴾؛ أي: ميراثٍ[3] من عِلْمٍ.

وقيل: خاصَّةٍ من عِلْم.

وقيل: بيِّنةٍ.

وقيل: مُناظرةٍ من عِلْمٍ؛ لأنَّ المناظرةَ في العِلْم مُثيرةٌ لِمَعانيهِ[4]، ولعلَّ هذا على مَن قرأ: (إثارةٍ) بالكسر[5].

وقيل: اجتهادٍ بعلمٍ.

وقيل: هو إسنادُ الحديث.

---

(١) «يريد» ليست في (ف).

(٢) في هامش (ن): «قال: الزجر التطير، والطرق: حصيات كانت العرب تستصنم بها وتخبر بما يكون بعلامة تظهر من الحصيات، وقرئ: (إثْرة) بكسر الألف و(أُثْرة) بضمه».

(٣) في (ن): «ما راث»، وفي هامشها: «ميراث. نسخة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٢)، وعده من العجائب.

(٥) هي قراءة الحسن. انظر: «شواذ القراءات» لمحمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ٤٣٥).

وقُرئ في الشواذ على وجوهٍ(١)، ومعانِيْها قريبٌ بعضُها من بعضٍ.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صَدَقْتُم في دَعْوَاكم فأْتوني به.

ورُوي مرفوعاً في قوله: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: أنه الخطُّ(٢)، وقال: «كان نبيٌّ من الأنبياءِ يَخُطُّ، فمَن صادَفَ مِثْلَ خَطِّه؟!»(٣)(٤).

وروى القفَّال: «أنَّ نبيًّا كان يخطُّ، فمَن صادَفَ مِثْلَ خطِّه عَلِم»(٥).

---

(١) انظر هذه الوجوه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٢٥)، و«الأوسط» (٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٢): «رجال أحمد رجال الصحيح»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩١)، واستغربه.

(٣) في هامش الأصل: «في نسخة علم».

(٤) في هامش الأصل: «قال الشيخ رحمه الله: يجوز أن يكون قوله عليه السلام: «فمن صادف مثل خطه» للاستفهام والتعجب».

(٥) قطعة من حديث رواه مسلم (٥٣٧/ ٣٣)، وعقب الحديث (٢٢٢٧) (٤/ ١٧٤٩)، وأبو داود (٣٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٦٢)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وفيه: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»، ورواه البزار في «مسنده» (٨٦٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «قد كان نبيًّا من الأنبياء يخط فمن وافق خطه ذلك ـ أو: من وافق ذلك الخط ـ علم».

قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٢٢): اختلف العلماءُ في معناه، فالصحيح أن معناه: من وافق خطَّه فهو مباحٌ له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقينِ الموافقة، وليس لنا يقينٌ بها، وإنما قال النبي ﷺ: «فمن وافَقَ خطَّه فذاك» ولم يقل: «هو حرام» بغير تعليق على الموافقة، لئلا يتوهَّم متوهِّمٌ أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبيُّ الذي كان يَخُطُّ، فحافظ النبي ﷺ على حُرْمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى: أن ذلك النبي لا مَنْعَ في حقِّه، وكذا لو عَلِمتُم موافقته، ولكن لا عِلْمَ لكم بها. =

قـال أبو سـليمانَ فـي «غريبـه» عن ابـنِ الأعرابيِّ قـال: يأتي صاحـبُ الحاجةِ إلـى الحـازي فيعطيـهِ حُلْوانـاً وهـو جُعْلُـه، فيقولُ لـه: اقعُـدْ حتى أخطَّ لـك، قال: وبيـنِ يَـدَيِ الحـازي غـلامٌ معـه ميـلٌ، ثـم يأتـي إلـى أرضٍ رخـوةٍ فيَخُـطُّ خطوطاً كثيـرةً بالعَجَلـة لئـلَّا يَلْحَقَهـا العَـدَدُ، قـال: ثُـم يَرجِـعُ فيَمْحـو علـى مَهَـلٍ خَطَّيـنِ خَطَّيـن، فـإنْ بقـيَ منها خطَّـان فهما علامـةُ النَّجـاح، وكانتِ العـربُ تسـمِّي ذَيْنِكَ الخطَّيـنِ: ابنـي عِيَـانٍ، فيقـول الحـازي: ابْنَـيْ عِيَـان أسـرِعَا البَيَـان، وإنْ بقـيَ خطٌّ واحـدٌ فهـو علامـةُ الخَيبة(١).

ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا قـال: الخـطُّ الـذي يخطُّـه الحـازي عِلْـمٌ قديمٌ تَرَكَه النـاسُ(٢).

***

(٥) ـ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾؛ أي: أيُّ أحدٍ أَبيَنُ ضلالاً، والمعنى: لا أحدَ أشدُّ ضلالاً ﴿مِمَّن يَدْعُواْ ﴾: يَعبدُ، وقيل: يَطلُبُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؛ أي: يسألُ

= وقال عبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب» مادة: (خ ط ط): لَمْ يُبيِّنِ النبيُّ ﷺ الخطَّ الذي كان النبيُّ يَخُطُّه حتَّى تكونَ مُوافقتُه جائزةً، فالوجهُ طَيُّ هذا البساطِ أصلاً؛ جملةً وتفصيلاً، والتعويلُ على ما وَردَ به الشرعُ من التوكُّلِ على الله تعالى، وتفويضِ الأمور إليه.

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٤٨).

(٢) ذكره الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٦٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١١٣) بلفظ: «﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: خط كان يخطه العرب في الأرض».

شيئاً لو دعاه إلى يومِ القيامة لم يَستجِبْ له دعاءَه ولا كان عنده معونةٌ[١]؛ والمعنى: لا يستجيبُ أبداً.

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ قيل: هي الأصنامُ التي هي جمادٌ، فأَجْراها مُجرى العقلاءِ في الإخبارِ على زعمهم.

وقيل: هم الملائكةُ والجنُّ، وهم مشتَغِلون عنهم غيرُ عالِمِينَ بعبادتِهم.

وقيل: قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ استبعادٌ كما ذكرتُ، وقيل: غايةٌ؛ لأن المعبودَ يجيبُ العابدَ يومَ القيامةِ كما جاء في القرآنِ في مواضعَ، نحوُ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ونحوُ قولِه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] ونحوُ قولِه: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ويُقوِّيه قولُه عَقِيبه:

***

(٦) ـ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾؛ أي: المعبودون للعابدِينَ أعداءً.

وقيل: العابدونَ للمعبودِينَ أعداءً.

﴿وَكَانُواْ﴾؛ أي: العابدون ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: كان المعبودون كافرينَ؛ لم يَشْكُروهم عليها، بل ذَمُّوهم.

***

---

(١) في هامش (ن): «قال الشيخ: قوله: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليس أنه يستجيب يوم القيامة، وإنما ذلك مِثلُ قولهم: فلان لا يفعل ذلك إلى يوم القيامة؛ أي: لا يفعله أبداً».

(٧) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتِ الدَّلائلِ، وهي القرآنُ، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: لا حقيقةَ له، يُوْهِمُ إذا قَرَع السَّمْعَ أنه شيءٌ ثم لا أصلَ له.

وقيل: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾؛ أي: كلامٌ منظومٌ نَظْماً دقيقاً يأخُذُ القلوبَ؛ كما يُقال: هو السِّحرُ الحلال.

* * *

(٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختَلَقه محمدٌ ـ ﷺ ـ وأضافه إلى اللهِ كذباً ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: إنْ كذَبْتُ على اللهِ كما زَعَمْتُم فلا تملِكونَ دَفْعَ عذابِه عنِّي ولا نَفْعَ لي مِن قِبَلِكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: اللهُ أعلمُ بما تقولون فيما بينكم وبما تَرْمونني به وتخوضون فيه.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: هو شاهدي على صدقِ ما أدعُوْكم إليه؛ إذ هو المرسِلُ إليكم، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ مِن شِرْكه وأَسْلَم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: لم يُعَجِّلْ بالعقوبة.

وقيل: معنى الآيةِ: إنِ افترَيْتُه فقد أسأْتُ إذاً الاختيارَ لنفسي.

وقيل: معناه: إن افتريتُه فغايةُ ذلك أنْ أَخْدَعَكم فتتَّبعوني، وما انتفاعي باتِّباعكم وأنتم لا تملكون دفعَ عذابِ اللهِ عنِّي.

* * *

(٩) ـ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ البِدْعُ: ما لا سابقَ له؛ أي: لستُ بأوَّلِ رسولٍ أَرسلهُ الله، ولا جئتُكم بأمرٍ بديعٍ لم يكنْ لي إلى مثلِه سابقٌ.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى﴾؛ أي: في الدُّنيا؛ لأنَّ للهِ في الأنبياءِ أحكاماً يمتحِنُهم بها من جهةِ قومِهم: من إخراجٍ من البلدِ، أو قتلٍ، أو تعذيبٍ، أو إنجاءٍ من هذه المحنِ، أو أمرٍ بالهجرة، أو بالمقاتلة مع القوم، ﴿وَلَا بِكُمْ﴾ من خَسْفٍ أو مَسْخٍ أو رَجْفةٍ أو تغريقٍ، أو إهلاكٍ بريحٍ، أو قتلٍ، أو أخذِ جزيةٍ، أو كفرٍ، أو إيمان.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ولم يُوْحَ إليَّ في هذا البابِ شيءٌ ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَقْتصِرُ على ما قَصَرني اللهُ عليه من الإنذارِ لكم.

وقيل: لا أدري ما أُؤمَرُ به ولا ما تُؤْمَرون به[١].

وقيل: كان هذا قبلَ نزولِ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢] ثم نُسِخَ به، فعَلِمَ بعد ذلك ما يُفْعَلُ به.

وقيل: لا يجوزُ أن يقولَ الرسولُ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[٢]، بل سببُ ذلك: أنه رأى في المنامِ أنْ يتحوَّلَ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فأَخْبرَ أصحابه بها، فلمَّا بَطُؤَ حصولُ ذلك راجَعوه في ذلك، فنزلتِ الآية[٣].

---

(١) «به» من (ف).

(٢) ذكره المصنف مع سبب النزول الآتي في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغربه.

(٣) ذكره دون عزو الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥٠، ٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٣٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨) عن ابن عباس، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢) عن الكلبي، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٠) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال ابن بحرٍ: معنى قولِه: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾؛ أي: لا أدَّعي عِلْمَ غيبٍ، ولا معرفةَ ما يفعلُه بي ولا بكم من الإحياءِ والإماتةِ والنعمةِ والجَدْبِ وسائرِ ما يَنفعُ ويَضُرُّ، إلا أنْ يُوحَى إليَّ في ذلك شيءٌ فأتَّبِعَه. وهذا أحسنُ الأقوال[1]، ومثلُه: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

* * *

(١٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾؛ أي: أَخبِروني ﴿إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآنُ، وقيل: محمدٌ ﷺ ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الجمهورُ على أنه عبدُ الله بن سَلَامٍ رضي الله عنه والآيةُ مدنية[2]، وذلك أنه جاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: اجعَلْني يا رسولَ الله حَكَماً بينك وبين اليهود، فسَأَلهم عنه: «أيُّ رجلٍ هو فيكم؟» فقالوا: سيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، وعالِمُنا وابنُ عالِمِنا[3]، قال: «فإنه قد آمَنَ بي»[4].

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، وعده من العجائب.

(٢) روى البخاري (٣٨١٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾. ورواه مسلم (٢٤٨٣) دون ذكر الآية.

(٣) في (ف): «قالوا سيدنا وعالمنا عبد الله بن سلام».

(٤) روى هذه القصة مع سبب النزول: الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩٨٤) عن عوف بن مالك، ورواها الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٧ ـ ١٣١) عن عوف بن مالك وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك والحسن.

الشعبيُّ في جماعةٍ: ليس بعبدِ الله[١]؛ لأنَّ السورةَ مكيةٌ، وإنما أَسْلَمَ ابنُ سَلَامٍ بالمدينة[٢].

وقالوا: الشاهدُ من بني إسرائيلَ هو موسى عليه السلام، وشهادتُه: هو ما في التوراةِ من نعتِ محمدٍ ﷺ وبِعْثَته.

قوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾: على ما شَهِد عليه القرآنُ ومحمدٌ ﷺ.

﴿فَـَٔامَنَ﴾؛ أي: الشَّاهدُ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان.

وقيل: وشَهِدَ موسى عليه السلامُ على[٣] مِثْلِ القرآن، فآمَن به بنو إسرائيلَ وكفرتُم يا معشرَ العربِ بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ.

الفرَّاءُ: أي: شَهِد رجلٌ من اليهودِ على مثلِ ما شَهِد به عبدُ الله بنُ سَلَام، فآمَن ذلك الرجلُ واستكْبَرْتم[٤].

وفي بعضِ التفاسير: الرجلُ يامينُ بنُ يامينَ، وكان أسلمَ قبلَ عبدِ اللهِ بنِ سلَامٍ ثم أسلمَ ابنُ سلامٍ، فشَهِد على مِثْلِ ما شَهِدَ عليه يامينُ[٥].

وقيل: على مثلِ شهادةِ الله.

وقيل: شهادةِ محمدٍ ﷺ.

وقيل: شهادةِ القرآن.

---

(١) في (ف): «عبد الله».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٥).

(٣) «على» ليست في (ن).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥١).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٣) عن السدي.

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾[1].

وجوابُ: ﴿إِن كَانَ﴾ مقدَّرٌ تقديره: أليس قد ظلَمْتُم؟ فحُذفَ لأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: جوابُه: مَن أضلُّ منكم؟

وقيل: جوابُه: أتؤمنون؟

وقيل: أتأمنون عقوبةَ الله؟

* * *

(١١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ اللامُ لامُ العلَّة؛ أي: لأَجْلِهم.

وقيل: هو كقولك: قلتُ له[2]. والوجهُ هو الأولُ.

قيل: المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اليهودُ؛ قالوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما أتى به محمدٌ ﴿خَيْرًا﴾ أي: صِدقاً وحَقًّا ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾، ولكُنَّا أسرعَ إلى قَبوله من الذين آمَنوا؛ لأنَّا أربابُ العلمِ والكتاب.

وقيل: المرادُ بهم مشركو العرب، وذلك أنَّه لمَّا أسلمَتْ جُهَيْنةُ ومُزَيْنةُ وأَسْلَمُ وغِفَارٌ قالتْ بنو عامرٍ وغَطَفانُ وأسدٌ وأَشْجَعُ: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دخلَ فيه هؤلاء من الدِّين ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾، ونحن أرفعُ منهم حالاً وأكثرُ مالاً، وهؤلاء رعاةُ الغنم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، وعده من العجائب.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: كَذِبٌ مِثْلُ كَذِبِ عيسى عليه السلام.

وقيل: هو كقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وهذا كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

وأفاد دخولُ السِّين أنهم في المستقبلِ يقولون هذا القولَ أيضاً.

وقيل[1]: الواوُ في ﴿وَإِذْ﴾ زيادةٌ، وهو ظرفٌ لقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ثم استأنَفَ فقال: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾؛ أي: من قبلِ القرآنِ ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾؛ أي: التوراةُ ﴿إِمَامًا﴾: مَقْصداً بالاتِّباع ﴿وَرَحْمَةً﴾: نعمةً ونجاةً ﴿وَهَذَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾؛ أي: التوراةَ، وفي صُحُف ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (مصدِّقٌ لِمَا بين يديه)[2].

﴿لِسَانًا﴾ حالٌ من ﴿هذا﴾، وقيل: من الضميرِ في ﴿مُصَدِّقٌ﴾.

وقيل: مفعولٌ به، والتقديرُ: مصدِّق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقيل: مصدِّقُ التوراةِ والإنجيلِ لساناً[3] ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ أي: يصدِّقُهما في هذه الحال.

---

(١) في (ف): «قيل».

(٢) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٤).

(٣) «لساناً»: ليس في (ف).

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ليُنْذِرَ الكتابُ، وقيل: اللهُ، وقيل: محمدٌ ﷺ.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: هو بُشرى، وقيل: وليُبشِّرَ بُشرى[1].

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ جاء مرفوعًا: «أقامُوا عليه ولم يَرْجِعوا عنه»[2].

وقيل: استقاموا على كلمةِ[3] الإخلاصِ وأداءِ الفرائض.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عند الموت.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

---

(١) قوله: «هو بشرى»؛ يعني: ﴿بشرى﴾ مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. وقوله: «وليبشر بشرى» يعني: أنه منصوب على المصدر. ويجوز الجر عطفًا على المحل؛ أي: لإنذار وبشرى. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٣)، واستغرب المصنف الوجهين الأخيرين.

(٢) روى الترمذي (٣٢٥٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: «قد قال الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام». وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٩١) بلفظ: «استقاموا على لا إله إلا الله».

(٣) في (ف): «حكم».

(١٥) - ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾: أَمَرْناه أن يُحسِنَ إليهما إحساناً.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾؛ أي: بالمشقَّةِ والصُّعوبة، يريدُ: حالةَ ثقلِ الحِمْلِ في بطنها لا في ابتداء الحمل.

﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾؛ أي: بالمشقَّة والصعوبة، الضمُّ والفتحُ لغتان(١).

وقيل: الفتحُ المصدرُ، والضمُّ الاسمُ. وقيل: الفتحُ: المشقَّةُ، والضمُّ: الإجبارُ.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أراد: مدَّةُ حملِه وفصالِه وهو الفطامُ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ذكَر أقَلَّ الحملِ وهو ستةُ أشهرٍ، ونهايةَ الرَّضاعِ وهي حولان؛ لقوله: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] وما يُزاد في إحداهما يَنْقُصُ من الآخَر، وليس هذا حَتْماً واجباً، وللفقهاءِ فيه خلافٌ.

وقال صاحب «النظم»: هذه الآيةُ خاصةٌ لرسولِ الله ﷺ، وكان حملُه ستةَ أشهرٍ(٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ قيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص(٣)، وقد سبق.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان بضم الكاف، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بنصب الكاف. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٤)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٧) عن السدي والضحاك. وقد سبقت في سورة (العنكبوت).

وفي سببِ النزول: عن ابنِ عباس رضي الله عنهما في روايةِ عطاءٍ[١]: أنها نزلتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثماني عَشْرةَ سنةً ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنةً وهم يريدون الشام، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرةٌ، فقعَد رسولُ الله ﷺ في ظلِّ السِّدْرة[٢]، ومضَى أبو بكرٍ إلى راهبٍ هناك يسألُه مِن الدِّين، فقال له: مَن الرجلُ الذي في ظلِّ السِّدرةِ؟ فقال: ذاك محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَّلب، فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، فما استظلَّ تحتها أحدٌ بعد عيسى ابنِ مريمَ إلا محمدٌ نبيُّ الله[٣] صلى الله عليهما، فوقع في قلبِ أبي بكرٍ اليقينُ والصِّدقُ والتصديقُ، فكان لا يكادُ يفارقُ رسولَ اللهِ ﷺ في أسفاره وحضورِه، فلمَّا نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ أربعينَ سنةً وأبو بكرٍ رضي الله عنه ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنةً أسلَمَ وصَدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلَغ أربعينَ سنةً قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ﴾ الآية[٤].

قوله: ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قيل: حدَّ الإسلامِ وبلوغِ التكليف وهو ثماني عَشْرةَ سنةً

---

(١) في هامش (ن): «في مرافقة أبي بكر مع النبي ﷺ ورضي عنه إلى الشام قبل النبوة وإخبار الراهب عن نبوة النبي عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه».

(٢) في (ف): «في ظلها».

(٣) «نبي الله» من (ف).

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٠ ـ ٣٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٧)، من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ساقط، وأكثرُ ما تقع هذه الروايات عندَ الواحديِّ في كتابيه «البسيط» و«الوسيط»، وهذه الأخبارُ ضعيفةٌ واهيةٌ لا يُحتجُّ بها كما بيَّن الحافظ في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٢٠) فقال: ومِن التفاسيرِ الواهيةِ لوَهَاءِ رواتها التفسيرُ الذي جمَعه موسى بنُ عبدِ الرحمن الثَّقَفيُّ الصنعانيُّ، وهو قَدْرُ مجلَّدين يُسنده إلى ابن جُريجٍ عن عطاءٍ عن ابنِ عباس، وقد نَسب ابنُ حبَّان موسى هذا إلى وضعِ الحديثِ، ورواه عن موسى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ الثقفيُّ وهو ضعيف.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ وهو عند كمالِ حُجَّةِ الله عليه، ولهذا خصَّ هذين الوقتين بالذِّكر.

والقولُ في ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ قد سبق.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: أَلْهِمني، تقول: هو مُوْزَعٌ بكذا ومولَعٌ به(١)، وقيل: أصلُه: من المنعِ من الانصراف.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ ولم يكنْ في الصحابةِ مَن أَسْلَمَ وأَسْلَمَ والداه وأولادُه إلَّا أبو بكرٍ رضي الله عنه(٢).

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾؛ أي: في جماعةِ أولادي وتَبَعِهم ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

* * *

(١٦) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾؛ أي: الطاعةَ، والمباحُ لا يثابُ عليه(٣)، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ أي: كبائرِهم بالتَّوبةِ وصغائرِهم بالاستغفار.

﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ﴾؛ أي: وَعَدَ وَعْدَ الصِّدْق ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: في الدنيا، ومعنى ﴿الصِّدْقِ﴾: لا خُلْفَ فيه.

---

(١) في (ف): «أي: مولع به».

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٤٩) من رواية أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٨٣) عن علي رضي الله عنه.

(٣) في هامش الأصل: «قال الشيخ: من أكل الخبز فإنه لا يثاب على أكله، ومن صارع فإنه لا يعاقب ولا يثاب، وعلى ذلك جميع الحلالات والمباحات، وإنما يثاب على فعل أوامر الله، ويعاقب على إتيان نواهيه».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، وهو واقعٌ مَوْقعَ الواحدِ، أو ﴿الذي﴾ واقعٌ موقعَ الجمع.

وقيل: تقديرُه: واذكُرِ الذي قال.

ذهبَ السُّدِّيُّ إلى أنَّ الآية نزلت في عبدِ الرحمن بنِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قبل الإسلام، وأنه كان يقولُ لوالديهِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ وأمِّ رومان: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قَذَراً ونَتْناً[1]، وهي لفظةُ استقذارٍ وطردٍ، وقيل: كلمةُ تبرُّم يُقصَدُ بها إظهارُ السُّخط وقبحِ الردِّ، وقد سبق.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾: أُبْعَثَ ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾: وقد تفانَتِ الأممُ فلم يَرجِعْ أحدٌ منهم إلى الدنيا ولا خَرَج من قبره[2].

﴿وَهُمَا﴾: أبواه ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ ويسألانِه أن يوفِّقه للإيمان، ويقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ باللهِ والبَعْثِ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ وثوابِ المؤمنِ وعقابِ الكافرِ ﴿حَقٌّ﴾: صِدْقٌ ﴿فَيَقُولُ﴾ لهما: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلا أباطيلُ الأوَّلين؛ أي: قد كتبَها الأوَّلونَ لا حقيقةَ لها.

قال السدِّيُّ: فاستجابَ اللهُ فيه دعوةَ أبي بكرٍ رضي الله عنه، فأسلَمَ وحسُنَ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٥).

(٢) في (ف): «غيره».

إسلامُه، ولقد رأيتُه وما بالمدينةِ أعبدُ منه، قال: ولمَّا أسلَم نزلتْ فيه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢][(١)].

وأنكَرَ أكثرُ المفسِّرين هذا؛ لِمَا رُوِيَ عن عائشةَ أنها قالت لمروانَ بنِ الحكم حين خطَب زيادٌ بالمدينة، فأَثْنَى على معاويةَ وردَّ عليه عبدُ الرحمن، فقال مروانُ: هذا الذي قال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ = كذبْتَ، فإنها نزلَتْ في أبيكَ وأخيك.

وفي روايةٍ قالت: والله ما هو به، ولو شئتُ لسمَّيْتُه، ولكنَّ اللهَ لَعَنَ أباكَ وأنت في صُلْبه، فأنت ممَّن لعَنَه الله[(٢)].

قال الزجَّاج: يدلُّ على أنها ليستْ في عبدِ الرحمنِ: أنَّ اللهَ تعالى أَخْبرَ بأنه من أهلِ النارِ في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾[(٣)].

---

(١) تتمة أثر السدي السابق. وهذا القول مردود، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة، وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها هذا القول كما سيأتي، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه»، وسيشير المؤلف لضعف هذا القول لاحقاً.

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ﴾، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري».
وفي رواية النسائي (١١٤٢٧)، والحاكم (٨٤٨٣) بلفظ: «كذب والله، ما هو به، وإن شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروانَ ومروانُ في صُلبه، فمروانُ فضضٌ من لعنة الله».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

قال مجاهدٌ: نزلت في عبد الله بنِ أبي بكر رضي الله عنه... إلى آخرِ القصَّة[1].

الحسن: لم يُرِدْ واحداً بعَيْنه، وإنما هو عامٌّ[2].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ يعني: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

وقيل: حقَّ خبرُ اللهِ أنه لا يُؤْمنُ.

قوله: ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: في جملةِ أممٍ ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾: خَسِروا أنفُسَهم.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ﴾: مراتبُ ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾.

وقيل: على قَدْرِ أعمالهم.

وقيل: أراد: درجاتٌ ودركاتٌ، فاقتصَر على أحدِ الضِّدَّين.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾؛ أي: جزاءَها ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قيل: بعدَ الدُّخولِ، وقيل: قبلَ الدخولِ عند إظهارِ العذابِ لهم.

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾؛ أي: يقالُ لهم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٤٥) بلفظ: «هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المكذب بالبعث».

قُرئ بالاستفهام والخبرِ(١)؛ الاستفهامُ بمعنَى التوبيخِ، والخبرُ هو الوجهُ.

﴿طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾: نِلْتُمْ لَذَّاتِكم وأَصَبْتُم شَهَواتِكُم في الدنيا غيرَ متفكِّرين في حَرامِها وحَلالِها ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾: بمَلاذِّها، والهاءُ تعودُ إلى الدنيا، وقيل: إلى الطيِّبات.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: الذُّلَّ والهَوَان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبَّرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾؛ أي: باستكبارِكم وفِسقِكُم.

وقيل: الطيِّباتُ من الرِّزق: الحلالاتُ التي أنفَقْتُموها في شهواتِكم ولذَّاتِكم ولم تُنْفِقوها في مرضاتِ الله تعالَى وتَقَدَّس.

وقيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ في الآخرةِ بمعاصِيْكم في الحياةِ الدنيا.

وقيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾؛ أي: لذَّاتِ(٢) الدنيا التي نِلْتُموها بما استوجَبْتُم من عذابِ العُقْبى.

وقيل: ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: شبابَكم وقوَّتَكم، من قولِ العرب: ذَهَب أَطْيَباهُ.

المفضَّل: ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: حسناتِ أعمالِكُم بإنكارِكُم بهذه النار.

وعن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال: أنَا أعلمُ بالعَيش، فلو شئتُ لجعلتُ أكباداً وأسنِمةً وصِلاءً وصِنَاباً وصَلَائِقَ، ولكنْ أَسْتَبْقي حَسَناتي؛ لأنَّ الله وصفَ قوماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾؛ الصِّلاء: الشِّواء، والصِّنَابُ: الأصبِغةُ، والصَّلائقُ: الرُّقاقُ العريض [من الخبز](٣).

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين، وسهل ابن كثير الهمزة الثانية، وأدخل هشام عن ابن عامر بينهما ألفاً، وقرأ الباقون على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٩٩).

(٢) في (ن): «بدار».

(٣) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٦٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٧٩)، وابن سعد =

وعن عمرَ رضي الله عنه أيضاً: أنَّ رجلاً دعاهُ إلى طعامٍ فأكل، ثم قدَّم شيئاً حُلواً، فامتنَعَ وقال: رأيتُ اللهَ نَعَى على قومٍ شهواتِهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾، فقال الرجلُ: اقرأْ يا أميرَ المؤمنين[1] ما قَبْلَها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ فلَسْتَ منهم، فأكَلَ وسَرَّه ما سَمِع[2].

* * *

(٢١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هـوداً عليه السلام ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ وكان منهم فسمَّاه أخاهم، وعادٌ قومٌ من العربِ لهم قوَّةٌ وأَيْدٍ ومَنَعةٍ، وكانوا يَنْزِلون الأحقافَ، وهي مَنزِلٌ بين عُمَانَ وحَضْرَمَوتَ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: وادٍ بينَ عُمَان ومَهَرةَ[3].

= في «الطبقات» (٣/ ٢٧٩)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١١٤٦)، من طريق الحسن عن عمر رضي الله عنه، والحسن لم يسمع من عمر رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٦)، وعده من العجائب، وما بين معكوفتين منه، وفسّر القرطبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨) الصناب بأنه الخردل بالزبيب، والصلائق ما يلصق من اللحوم والبقول.

(١) في (ف): «يا عمر».

(٢) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ١٢٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٢). ومَهَرة ـ بالتحريك ـ قيل: بلاد تنسب إليها الإبل، والصواب كما قال ياقوت في «معجم البلدان» (٥/ ٢٣٤): أنها قبيلة، وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، وباليمن لهم مخلافٌ بينه وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت.

الضَّحَّاكُ: جبلٌ بالشام(١).

قتادةُ: رمالٌ مُشْرِفةٌ على البحرِ بالشِّحْر من اليمن(٢).

الحسنُ: أرضٌ خلالَها رملٌ(٣).

والأحقافُ: جمعُ حِقْفٍ، وهو ما استطالَ واعْوَجَّ من الرَّملِ العظيم.

ورُوِيَ عن أميرِ المؤمنين(٤) عليٍّ رضي الله عنه: خيرُ واديَيْنِ في الناسِ وادٍ بمكةَ ووادٍ نَزَل به آدمُ عليه السلامُ بأرضِ هندٍ، وشرُّ واديَيْنِ في الناسِ: وادي الأحقافِ ووادٍ بحَضْرموتَ يُدْعَى: بَرَهُوتَ، يُلْقَى فيها أرواحُ الكفَّار، وخيرُ بئرٍ في النَّاسِ بئرُ زَمْزَمَ، وشرُّ بئرٍ في الناسِ بئرُ بلهوت في ذلك الوادِي الذي بحَضْرَمَوْتَ(٥).

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: مَضَتِ الرُّسلُ ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ قبلَ هودٍ وبعدَه، وهذا اعتراضٌ. ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي لا تَعْبُدوا(٦).

وقيل: قال لهم: ﴿لا تَعبُدوا إلّا اللهَ﴾.

وقيل: هو متصلٌ بـ﴿ٱلنُّذُرُ﴾. وفيه ضعف.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١) بلفظ: «جبل يسمى الأحقاف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢). والشِّحْر: منطقة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ما بين عدن وعمان. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٧).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢) عن الحسن أنه قال: «حشاف من حسمى».

(٤) «أمير المؤمنين» من (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩١١٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٥٠)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١١١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٦) واستغربه.

(٦) أن على هذا القول تفسيرية.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إنْ لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: هائلٍ، يريدُ يومَ القيامة. وقيل: يومَ عذابهم في الدنيا.

* * *

(٢٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قومُ هودٍ: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾: لتَصْرِفنا ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ إلى دِينك، وهذا ما لا يكون ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذابِ الذي تُوْعِدُنا به ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تقولُ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ هودٌ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ بوقتِ مجيءِ العذابِ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ أي: الذي أُمِرْتُ بتبليغِه إليكم، وليس فيه تعيينُ وقتِ العذابِ، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ لاستعجالِكم العذابَ، وقيل[1]: تجهَلون ما يجبُ من الاستماعِ منِّي. وقيل: تَجْهلون مَراشِدَكم.

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾؛ أي: ما وُعِدوا به واستعجَلوه، وهو العذابُ.

---

(١) «وقيل» من (ف).

وقيل: يعودُ إلى غيرِ مذكورٍ[١].

﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ عَرَضَ في نَوَاحِي السَّماء ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ذُكر أنَّ المطرَ كان قد احتبَسَ عنهم فاشتَدَّتْ حاجتُهم، فرأَوْا سحابةً استَقْبلَتْ أودِيَتَهم فقالوا: هذا سحابٌ يأتينا بالمطرِ، فأظهَروا ذلك فرحاً.

ابن عيسى: العارضُ: المارُّ سريعاً لا يَلْبَثُ[٢].

المفضَّل: العارضُ: سحابٌ يعلو الأُفُقَ.

وقوله: ﴿مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: يُمطرُ السحابَ لنا، يقالُ: مَطَرتِ السَّحابُ، وأَمْطَرتِ الريحُ السحابَ.

وقيل: العربُ تسمِّي السحابَ الذي يُرَى في بعضِ أقطارِ السماء عشيًّا[٣]، ثم يصبحُ من الغدِ قد استوى وحبا بعضُه إلى بعضٍ عارضاً[٤].

﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: قال هودٌ: بل هو ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ من العذابِ، ثم فسَّره فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ﴾: تُهْلِكُ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أُمِرَتْ بتدميرِه، والتدميرُ إهلاكُ استئصالٍ، وأصلُه من (دَمَرَ)؛ إذا دَخَل مِن غيرِ إذْنٍ.

وقيل: التدميرُ: أن يُرْمَى بعضُ الشيءِ على بعضٍ حتى يَهْلِكَ.

قوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعودُ إلى الرِّيح ﴿**فأصبحوا لا تَرَى إلَّا مساكنَهم**﴾؛ أي: فصاروا بحيثُ لو حضَرْتَ بلادَهم لا تَرَى إلا مساكنَهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكر نحوه العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ١٨٧) بلا نسبة.

(٣) في (ن): «غيثًا»، والمثبت من (ف) وهو الموافق لما «تفسير الطبري» (٢١/ ١٥٥) والكلام منه.

(٤) وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ. انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٥٥).

وقرئ: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بلفظ المجهول(١).

يقول: فجاءتْهُم الرِّيحُ فدمَّرَتْهم، فلمْ يَبْقَ منهم أحدٌ، وبقيَتْ مساكنُهم خاليةً لا ساكنَ فيها.

وعن النبيِّ ﷺ: «نُصِرْتَ بالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»(٢).

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مَن أَجْرم مِثْلَ جُرْمِهم، وهذا تحذيرٌ لمشركي العرب.

وفي التفسير: فخرجَ هودٌ من بَيْنِ أظهُرِهم، ونزَلتِ الرِّيحُ في شِعْبِ مَوَاشِيْهم فهَلَكَ الرُّعاةُ والأنعامُ، وحلَّقت بهم في السَّماءِ فقذفَتْهم في البحر، ثم تَتبَّعتْ أهلَ البيوتِ فجَعَلتْهم كالرَّميم.

* * *

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: مكَّنَّا عاداً في البلادِ والمالِ والأولادِ ما لم نمكِّنْكُم فيه.

وقيل: ﴿إِن﴾ صلةٌ، والتقدير: مكَّنَّاهم فيما مكَّنَّاكم فيه(٣).

---

(١) قرأ عاصم وحمزة: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ بالياء مضمومة ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ بالرفع، والباقون بالتاء مفتوحة وبالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، واستغربه.

وقيل: ﴿إن﴾ للشرط، وجزاؤه مضمَرٌ تقديرُه: في الذي إنْ مكَّنَّاكم فيه كان بغيُكم أكثرَ. حكاهُ أَقْضَى القُضَاة[1].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾؛ أي: آلاتِ المداركِ والفَهْم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ فلم يُغنِ عنهم شيءٌ ممَّا كنتُ جعَلْتُه لهم ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: لإقامتِهم على الجحودِ بأعلامه الدالَّةِ على التوحيد وصِدْقِ الرسول؛ أي: كانت لهم آلةُ الدَّفْعِ ولم يَقْدِروا على دَفْعِها.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزلَ بهم وأحاطَ بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ جزاءُ استهزائِهم.

وقولُ مَن قال: ﴿وَحَاقَ﴾ بمعنى: حَقَّ، والألفُ بدلٌ من القاف = بعيدٌ ضعيفٌ.

* * *

(٢٧) - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يخاطبُ العربَ ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحِجْرِ ثمودَ، وقرى قومِ لوطٍ، ونحوِها ممَّا كان يجاورُ بلادَ الحجاز، ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ بتكريرِ ذكرِها وإعادةِ أَقاصيصِ الأُممِ الخاليةِ بتكذيبِها وشرْكِها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شِرْكِهم.

وقيل: تصريفُ الآياتِ للعرب المخاطَبين دون الماضِين.

وقيل: للماضِينَ. وهو أظهرُ؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

* * *

(٢٨) - ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٨٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٧)، وعده من العجائب.

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلَّا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾؛ أي: اتَّخذوهم آلهةً، فـ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ المفعولُ الثاني، و﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولٌ له[1]؛ أي: للقُرْبةِ بزَعْمِهم.

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾: هَلَكوا عنهم فلم يجدُوهم عند حاجتِهم إليه لدَفْعِ عذابِ الله عنهم، ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: وهذا محصولُ إفكِهم وتوقُّعِهم لشفاعةِ النصرةِ مِن عندهم، وقيل: ذلك عاقبةُ إفكِهم وافترائهم.

* * *

(٢٩) - ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ ومعنى: ﴿صَرَفْنَآ﴾: صيَّرْناهم إليك، وقيل: سبَّبْنا ذلك، وقيل: ألجَأْناهم.

وقيل: وفَّقناهم بصَرْفنا إياهم عن بلادِهم إليك.

والجمهورُ على أنَّ سببَ ذلك: ما حَدَث من طَرْدِهم عن السَّماء برَجْمِهم بالشُّهُب، وكانوا قبلَ ذلك يقعُدون منها مَقاعِدَ للسَّمْع، وقالوا: لم يَحدُثْ هذا في السَّماء إلا بحادثٍ في الأرض، فتَتبَّعوا[2] ذلك فوافَقُوا النبيَّ ﷺ بنَخْلةَ يُصلِّي بأصحابه؛ فمنهم مَن قال: كان يصلِّي صلاةَ العشاءِ الآخرةِ، ومنهم مَن قال: كان يصلِّي صلاةَ الصبحِ، فقرأ فيها سورةَ ﴿ٱقْرَأْ﴾[3].

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨): «الغريب: فيه تقديم وتأخير، أي: اتخذوا آلهة قربانًا. العجيب: مصدر، وقيل: مفعول له».

(٢) في (ف): «فتتبعون».

(٣) روى معنى ما تقدم البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين =

وقيل: كان يصلِّي وحده.

ثم من المفسِّرين مَن قال: لم يكن ذلك بعِلْمٍ منه عليه السلامُ، حتى أوحَى اللهُ تعالى إليه فأَخبرَه بما كان منهم(١).

ومنهم مَن قال: بل أُمِرَ ﷺ بذلك، فقال لأصحابه: «إنِّي أُمِرْتُ أن أقرأَ القرآنَ على الجنِّ فأيُّكم يَتْبَعني؟» فأطرَقوا، قالها ثلاثاً، فاتَّبَعه ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، فدخَل رسولُ الله ﷺ شِعْبَ الحَجُون، وخطَّ على ابنِ مسعودٍ وقال له: «لا تَبْرَحْ حتَّى آتِيَكَ»(٢).

= خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة ـ وهو بنخل ـ عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢] فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾».

(١) رواه مسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم... وانظر باقي الحديث في التعليق السابق.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٦٢). وإسناده ضعيف لجهالة أبي زيد مولى عمرو بن حريث المخزومي. وانظر: «الدراية في تخريج الهداية» لابن حجر (١/ ٦٦).

ورواه الإمام أحمد أيضاً من طريق آخر (٣٧٨٨)، وله روايات أخر تنظر في حواشي «المسند» ولا يخلو كل منها من مقال، وهي تخالف ما صح عند مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود: أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، وأنه قال: لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ، ووددت أني كنت معه. وفي رواية: قال علقمةُ: أنا سألتُ ابنَ مسعودٍ فقلتُ: هل شَهِدَ أحدٌ منكم مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الجنِّ؟ =

ورُوِي عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنه قال للنبيِّ ﷺ: لمَّا خَشِيْتُهم كدتُ أذهبُ، فتذكَّرْتُ قولَكَ لي: لا تَبْرَحْ، فقال له عليه السلام: «لو ذهبتَ ما الْتَقَيْنا إلى يومِ القيامة»(١).

ورُوي عن ابنِ مسعود رضي الله عنه: أنه رأى رجالاً من الزُّطِّ طِوالاً شُمْطاناً سوداً، فقال: هم أشبهُ شيءٍ بالجنِّ الذين(٢) قرأ عليهم النبيُّ عليه السلام القرآنَ(٣).

ورُوِيَ عنه رضي الله عنه: أنه قال: فسمعْتُ لغَطًا شديداً حتى خِفْتُ على رسولِ اللهِ ﷺ، ثم علا القرآنُ أصواتَهم، فلمَّا رجَعَ رسولُ الله ﷺ سألْتُه عن اللَّغَط فقال: «اختَصَموا إليَّ في قتيلٍ كان بينَهم فقضَيْتُ بينَهم»(٤).

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنه قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «أَمَعَكَ ماءٌ؟» قلتُ: يا رسولَ الله، معي إداوةٌ فيها شيءٌ من نبيذ التَّمْر، فاستدعاه فصَبَبْتُ على يدِه فتوضَّأ وقال: «تمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهور»(٥).

= قال: لا... الحديث.

قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٢/ ٣٦٢): وقول ابن مسعود: «إنه لم يكن منهم أحد مع النبي ﷺ ليلة الجن» يردُّ الحديث الآخر المذكور فيه حضوره معه، وهذا الحديث أثبت.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦) عن عكرمة.

(٢) في (ف): «الذي».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٥٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٧) عن قتادة مرسلًا.

(٥) رواه أبو داود (٨٤)، والترمذي (٨٨)، وابن ماجه (٣٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وقال الترمذي: «وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ؛ منهم سفيان وغيره، وقال بعض أهل العلم: لا يتوضأ بالنبيذ، وهو قول الشافعي، وأحمد، =

واختلفوا في عَدَدِهم:

ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا تسعةً من جنِّ نَصِيبِين[١].

وقيل: من أهلِ نِيْنَوَى.

عكرمةُ: كانوا عشرةً من جزيرةِ المَوْصِل[٢].

زرُّ بنُ حُبَيْشٍ: كانوا تسعةً، وفيهم زوبعةُ[٣].

مجاهدٌ: كانوا سبعةً؛ ثلاثةً من نجرانَ، وأربعةً من نَصِيْبِينَ، وعدَّ أسماءهم[٤].

وقيل: كانوا سبعينَ من بني إقليتَى[٥]، وفيهم زوبعةُ.

وإسحاق، وقال إسحاق: «إن ابتلي رجل بهذا فتوضأ بالنبيذ وتيمم أحب إلي»، وقول من يقول: لا يتوضأ بالنبيذ، أقرب إلى الكتاب وأشبه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٣٥٤): «وهذا الحديث أطبق علماء السلف على تضعيفه وقيل على تقدير صحته: إنه منسوخ؛ لأن ذلك كان بمكة ونزول قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ إنما كان بالمدينة بلا خلاف، أو هو محمول على ماء ألقيت فيه تمرات يابسة لم تغير له وصفًا...».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥) بلفظ: «كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلًا إلى قومهم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦) بلفظ: «هم اثنا عشر ألفاً جاؤوا من جزيرة الموصل». وهكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦). وجاء في هامش (ن): «زوبعة ابن إبليس».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨)، واستغربه.

(٥) في (ف): «إقليثى»، وفي «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٩٨): «أقليش».

قال القفَّالُ: والذي في ظاهرِ الكتابِ: أنَّ الله تعالى صرفَ نَفَراً من الجنِّ يستمعون القرآن، وليس في شيءٍ من ذلك أنهم خاطَبُوه ولا خاطَبَهم هو، وإنما فيه أنهم استَمَعوا القرآنَ فآمَنوا، ورَجَعوا إلى قومِهم فأَعْلَموهم وأَنْذَروهم.

ورُوي: أنَّهم خاطَبوا النبيَّ ﷺ فسألوه أشياءَ، منها أنهم قالوا: يا رسولَ الله، إنَّ الأرضَ التي بيننا وبينكَ مَحْلٌ لا تُنْبِتُ عوداً[١]، فأعطاهم رَوْثةً وعَظْماً وقال: «لكمْ بالرَّوثةِ كلَّ تربةٍ تمرُّون بها خراباً مِثْلُها يومَ كانتْ مُخْصِبةً، ولكم بكلِّ عظمٍ مرَرْتُم به مِثْلُه يومَ كان عليه اللحمُ»، فمِن ثَمَّ نَهَى أنْ يُستنَجَى بروثٍ أو عظمٍ[٢].

ثم بَعَثَهم رسولُ اللهِ ﷺ إلى سائرِ الجنِّ منذِرين، فكانوا رُسُلَ رسولِ الله.

---

(١) في (ف): «لا ينبت»، «عوداً»: ليس في (ف).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى البخاري (٣٨٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا».

وروى الترمذي (٣٢٥٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفيه: «أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم» قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ـ قال الشعبي ـ وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة، فقال: «كل عظم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم» فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما زاد إخوانكم من الجن». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه أبو داود (٣٩) عن عبد الله بن مسعود، قال: قدم وفد الجن على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، انه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو حممة؛ فإن الله تعالى جعل لنا فيها رزقًا، قال: «فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك».

وقيل: لم يكونوا رسلاً، بل كانوا منذِرين، ولم يَبْعثِ الله رسولاً إلى الثَّقَلين إلا محمداً ﷺ.

قوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾؛ أي: محمداً، وقيل: القرآنَ، وقيل: استماعَ القرآن ﴿قَالُوٓاْ﴾: قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿أَنصِتُواْ﴾ لسماعِ القرآن ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: فَرَغ النبيُّ ﷺ من القراءة ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ قيل: مُعلِّمين[1].

وقيل: منذِرين إيَّاهم برسولِ الله ﷺ.

***

(٣٠) ـ ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾: قرآناً ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ذهَبَ بعضُهم إلى أنَّهم كانوا هوداً ولهذا قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾.

ابن عباس: كانت الجنُّ لم تسمعْ أمرَ عيسَى عليه السلام، ولذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[2].

﴿مُصَدِّقًا﴾: مُوافقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكُتُب ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى دينِ الحقِّ، وقيل: إلى[3] اللهِ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

***

---

(١) في (ف): «مسلمين».

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٦) نقلًا عن كتاب الثعلبي، ولم يرد في «تفسير الثعلبي».

(٣) في (ف) زيادة: «دين».

(٣١) ـ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: محمداً ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كَفَرَ بمحمدٍ ﷺ ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بأنْ لا يَلْحَقَه عذابٌ ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ يمنعُونه منه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

* * *

(٣٣) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ قيل: لم يتعبْ، وقيل: لم يَعْجزْ، وقيل: لم يَذْهَبْ عليه وجهُ الحكمةِ في خَلْقه، من قولك: عَيِيْتُ بهذا الأمر؛ إذا لم تعرفْ وجهَه وتحيَّرْتَ فيه.

﴿بِقَٰدِرٍ﴾ قيل: الباءُ دخلَ خبرَ ﴿أَنَّ﴾ زيادةً، ومثلُه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦][(١)].

وقيل: دخلَ للتعجُّبِ؛ كقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٦]، وهذا مزيَّف[(٢)]، والباءُ دخلَ لمكانِ النَّفْي في أول الكلام، ولأنَّ المعنى: أليس اللهُ بقادر؟

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٠)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٠)، وعده من العجائب.

﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ﴾ جـوابٌ للنَّفْـي ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ مـن الإحيـاءِ والإماتـةِ ﴿قَدِيرٞ﴾: قـادرٌ بذاتِـه.

* * *

(٣٤) - ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فيقالُ لهم: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: هذا الجزاءُ حقٌّ لا باطلٌ.

وقيل: معناه: أليس هذا بمستحَقٍّ لكم؟

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترَفوا به وحلَفوا عليه.

﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾: بكُفْرِكم في الدُّنيا.

* * *

(٣٥) - ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمدُ على أذَى قومِكَ[1] وعلى إقامتِهم على تكذيبِكَ ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: من رسلِ اللهِ الذي أنت من جملتِهم.

والعزمُ: توطينُ النفسِ على الفعلِ مع البصيرةِ.

وقيل: العزمُ: القوَّةُ والثَّبات.

والمحقِّقون على أنَّ جميع رسلِ الله أُولو العَزْم[2].

---

(١) في (ف) زيادة: «لك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٧٧) عن ابن زيد.

و﴿مِنَ﴾ في الآيةِ للتبيينِ لا للتَّبعيض؛ كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وذهب بعضُهم إلى أن أولي العَزْم: نوحٌ وإبراهيمُ وموسَى وعيسى ومحمدٌ عليهم السلام[(١)].

السُّدِّي: الذين أُمروا بالقتالِ من الرسل[(٢)].

أبو العاليةِ: كانوا ثلاثةً رابعُهم[(٣)] محمدٌ: نوحٌ وإبراهيمُ وهودٌ ومحمدٌ عليهم السلام[(٤)].

وقيل: هم الذين أُوْذُوا في سبيل الله.

وقيل: هم أصحابُ الشرائعِ.

ابن جُريجٍ: ليس منهم يونسُ؛ لقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، ولا سليمانُ، ولا آدمُ عليهم السلام؛ لقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥][(٥)]، وقد سَبَق في موضِعِه.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لا تسألِ اللهَ أنْ يُعجِّلَ عذابَهم وإهلاكَهم.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي: يَرَون العذابَ في القيامة، وقيل: في الدنيا.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: أقلَّ ما يكونُ من الزَّمان، استقصَروا تلك المدَّةَ لِمَا دُفِعوا إليه من العذابِ في الدنيا. وقيل: في القبر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٧٧) عن عطاء الخراساني.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨).

(٣) في (ف): «ربعهم».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

وقيل: في القيامة.

وقيل[١]: يُنسيْهم هولُ ما ينزلُ بهم مدةَ اللَّبْث.

﴿بَلَٰغٌ﴾ قيل: هذه السورةُ بلاغٌ تَبْلُغُ[٢] الكفايةَ في الحاجةِ لِمَن تَدبَّرَ.

الحسن: القرآنُ بلاغٌ[٣].

وقيل: ذلك اللَّبْثُ بلاغٌ.

وقيل: ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ بلاغٌ؛ أي: يسيرةٌ.

وقيل: هو بلاغٌ؛ أي: الإتيانُ بالرسالة بلاغٌ؛ أي: إذا بلَّغْتَ فقد فعَلْتَ ما وَجَب عليك.

ووقَفَ أبو حاتمٍ على قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ على تقديرِ: لهم بلاغٌ؛ أي: وقتٌ يبلغون إليه[٤].

و﴿بَلَٰغٌ﴾ مبتدأٌ و﴿لَّهُمْ﴾ خبرُه، وما بينهما اعتراضٌ قائمٌ بنفسِه متَّصلٌ به في المعنى.

وقيل: ﴿بَلَٰغٌ﴾ واقعٌ موقعَ: بَلِّغْ.

قيل: إنها منسوخةٌ بآيةِ السيف.

وقيل: مُحْكَمةٌ[٥].

---

(١) «وقيل» من (ن).

(٢) في (ف): «يبلغ».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

(٤) ذكره أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٩٥) عن قوم لم يسمهم، ثم تعقبه بقوله: «وهذا خطأ؛ لأنك قد فصلت بين «البلاغ» وبين اللام ـ وهي رافِعَتُه ـ بشيءٍ ليس منهما».

وذكر نحوه الداني في «الوقف والابتدا» (ص: ١٩٧).

(٥) «وقيل محكمة» ليس في (ن).

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المشـركون؛ أي: فلـن يُهْلَكَ بعـدَ هذا البلاغِ بعـذابِ اللهِ إلا مَـن خَرَج عـن[1] طاعةِ الله.

قيل: هي أرجَى آيةٍ في الرَّحمة.

وعن مقاتلٍ: أنها نزلتْ يومَ أحدٍ[2].

وصلَّى الله على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِه أجمعين[3].

* * *

(١) في (ف): «من».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٩).

(٣) «وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين»: ليس في (ف).

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد ﷺ

ويقالُ لها: سورةَ القتال.

ثمانٍ وثلاثون آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

ابن عباس وقتادة: إلا آيةً نزلَتْ حين خرجَ رسولُ الله ﷺ من مكةَ فنظر إليها حزناً عليها، وهي قولُه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ الآية [محمد ١٣][2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: مَنَعوا الناسَ عن الإيمانِ، صدُّوا وامتَنَعوا

---

(١) «ثمان وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٢٨)، وفيه: «وهي ثلاثون وثماني آيات في الكوفي، وتسع في المدنيين والمكي والشامي، وأربعون آية في البَصريّ، اختلافها آيتان ﴿أَوْزَارَهَا﴾ لم يَعُدَّها الكوفي وعدَّها الباقون، ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ عدَّها البَصري ولم يعدها الباقون». ولم يذكر الداني سوى القول بمدنيتها، وهو ما صححه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير». وقال هبة الله في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٦٥): «وهي من السُّور المُختَلَف في تنزيلها، فقالت طائفة: نزلت بمكة، وهو مَرويّ عن السّدي والضحاك، وقال آخرون: نزلت بالمدينة، وهو مرويّ عن مجاهد، وهي إلى تنزيل المدينة أشبه، والله أعلم».

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٠)، ورواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٢٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

عـن الإيمـان صـدوداً، ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: جَعَلهـا ضَـلَالاً علـى غيـرِ هُدًى.

وقيل: أبطَلَ كيدَهم بالمؤمِنين.

وقيل: أبطَلَ ثوابَها وصيَّرَها عقاباً.

وقيل: أبطَلَ صِلَتَهُمُ الأرحامَ، وإطعامَهُمُ الطعامَ، وعِمَارتَهُمُ المسجدَ الحرام.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنها نزلَتْ في المطعِمِينَ يومَ بدرٍ(١).

مقاتلٌ: كانوا اثني عشرَ رجلاً(٢).

النقَّاش: هم أبو جهلٍ، وعتبةُ، وشيبةُ، والوليدُ بنُ عتبةَ، وعقبةُ بن أبي مُعَيطٍ، وأميَّةُ بنُ خَلَفٍ، ومُنبِّهٌ، ونبيهٌ، وحَكيمُ بنُ حزامٍ، وزَمعَةُ بنُ الأسودِ، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نوفلٍ، وأبو البَخْتَرِيِّ، كانوا يصدُّون الناسَ عن الإيمانِ ويأمُرونهم بالكفر.

وسبيلُ الله: كلُّ ما أُريدَ به وجهُ الله.

* * *

(٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالمُواساةِ؛ يعني: الأنصارَ.

وقيل: بالهجرة، يعني: المهاجرين.

وقيل: هم المهاجرون والأنصارُ.

وقيل: هو عامٌّ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢١١) عن الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣)، وقد سماهم، وهم الذين عدهم النقاش فيما سيأتي.

﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ لأنَّه ناسخٌ لسائرِ الكتبِ، والناسخُ حقٌّ.

وقيل: ﴿هو﴾ يعودُ إلى محمدٍ ﷺ.

وقيل: يعودُ إلى إيمانهم.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: غفَرها لهم وستَرها عليهم.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: شأنَهم في دِينهم ودُنياهم، والبالُ لا يثنَّى ولا يُجمَعُ[1].

النقَّاش: ﴿بَالَهُمْ﴾: قلوبَهم؛ أي: أمْرَ دِينهم، وأنشدَ:

لـو كنـتُ مـن بالِـكَ لم تَنْسَنـي لـكـنَّـنـي لم أكُ مِـن بالـكا[2]

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الإضلالِ والإصلاحِ ﴿بِأَنَّ﴾: بسببِ أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ﴾: الشيطانَ ووساوِسَه، ﴿وَأَنَّ﴾: وبأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ محمداً والقرآنَ ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾: يبيِّنُ اللهُ ﴿لِلنَّاسِ﴾: محمدٍ ﷺ، وقيل: عامٌّ ﴿أَمْثَـٰلَهُمْ﴾: أمثالَ حَسَناتِ المؤمنينَ وسيِّئاتِ الكافرين.

وقيل: ﴿أَمْثَـٰلَهُمْ﴾: صفاتِ أفعالِهم.

وقيل: إخبارُه عن الفريقينِ بغيرِ تصريحِ مثَلٌ مضروبٌ لهما؛ لأنه مَثَلٌ لحالهما، وهذا حقيقةُ ضَرْبِ المَثَل.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠١)، واستغربه. في هامش (ن): «قال الشيخ: إذا أردت بالبال القلبَ فتدخل عليه التثنية والجمع».

(٢) لم أقف عليه.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في دارِ الحرب، وقيل: في القتالِ ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: فاضْربوا أعناقَهُم، وخَصَّ الرِّقابَ لأنَّه لا يعيشُ بعدَه.

وقيل: هذا تعليمٌ للقتلِ[1].

وقيل: كنايةٌ عن القتلِ بالسِّلاح[2].

و﴿ضَرْبَ الرِّقابِ﴾ مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: ظَفِرْتُم بهم وأكثَرْتُم فيهم القتلَ وثَقُلَ أَمْرُكم عليهم، وأصلُ الثخنِ: الثِّقَلُ.

﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾: ائسِرُوهم وشُدُّوهم بالحبالِ والسُّيُور المحكَمةِ الوَثيقة.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾؛ أي: إمَّا أنْ تَمنُّوا عليهم بعفوٍ من غيرِ عِوَضٍ، وإمَّا أنْ تُفَادُوهم فداءً بمالٍ.

وقيل: ﴿مَنًّا﴾ بالعِتق ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ بالبيعِ.

و(الفِداءُ) هاهنا: مصدرُ (فادَى) فهو ممدودٌ ومكسورٌ، وإذا كان من (فَدَيْتُ) جازَ فيه المدُّ مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً، وجازَ القصرُ مفتوحاً لا غير[3].

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ متَّصلٌ بالقتلِ والأسر.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «المقصور والمحدود» للقالي (ص: ١١٢).

الحسن: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: فضَرْبَ الرِّقابِ حتى تَضَع الحربُ أوزارَها[١].

والمعنى عند الفرَّاءِ: حتى تضعَ حربُكم أوزارَ كفرِهم بالإسلام؛ أي: آثامَهم، فلا يبقَى إلا مسلمٌ أو مسالمٌ[٢].

قتادةُ: حتى لا يكونَ شركٌ[٣].

مجاهدٌ وسعيدٌ: حتى يَخرجَ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام[٤].

وروَى أبو هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يوشِكُ مَن عاش منكم أن يَلْقَى عيسَى إماماً هادياً وحَكَماً عَدْلاً يَكْسِرُ الصَّليبَ ويَقتُلُ الخنزيرَ، وتضعُ الحربُ أوزارَها حتى تدخُلَ كلمةُ الإخلاصِ كلَّ بيتٍ مِن وَبَرٍ أو مَدَرٍ بعزِّ عزيزٍ أو ذلِّ ذليلٍ، ويَبْتَزُّ قريشاً الإمارةَ»[٥]؛ أي: يَنْزِعُها عنهم.

---

(١) ذكره عن الحسن القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٧). وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٣٦) من قول يحيى، وليس في المطبوع من «تفسير يحيى بن سلام» فإنه ينتهي بسورة (الصافات).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٨).

(٤) ذكره عنهما النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٦٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٨). ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، واستغربه.

(٥) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٠٩)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٨٢٤) موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥٩٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفًا عليه. وفي جميع هذه الروايات: «وتبتز قريشٌ الإمارة» بالتاء في «تبتز»، والرفع في كلمة «قريش»، فلعل «تُبْتَزُّ» مبني للمفعول فيوافق ما شرح المؤلف.
وأصل الحديث رواه البخاري (٢٤٧٦)، ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد».

وقيل: حتى يَضَعَ أهلُ الحربِ أوزارَ الحربِ، وهي السلاحُ، وفسَّره الأعشى رماحاً وخيلاً ودروعاً[١].

وقيل: حتى تَضَعَ الحربُ ثِقلَها عنكم وتَخِفَّ عليكم.

وقيل: الحربُ جمعُ حارِبٍ، فلا يُحتاجُ إلى إضمارِ الأهل[٢].

وفي النسخِ أقوالٌ:

قال بعضُهم: الآيةُ منسوخةٌ، وهي في أهل الأوثانِ؛ لا يجوزُ أن يفادَوا ولا يمنَّ عليهم، والناسخُ لها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

وقال بعضُهم: هي ناسخةٌ، ولا يجوزُ أن يُقتلَ الأسير، ولكنْ يُمنُّ عليه أو يُفادَى.

وقال بعضُهم: لا يجوزُ الأسرُ إلا بعدَ الإثخانِ والقتل، فإذا أُسرَ العدوُّ بعدَ ذلك فللإمامِ أن يَحْكُمَ فيه بما يَرَى من قتلٍ أو منٍّ أو مُفاداةٍ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الحكمُ فيهم ذلك، فهو مبتدأٌ وخبرٌ.

وقيل: افعَلْ بهم ذلك، فهو نصبٌ.

﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ بغيرِ قتالٍ، أو بغيرِكم، أو بالملائكة، أو يسلِّطُ عليهم أضعفَ خَلْقِه.

---

(١) وهو قوله:

وأَعـدَدْتَ للحرب أوْزارَهَـا ... رِمَاحاً طِـوالاً وخَيْـلاً ذكُـورَا

انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٣٨١)، و«السلاح» لأبي عبيد (ص: ٣٠)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٩٢١)، و«غريب القرآن» له (ص: ٤٠٩)، و«الصحاح» مادة: (و ز ر).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، وعده من العجائب.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: يَمتَحِنكم بمقاتلةِ الكفارِ ليَظْهَرَ المُحِقُّ من المُبْطِلِ، فيجازِيَكم على ما يَظْهَرُ.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشهداءُ، وقُرئ: ﴿قاتلوا﴾[1] أي: المجاهدون، ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ خلافَ الكفار.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الثوابِ؛ يعني: الشهداءَ.

وقيل: يثبِّتُهم على الهداية؛ يعني: المجاهدين.

وقيل: سيَهْدِيهِم إلى جوابِ المنكَرِ والنَّكيرِ في القبر.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: أمرَ معاشِهِم في الدُّنيا، وقيل: حالَهم في النَّعيم، وكرَّر لأنَّ الأولَ سببُ النعيم، والثاني نفسُ النعيم.

ويحتمِل على قياسِ قولِ النَّقَّاش: قلوبَهم بإخراجِ الغِلِّ منها[2].

* * *

(٦) ـ ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ جَعَل كلَّ واحدٍ يَعرِفُ منزِلَه من الجنَّة.

وقيل: يعرِّفُها لهم الحَفَظةُ.

ابن عيسى: عرَّفها بوَصْفِها على ما يشوِّقُ إليها؛ ليَعْمَلوا بما يَستَوْجِبونها[3].

وقيل: عرَّفهم حالَ الجنةِ ومآلَهم فيها بما وصَفَها به في القرآن.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿قُتِلوا﴾ بضم القاف وتخفيف التاء، والباقون: (قاتَلوا). انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٣)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٤).

وقيل: طيَّبها لهم، من (العَرْفِ)، وهو: الرِّيحُ الطيِّبةُ التي تَقْبلُها النَّفْسُ.

وقيل: عرَّف أهلَ السماءِ أنها لهم، حكاهُ الماورديُّ[١].

وقيل: عرَّف أن طريقَ الوصولِ إليها بالحسَنات[٢].

* * *

(٧) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: نبيَّ اللهِ بالجهادِ معه لإظهارِ دينِ اللهِ ﴿يَنصُرۡكُمۡ ﴾ على عدوِّكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ يشجِّعْكم ويقوِّ قلوبكُم[٣] فتَثْبُتُوا وتُنْصَروا.

وقيل: يُثبِّتْ أقدامَكم على الصِّراط.

قتادةُ: حقٌّ على اللهِ أنْ يَنصُرَ مَن نَصَره؛ لقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾، وأن يزيد مَن شَكَره؛ لقوله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأن يذكُرَ مَن ذكَره؛ لقوله: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وأنْ يُوْفيَ بعهده؛ لقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾[٤].

* * *

(٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ في الدُّنيا بالقتلِ، وفي العُقبَى بالتردِّي في النار؛ أي: عِثَاراً لهم، ضدَّ الانتعاشِ[٥] وتثبيتِ الأقدام.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٤)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الحسنات».

(٣) في (ن): «ويقويكم».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ١١٠٤).

(٥) كذا في النسختين، ولعله «الانتصار» فتصحف، والله أعلم.

وقيل: ﴿تَعْساً﴾: هلاكاً، وكَسْراً، وحُزناً، وبُعْداً، وشقاءً، وشتمًا، وخَيبةً، وقُبحاً، ورغماً، هذا كلُّه كلامُ المفسِّرين، والوجهُ هو الأولُ، والمعنى: أَتْعَسَهم اللهُ فتَعِسوا تَعْساً(١)، ولهذا عَطَف عليه بالفعل فقال: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: التي لولا كفرُهم لكانتْ حسَناتٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّعْسُ والضَّلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسببِ أنَّهم ﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: استثْقَلوا القرآنَ ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فلم ينالوا بها خيراً.

ابنُ عيسى: إنَّما كرِّر ليكونَ كلَّما ذُكِروا وُصِلَ ذكرُهم بالذَّمِّ والتحقيرِ والإخبارِ بسوءِ الحال.

* * *

(١٠) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: كفَّارَ أمَّتِكَ ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: سِيروا، وقيل: بمعنى الخبَرِ؛ أي: ساروا في الأرضِ، فهلَّا اعتبَروا بما رأَوا من سوءِ عاقبةِ مَن تقدَّمَهم ممَّن فَعَلوا فِعْلَهم؟

وقيل: هلَّا قَرَؤوا القرآنَ؛ ليَعْرِفوا حالَ مَن تَقَدَّمَهم فيعتبروا(٢)؟

---

(١) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١١٠٤): «الغريب: تعسوا تعسًا؛ لأن العرب تقول: تعسه الله ـ بالفتح ـ فتعس ـ بالكسر ـ، ومثله: سعده الله فسعد».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٥)، واستغربه.

قولُه: ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ جزماً على العطفِ[1]، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً على الجواب.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أهلكَهُم هلاكَ استِئْصالٍ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾: ولمشْركي قريشٍ ﴿أَمۡثَٰلُهَا﴾: أمثالُ تلك العقوباتِ وتلك العاقبةِ.

* * *

(١١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى النصرِ والتَّعْسِ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: وليُّهم وناصِرُهم ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾؛ لا مِن الله سبحانه، ولا مِن غيرِه.

وسأل عليٌّ رضي الله عنه ابنَ الكوَّاء: مَن ربُّ السماوات؟ فقال: اللهُ، فقال: مَن مولَى الناسِ؟ فقال: اللهُ، فقال: كذَبْتَ؛ اللهُ ﴿مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾[2].

المبرِّد: اللهُ مولَى العبدِ من ثلاثةِ أوجُهٍ: الاختراعُ، ومِلْكُ التصرُّفِ فيه ـ وهو غيرُ الاختراعِ ـ، والنُّصرةُ والولايةُ، فهو وليُّ المؤمنين والكافرين من جهةِ الاختراعِ والتصرُّفِ فيهم، ومولَى المؤمنينَ خاصةً من جهةِ النُّصرةِ والولايةِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ كلُّ ماءٍ اغترفْتَ

---

(١) في (ن): «اللفظ».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٢)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/ ٢٩٨).

منه فهو تَحْتَكَ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ بنعيمِ الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ شبَّههم بالأنعام لأَكْلهم بالشَّرَه والنَّهَم، ولجَهْلِهم عاقبةَ أمرِهم وما يجبُ عليهم معرفتُه، ولتركِهم الاستدلالَ بالآيات، ولأنَّ الأكلَ على وجهَينِ؛ أكلَ الشهوةِ والمصلحةِ وهو أكلُ العاقلِ، وأكلَ الشهوةِ فقط وهو أكلُ الأنعامِ والبهائم.

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ يجوزُ أن يكونَ ﴿مَثْوًى﴾[1] في محلِّ رفعٍ بالخبر، ويجوزُ أن يكونَ في محلِّ نصبٍ بالحال و﴿لَّهُمْ﴾ الخبر[2].

***

(١٣) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكم من قريةٍ، فهي للتكثيرِ، والمعنى: أهلِ قريةٍ ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾؛ أي: أخرجَكَ أهلُها ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بأنواعِ العذابِ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: لم يكنْ لهم مَن ينصرُهم ويدفعُ العذابَ عنهم.

وقيل: لا ناصرَ لهم الآنَ فيَنْتقِمَ لهم.

***

(١٤) ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: على حُجَّةٍ وبرهانٍ وعقلٍ وتِبْيانٍ.

قيل: هو محمدٌ ﷺ، والبيِّنةُ القرآنُ.

وقيل: هم المؤمنون، والبيِّنةُ معجزةٌ للنبيِّ[3].

---

(١) في (ف): «المثوى».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٥)، واستغربه.

(٣) «من قوله: على حجة وبرهان...» إلى هنا ليس في (ف).

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: زَيَّنَ له الشيطانُ وسوَّلَتْ له نَفْسُه ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ جُمِعَ على معنَى (مَن).

وقيل: هم جميعُ الكفَّار.

وقيل: الاثنا عَشَرَ الذين تقدَّم ذكرُهم.

وقيل: هم المنافقون.

* * *

(١٥) - ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ المَثَلُ والمِثْلُ واحدٌ.

﴿ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وُعِدُوها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الحج: ١٤]، و﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أمَّةُ محمدٍ ﷺ.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾؛ أي: جنةٌ فيها أنهارٌ، فحُذف الموصوفُ وأُقيمَتِ الصفةُ مُقامَه، وفيه ضعفٌ عند سيبويه(١).

وأكثرُهم على أن معنى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩] فيكونُ أيضاً مبتدأً خبرُه محذوفٌ، والتقدير: صفةُ الجنةِ فيما نَقُصُّ عليكم، ثم شَرَع في قصَّتها.

وقيل: المَثَلُ زيادةٌ كما يُزَادُ المِثْلُ، والتقدير: الجنةُ التي وُعِدَ المتَّقون فيها أنهارٌ(٢)، فـ(الجنةُ) مبتدأٌ و﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ خبرُه.

---

(١) مذهب سيبويه في هذه الآية أنها مبتدأ خبره محذوف، وهو ما نقله المصنف عن الأكثر. انظر: «الكتاب» (١/ ١٤٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

الكسائيُّ: مَثَلُ أصحابِ الجنَّة كمَن هو خالدٌ في النار[1].

﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ﴾: جمعُ نَهر.

ابن بحرٍ: يجوزُ أن يكونَ المرادُ بها الأنهارَ[2] المعروفةَ، ويجوزُ أن يكونَ عبارةً عن كثرةِ هذه الأشياءِ وسَعَتِها فيها[3].

﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾؛ أي: غيرِ متغيِّرِ الرِّيحِ والطَّعْمِ واللَّون، من قولهم: أَسِنَ الرجلُ؛ إذا أُغْشي عليه من ريحِ خبيثةٍ، و﴿أَسِنٍ﴾بالقَصْرِ[4] في الحال، و﴿ءَاسِنٍ﴾ بالمدِّ في المآل، كما تقولُ: عَوِرٌ وحَوِلٌ اليومَ، وعاوِرٌ وحاوِلٌ غداً.

﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ إلى حموضةٍ وغيرِها ممَّا يعترِي الألبانَ في الدُّنيا؛ لأنه لم يَخرُجْ من ضَرْعٍ، ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: لذيذٍ طعمُها.

المبرِّد: شرابٌ لَذٌّ ولذيذٌ كطَبٍّ وطَبيبٍ، فتكونُ التاءُ لتأنيثِ الخمر.

وقيل: مصدرٌ، وتقديرُه: خمرٍ ذاتِ لذَّةٍ تُطْرِبُ ولا تُسْكِرُ ولا تصدِّعُ، وليس بحامضٍ ولا مرٍّ ولا مُنْتِنٍ؛ لأنها لم تُعْصَرْ بالأيدي والأرجُل.

﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ من الشَّمع والرُّغوةِ والعَكَر والكَدَر؛ لأنه لم يخرجْ من بطنٍ، ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ممَّا يُعرَفُ وما لا يُعْرَف، ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: وسترُ الذنوب وتركُ العتابِ والتذكير، وفيه كمالُ لذَّاتِهم، جَعَلَنا اللهُ من أهلِ الجنةِ بسَعَةِ طَوْلِه إنه جوادٌ كريم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «المراد بالأنهار» والمعنى واحد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، وعده من العجائب.

(٤) قرأ بها ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا﴾: حارًّا في النِّهاية ﴿فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾: مجارِيَ شرابِهم إذا دخلَ أجوافَهم.

قوله: ﴿كَمَنۡ هُوَ﴾ تقديرُه: أفمَن هو خالدٌ في الجنَّةِ كمَن هو خالدٌ في النارِ، فحذَفَ إحدَى الجملتين لأنَّ ما قَبْلَها يدلُّ عليها، كما حُذِفتِ الجملةُ الثانيةُ في كثيرٍ من المواضع في القرآن وغيره.

الكسائيُّ: مَثَلُ أصحابِ الجنةِ كمَن هو خالدٌ في النارِ[1]، وقد سَبَق.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿كَمَن زُيِّنَ﴾ فحُذف الواوُ.

ويَحتمِلُ أنه بدلٌ منه فلا يُحتاجُ إلى الواو.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾.

﴿وَمِنۡهُم﴾: من الكافرين، وقيل: من المنافقين ﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: إلى خُطبتِكَ يومَ الجمعة، وقد يكونُ فيها عيبُ المنافقين.

وقيل: كان عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ ابنُ سَلُولَ، ورِفاعةُ بنُ زيدٍ، ومالكُ بن جُعْشُمٍ، وأصحابُهم يَحْضُرون مجالسَ النبيِّ ﷺ والجُمُعاتِ، ويسمعون كلامَه ولا يَعُوْنه كما يَعِيْه المسلِمُ[2].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾: انْصَرفوا وخَرَج المسلِمون ﴿مِنۡ عِندِكَ﴾ يا محمدُ ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون ﴿لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧)، و«النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢٩٧).

عكرمةُ: هو ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما[١].

ورُوِي عنه أنه قال: أنَا ممَّن أُوتوا العلمَ بالقرآن[٢].

قال عبدُ الله بنُ بُرَيْدَةَ: هو ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه[٣].

وقيل: هو أبو الدَّرْداء[٤].

وقيل: هم الصَّحابةُ.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾: أيَّ شيءٍ قال محمدٌ الآنَ؟ وسؤالُهم هذا استهزاءٌ وإعلامٌ أنهم لم يَلتفِتُوا إلى ما قاله، وقيل: سؤالُ بحثٍ عمَّا لم يَفْهَموه.

﴿ءَانِفًا﴾؛ أي: في ساعتِنا هذه، من قولِهم: استأنفتُ الأمرَ؛ إذا ابتدَأْتَه، وأَنْفُ كلِّ شيءٍ: ما تقدَّمَ منه، و﴿ءَانِفًا﴾ وزنُه: فاعلٌ، وليس من لفظِه فعلٌ ثلاثيٌّ، إنَّما يُقالُ: ائْتَنَفَ الكلامَ ائْتِنافاً؛ إذا ابتَدَأ به، واستأنفتُ الأمرَ؛ كما تقولُ من فقيرٍ ورفيعٍ: افْتَقَر وارْتَفَع.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عقوبةً لهم ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: ركِبوا رؤوسَهم. ابنُ عيسى: الهوَى: رِقَّةُ مَيْلِ القلبِ كرِقَّةِ هواءِ الجوِّ.

* * *

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٥) بلفظ: «كنت فيمن يُسأل»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٢٣٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦١٧) عن القاسم بن عبد الرحمن.

(١٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمانِ والاستماعِ إلى القرآن ﴿زَادَهُمْ﴾ اللهُ.

وقيل: استماعُ كلامِ النبيِّ ﷺ.

وقيل: استهزاءُ المنافقِين وإعراضُهم.

﴿هُدًى﴾: عِلْماً وبَصِيرةً.

وقيل: شَرْحَ صدرٍ ويقيناً.

وقيل: تصديقاً.

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: بيَّنَ لهم ما يَتَّقون.

وقيل: آتاهُم جزاءَ تَقْواهم.

وقيل: العملَ بالناسخِ دون المنسوخ.

* * *

(١٨) ـ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾؛ أي: إتيانَها، فهو بدلٌ من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: آياتُها وأعلامُها مِن انْشِقاقِ القمرِ وغيرِه.

وقيل: هو النبيُّ ﷺ[١]؛ فإنه قال: «بُعِثْتُ والساعةَ كَهَاتَيْنِ»، وأشارَ بالسبَّابةِ والوُسْطَى[٢]، ولأنَّ النبيَّ عليه السلامُ آخِرُ الأنبياءِ وأمَّتُه آخِرُ الأُمَم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٦)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾: مِن أين لهم، وكيف لهم ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾؛ أي: لا ينفعُهم إيمانُهم وتذكُّرُهم حينئذٍ، وتقديرُ الآيةِ: أنَّى لهم الذِّكرى؛ كقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، فـ(الذِّكرى) مبتدأٌ، و﴿أَنَّىٰ لَهُمْ﴾ خبرُه، وفاعلُ ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ مضمَرٌ يعودُ إلى الذِّكرى.

ويجوزُ أنْ ترتفعَ (الذِّكرى) بالفعلِ والمبتدأُ مقدَّرٌ دلَّ عليه الفاعلُ.

وقيل: أنَّى لهم الذِّكْرَى إذا جاءتهم الساعةُ.

وقيل: الذِّكرى: دعاؤُهم بأسمائهم في القيامةِ تبشيراً وتخويفاً.

وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَحْسِنوا أسماءَكم فإنَّكم تُدْعَوْن يومَ القيامةِ: يا فلانُ قُمْ إلى نُورِكَ، يا فلانُ قُمْ فلا نُورَ لك»[(١)]، نعوذ بالله[(٢)].

***

(١٩) ـ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: اعْلَمْ خبراً يقيناً ما علمْتَه نَظَراً واستدلالاً.

وقيل: معناه: فاذْكُرْ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وقيل: اثْبُتْ على العلم.

---

(١) بهذا اللفظ ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠) عن أبان عن أنس رضي الله عنه، ورواه أبو داود (٤٩٤٨) من طريق عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً نبه إليه أبو داود، حيث عقبه بقوله: «ابن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء».

(٢) «نعوذ بالله»: ليس في (ف).

وقيل: هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ والمرادُ به أمَّتُه واحداً بعد واحدٍ.

والهاءُ في ﴿أَنَّهُۥ﴾ يعودُ إلى الأمرِ والشأن، ويحتمِلُ أنه يعودُ إلى اللهِ تعالى فلمَّا كنِّي في الأوَّلِ صُرِّح في الثاني.

والفاءاتُ في هذه الآياتِ لعطفِ جملةٍ على جملةٍ بينهُما اتِّصالٌ.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾: استَغْفِرِ اللهَ لصغائرِ ذنوبك.

وقيل: اسألِ اللهَ العصمةَ من الذُّنوب.

﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾؛ أي: استغفِرْ لذنوبهم.

وقيل: هو أن يَشْفَعَ لهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾؛ أي: تَصَرُّفَكم في الدنيا ومَنزِلَكم فيها.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾: منزِلَكم في الدنيا، ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: في الآخرة.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في الأسفار، ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ في الحَضَر.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾: مُنْتَشَرَكم في النَّهار، ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: مستقرَّكم في الليلِ.

وقيل: ﴿مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: انقلابَكم من أصلابِ الآباءِ إلى الأرحامِ، ثم منها إلى الدنيا، ثم منها إلى القبور، ثم منها إلى الجنةِ أو إلى النارِ، نعوذُ باللهِ من النَّار.

* * *

(٢٠) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞ﴾ ابنُ عيسى: تمنَّوا نزولَ السورة لأنهم كانوا يأنَسونَ بنزولِ الوحيِ ويَستوحِشُون لإبطائه.

وقيل: اشتَهَوْا نزولَ سورةٍ تَدُلُّ على لُزومِ الحربِ والقتال؛ ليَتحمَّلوا المشقَّةَ ويَعودوا بالمثوبة.

وقيل: تمنَّوا نزولَ سورةٍ فيها القتالُ؛ لأنَّ في القتالِ إحدى الحُسْنيَيْن؛ الشهادةِ والجنَّةِ، أو الظَّفَرِ والغَنيمة.

الفرَّاء: كان المؤمنون يكرهونَ القتالَ، فإذا نزلت سورةٌ فيها القتالُ تَوَقَّعوا نَسْخَها، فقال الله: ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ لِمَن كرهها[1]. واستَضْعَفَ هذا القولَ مِنه المفسرون[2].

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾: مُثْبتةٌ[3] ما فيها، كقوله: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، وذِكْرُ المحكَمِ والمتشابِهِ قد سَبَق.

وقيل: ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾: فيها أحكامُ الغَزْو.

قتادةُ: كلُّ سورةٍ ذُكرَ فيها القتالُ محكَمةٌ، وهي أشدُّها على المنافقين[4].

وقيل: ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾: فيها الحلالُ والحرام.

وقيل: ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: مُحْدَثةٌ، وهكذا هو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه[5].

﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾: أُمِرَ فيها بالجِهاد ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ ونِفاقٌ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ﴾ يَشْخَصونَ نحوَكَ بأبصارِهم فينظرونَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٢).

(٢) في (ف): «المفسرين».

(٣) في (ف): «مبينة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١٠).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٢)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٠٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٧٨).

نَظَـراً حديـداً كمـا يَنظُرُ الشـاخصُ بصرُه عنـد المـوتِ لكراهَتِهـم القتالَ.

وقيل: يُبْهَتون كراهةَ القتال كأنهم مغشيٌّ عليهم غشيةً وغمًّا[1] وجَزَعاً.

وقيل: شبَّههم به للدَّهشِ وزوالِ العقل.

قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ قيل: متصلٌ بالنظر؛ أي: ينظرون خوفاً من الموت.

وقيل: متصل بالغشية كما ذكرتُ.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ كلمـةُ تحذيـرٍ؛ أي: وَلِيَـكَ شـرٌّ فاحْـذَرْه، هـذه عبـارةُ كثيـرٍ مـن المفسِّـرين.

وقيل: العقابُ أولَى لهم؛ أي: أَوْلَى الأشياءِ لهم أنْ يُعاقَبُوا.

وقيل: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أَوْلَى لهم من الجَزَع عند الجهادِ، فلا يكونُ حينئذٍ للوَعِيد.

ويحتمِلُ أنَّ (أَوْلَى) اسمٌ على وزنِ (أَفْعَل) جُعِلَ عَلَماً للتهديدِ والوعيدِ فلم يَنْصَرِفْ.

ويجوزُ أن يكونَ (أفعلَ) للتفضيل؛ أي: أولَى الأشياءِ بكَ كذا، كما ذكرتُ.

ويجوزُ أن يكونَ فعلاً متعدِّياً مِن وَلِيَ؛ أي: أولاهُ اللهُ المكروهَ، كَثُرَ استعمالُها فحُذِفَ بعضُها للعِلْم به.

ويجوزُ أن يكونَ (فَعْلَى) مِن آلَ يَؤُولُ؛ أي: يَؤُولُ أمرُكَ إلى شرٍّ فاحْذَرْه[2].

وذُكر عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: (أَوْلَى) وعيدٌ، والكلام به تامٌّ، ثم قال: ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للمؤمنينَ ﴿طَاعَةٌ﴾ للهِ ولرسولِه ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، حكاهُ

---

(١) في (ف): «غماً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧)، واستغربه.

الفرَّاء[١]، ثم قال: وكلامُ العربِ عندَنا أنْ يكونَ ﴿لَهُمْ﴾ متَّصِلاً بـ(أَوْلَى).

المبرِّد: يقالُ للإنسان إذا كادَ يَعْطَبُ ثم أَفْلَتَ: أولَى لك؛ أي: قارَبْتَ العَطَبَ ثم نَجَوْتَ، قال: وهو في القرآنِ على معنى التحذير، وقولُ الشاعِرِ يَتلهَّفُ على الصَّيد:

فَلَـوْ كانَ أَوْلَى يُطْعِـمُ القَـوْمَ صِدْتُهُمْ ولَكِـنَّ أَوْلَى يَـتْرُكُ القَـوْمَ جُوَّعَـا[٢]

أَنشده بعضُهم حجَّةً لِمَا قاله ابنُ عباس رضي الله عنهما، واللهُ أعلم.

* * *

(٢١) ـ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

﴿طَاعَةٌ﴾: طاعةُ اللهِ ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾؛ أي: حَسَنٌ.

وقيل: ما عُرِفَ صحَّتُه خيرٌ من الجَزَعِ عند فَرْضِ الجهاد، فهو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ.

وقيل: أَمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروفٌ، فيكونُ خبرَ مبتدأ محذوفٍ، وهذا أحسنُ[٣].

وقيل: هذا أمرٌ للمنافِقِين؛ أي: قولوا: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾.

وقيل: هذا كان منهم قبلَ الأمرِ بالجهاد، فلمَّا أُمِروا به امْتَنَعوا عنه.

---

(١) رواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٦٢) من طريق حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١١) فقال: «وروي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى» ثم ساقه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧)، واستغربه.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٨٠) عن أعرابي، وفيه: «روي أن أعرابيًّا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول: أولى لك. ثم رمى صيداً فقاربه ثم أفلت منه فقال..» وذكر البيت.

(٣) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٧) قال: «العجيب: (طاعة) صفة للسورة؛ أي: أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف، فحذف المضاف. حكاه الزجاج».

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: جَدَّ الأمرُ ولَزِمَ فَرْضٌ من القتال؛ أي: صار الأمرُ مَعزوماً عليه، كَذَبوا ونكَلوا، وهذا جوابُ (إذا).

﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الإيمانِ والجهادِ ﴿لَكَانَ﴾ الصدقُ ﴿خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾ من الكفرِ وكراهةِ الجهاد.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ من الكفرِ وكراهةِ الجهادِ ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ فلعلَّكم إنْ أَعرَضْتُم عن الإسلامِ والطاعةِ وما جاءَ به محمدٌ ﷺ ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾: تَعُودوا إلى ما كُنْتُم عليه في الجاهليَّة من قَطيعةِ الرَّحِمِ وقَتْلِ بعضِكم بعضاً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أَبْعَدَهم من رحمتِه ﴿فَأَصَمَّهُمۡ﴾ فلا يَسمعون الحقَّ ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ فلا يهتدُونَ سبيلاً.

وقيل: معناه: أتظنُّون إنْ تركتُم النبيَّ وأعرَضْتُم عن الإسلام تُتْرَكون أنْ تعاوِدُوا ما كنتُم عليه من قَبْلُ من الغارات وتخريبِ البلاد وقتلِ بعضِكم بعضاً من ذوي الرَّحِم، كلَّا فإنَّ اللهَ يَحُولُ بينكم وبينَ ذلك؛ فيكونُ ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ من الإعراض.

وقيل: لعلَّكم إنْ تولَّيْتُم أمورَ الناسِ أن تُفسِدوا في الأرضِ بالظلم.

وقيل: تولَّيْتُم الحُكْمَ فجعَلكم حكَّاماً أن تُفسِدوا في الأرض بأخذِ الرِّشا؛ فيكونُ من التَّولِيَة.

والمخاطَبون هم المنافقون، وقيل: قريشٌ.

ورُوِي عن المزنيِّ: أنهم الخَوَارجُ. حكاه الماورديُّ[1].

وجزاءُ ﴿إِن﴾ محذوفٌ دلَّ عليه ما قَبْلَه، و﴿أَن تُفْسِدُواْ﴾ في محلِّ نصبٍ بـ(عسى).

***

(٢٤) ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيَعْرِفوا ما لهم وعليهم ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؟ وأضافَ الأقفالَ إلى القلوبِ لأنها ليستْ من حديدٍ، وإنَّما هو طبعٌ وخَتْمٌ ورَيْنٌ، أو غشاءٌ وغلافٌ ممَّا وُصفَ قلوبُ الكفَّارِ به، فذلك أقفالُ القلوب.

وقيل: هذا جوابٌ لهم حينَ قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥] و: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

***

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾: كَفَروا بمحمدٍ ﷺ، يريدُ: اليهودَ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ يريدُ: في التَّوراةِ، فإنَّ فيها صفةَ محمدٍ عليه السلامُ ونَعْتَه، وقيل: هم المنافقونَ ارتدُّوا بعدَما سَمِعوا القرآنَ.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زَيَّنَ لهم خَطَاياهُم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٠). ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩٧) عن بكر بن عبد الله المزنيِّ بلفظ: «ما أراها نزلت إلا في الحرورية».

المفضَّلُ: مَنَّاهم، والسُّوالُ: الأُمْنيَّة.

ابن بحرٍ: لفظُ ﴿سَوَّلَ﴾ من السُّول[١]، وهو ما يتمنَّاه الإنسانُ في نفسِه، وكأنه دعاهم إلى ما كانُوا يريدونَ، فوَافَقَ لهم سُولَهم وأُمْنِيَتَهم، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: وأَمْهَلَهم في العمرِ وأخَّرَ عنهم العذاب، والمعنى: أَمَدَّ لهم في الآجال ملاوَةً من الدَّهر[٢].

وقرئ: ﴿وأُمْلِيَ لهم﴾ على المجهول[٣]، وقرئ: ﴿وأُمْلِيْ لهم﴾ مرسلةَ الياء[٤].

وقيل: الشيطانُ أملَى لهم؛ أي: طوَّل أمَلَهم فاغترُّوا به[٥].

***

(٢٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الإملاءُ، وقيل: الإضلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ قيل: هم الذينَ يَنظرونَ إليك نَظَر الـمَغْشيِّ عليه.

وقيل: كَرِهوا أن يؤمنوا بما نزَّل الله.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ قالت اليهودُ للمنافقِينَ: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ يَعْنُون: كَتْمَ نعتِ محمدٍ ﷺ وتكذيْبَه.

---

(١) في (ن): «السوال».

(٢) أي: مدة طويلة. انظر: «معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٣٨٧).

(٣) قرأ بها أبو عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٤) أي: ساكنة الياء، وهي قراءة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٤)

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٨)، وعده من العجائب.

وقيل: قال المنافقون لليهود: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: عداوةِ محمدٍ ﷺ، والقعودِ عن نصرته، والميلِ إليكم، والتظاهُرِ عليه، والارتدادِ بعد الإيمان.

﴿واللهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ فيما بينَهم بهذا الكلام، وقُرئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ على المصدر[1]، وقيل: يعلمُ اعتقادَهم هذا وما أسرُّوه في أنفُسِهم.

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

﴿فَكَيْفَ﴾؛ أي: فكيف حالُهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يصفُ عظيمَ ما حلَّ بهم.

وقيل: فكيفَ لا يَعْلَمُ ما يَحِلُّ بهم عندَ الموت.

وقيل: كيفَ ينافِقون إذا توفَّتْهم الملائكةُ وعَرَفْنا أسرارَهم.

ثم ذَكَر حالَهم فقال: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾؛ أي: وجوهَهم عندَ الموت وأدبارَهم حالةَ السَّوقِ إلى النار.

وقيل: يريد: حالةَ القتالِ؛ يَضربونَ وجوهَهم عند الطَّلَب وأدبارَهم عند الهَرَب.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾؛ أي: ذلك الضربُ بسببِ أنهم ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ يعني: المعاصيَ ومعاونةَ المشركين، وقيل: كتمانَ صفةِ محمدٍ ﷺ ونَعْتِه، ﴿وَكَرِهُوا

---

(١) قرأ بها حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

﴿رِضْوَانَهُۥ﴾: ما يَرضاه من الطاعةِ ونُصرةِ المؤمنين ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

* * *

(٢٩) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾: حقدَهم وغِشَّهم وحَسَدَهم وعداوتَهم، والضِّغنُ: إضمارُ سوءٍ يُتربَّصُ به إمكانُ الفُرصة.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾؛ أي: لو نشاءُ لعرَّفْناكَهم بأعيانهم بأنْ نَجعَلَ على وجوهِهم علامةً تَعْرِفُهم بها.

واللامُ الأولى جوابُ (لو)، والثانيةُ تكرارٌ لها وزيادةٌ.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: في فَحْوَى كلامِهم ومُتَضَمَّنِه، فإنهم لا يقدِرون على كتمانِ ما في أنفُسهم، واللَّحْنُ: ذهابُ الكلامِ إلى خلافِ جِهَتِه.

الكلبيُّ: لحنُ القولِ: كَذِبُه، قال: ولم يتكلَّمْ بعد نزولِها منافقٌ عندَ رسولِ الله ﷺ إلا عَرَفَه[1].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ويراها ظاهِرَها وباطِنَها، ويَمِيزُ خيرَها مِن شرِّها.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٨)، واستغربه.

(٣١) - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نُعامِلُكم معاملةَ المبتلِي ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: نعلمَهم عِياناً كما علِمْناهم غَيْباً، فإنَّ المجازاةَ تقعُ على ما يَظهرُ منهم.

والمجاهدون: هم الغزاةُ.

وقيل: الزَّاهِدون في الدُّنيا والصَّابِرون على الجهاد، وقيل: عن الدنيا.

﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾: أسراركم، وقيل: ما ستَفْعَلونه.

* * *

(٣٢) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المطعِمين يومَ بدرٍ، وقد سَبَق.

﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: عادَوْه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بعدَ ما ظَهَر لهم أنه الحقُّ وعَرَفوا الرسولَ.

وقيل: نزلتْ في قومٍ آمَنوا ثم ارتدُّوا.

﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتدادِهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني: ثوابَ أعمالهم بسبب معاداتهم.

وقيل: ﴿سَيُحْبِطُ أعمالَهم﴾: كيدَهم على النبيِّ ﷺ والمؤمنين، ولهذا أُدخل عليه السينُ.

* * *

(٣٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ وقيل[1]: أطيعوا اللهَ بتوحيده والرسولَ

---

(١) قوله: «وقيل» كذا وقع في النسختين، ولعلها مقحمة.

بتصديقِه ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾؛ أي: احذَرُوا مخالفةَ اللهِ ورسولِه؛ فإنها مُبْطِلةٌ للحسنات.

وقيل: لا تبطِلوها بالمعاصي والرِّياء.

وعن أبي العاليَةِ قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَرَوْنَ أنه لا يَضُرُّ مع (لا إلهَ إلَّا إلا اللهُ) ذنبٌ، كما لا ينفعُ مع الشِّركِ عملٌ، حتى نزلت: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1]؛ فإنَّ الشرَّ يُبْطِلُ الخيرَ، والخيرَ يُبطِلُ الشرَّ، ومِلَاكُ العمل خَوَاتِـمُه.

وقيل: لا تَرْجِعوا بعد الإيمانِ كفاراً، ولا بعدَ الطاعةِ عُصاةً.

مقاتل: نزلتْ في الذين يَمنُّونَ إذا أَسْلَموا[2].

***

(٣٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ مقاتلٌ: نزلتْ في رجلٍ سأَلَ النبيَّ عليه السلامُ عن والده، وقال: إنه كان مُحسِناً في كُفْره، فقال: «هو في النَّار»، فولَّى الرجلُ وهو يبكي، فدعاهُ فقال: «والداكَ ووالدَيَّ ووالدُ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النار»، فنزلت هذه الآية[3].

الكلبي: نزلتْ في رؤساءِ أهلِ بدرٍ[4].

***

---

(١) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١ ـ ٥٢)، وروى مسلم (٢٠٣) عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قَفَّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦).

(٣٥) ـ ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: لا تَضْعُفوا ﴿و﴾ لا ﴿تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾؛ أي: ولا تَدْعُوا الكفارَ إلى الصُّلْح، ويجوزُ أنْ يكونَ نصباً بالجوابِ بالواوِ، و﴿السَّلْمِ﴾ و﴿السِّلْم﴾ لغتان[1].

وقيل: السَّلْمُ من الإسلام؛ كالنباتِ من الإنباتِ، والعطاءِ[2] من الإعطاءِ.

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ عليهم، قيل: حالٌ، وقيل: استئنافٌ ووعدٌ.

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالنُّصرة ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: لن يَنْقُصَكُم أجرَ أعمالِكم.

وقيل: لن يَسْلُبَكم أعمالكم.

وقيل: لن يَطلبَكم[3].

وقيل: في أعمالكم، فحُذفَ الجارُّ، والأولُ أظهرُ.

***

(٣٦) ـ ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ ينقطعان في أسرعِ مُدَّةٍ.

ابن بحر: يَنْقضِيَان عن غيرِ عُقْبَى.

وقيل: ذاتُ لعبٍ ولهوٍ؛ لأن غالبَ أمرِ الناسِ فيها اللَّعبُ واللهو.

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الشركَ والمعاصيَ ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾: لا يأمُرْكم أنْ تُخرِجوا من جميعِ أموالِكم.

---

(١) قرأ حمزة وشعبة: (السِّلْم) بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠١)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٢) كذا في النسختين، ولعل صوابه: «كالنبت من الإنبات، والعطا»، والله أعلم.

(٣) كذا في النسختين، ولعله محرف = وصوابه: «يظلمكم».

وقيل: لا يَسألُكُم أموالَكُم لنفسِه سبحانه وتعالى.

وقيل: لا يسألُكُم أموالَكم، إنما ذلك مالُه وهو المنعِمُ بإعطائه.

* * *

(٣٧) ـ ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ الإحفاءُ: الإلحافُ في المسألةِ والمبالغةُ فيها.

ابنُ بحرٍ: أَحْفَيْتُ المسألةَ؛ إذا ألطَفْتَها وأنعَمْتَها فبَرَزْتَ فيها، من قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

وقيل: الإحفاءُ: أن تأخذَ كلَّ شيءٍ بيدكَ، كأنه جعَلَه حافياً من المال عارياً منه كالحافي الذي لا حذاءَ له.

وقيل: ألحَّ عليكم وشدَّدَ.

وقيل: لا يسألُكُم رسولي أموالَكم لنَفْسِه(١).

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾: يَبْعَثْ ذلك منكم حقداً يَظهَرُ ولا يَخْفَى.

وقيل: يَصيرُ سبباً للأضغان؛ لأنَّ المؤمنين لم يكنْ في قلوبهم أضغانٌ.

وفاعلُ ﴿يُخرِجْ﴾ هو اللهُ على طريقِ التَّسبُّب؛ أي: يُخْرِجْ بامتناعِكُم أضغانَكم.

وقيل: البخلُ هو الفاعلُ.

وقيل: هذا خاصٌّ في المنافقين.

* * *

---

(١) جاءت هذه العبارة ها هنا في النسختين، وإنما موضعها المناسب قبل ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾، والله أعلم.

(٣٨) ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾؛ أي: كيف يأمرُكم بإخراجِ جميعِ أموالِكُم وقد دعاكُم إلى إنفاقِ البعضِ في سبيلِ الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ فلا ينفقُ؟

و﴿ها﴾ للتنبيه، وكرِّر مع ﴿أولاء﴾ للتوكيد.

وقيل: جاز دخولُه على الضميرِ لمشاكَلته المبهَمَ في أنه معرفةٌ يَصْلُحُ لكلِّ مكنيٍّ عنه.

الفرَّاء: دخلتْ للتقريب، والعربُ إذا أرادتِ التقريبَ جعلتِ المكنيَّ بين (ها) و(ذا)، فقالت: ها أنت ذا قائماً، وربما أعادَتْ فقالت: ها أنتَ هذا قائماً[1].

وقال بعضُهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هاهنا موصولٌ ﴿تُدْعَوْنَ﴾ صلتُه.

وقيل: يا هؤلاء. وفيه بعدٌ.

وقيل: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ إنما هو: آأنتم، فقُلبتِ الهمزةُ هاءً. وفيه بُعْدٌ، والكلامُ ما سبق.

﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: يَضُرُّ بذلك نفسَه.

وقيل: تقديرُه: فإنما يبخلُ عن بُخْلِ نفسِه، ولو كانت جواداً لم تبخَلْ بالنَّفقةِ في سبيلِ الله.

وقيل: يَبْخَلْ[2] عن داعِي نفسِه لا عن داعِي ربِّه.

وقيل: ﴿عَن﴾ بمعنى: على؛ أي: يبخلُ على نفسِه بالجزاءِ والثواب[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٢).

(٢) «عن بخل نفسه... يبخل» ليست في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٩)، واستغربه.

والبخلُ: منعُ الواجبِ وما يَقْبُحُ مَنْعُه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ أي: الغنيُّ عن إنفاقِكُم لا حاجةَ به إلى مالِكُم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ لا تَسْتَغنون عنه في دنياكُم وأُخراكُم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾؛ أي: إنْ تُعْرِضوا يا أهلَ مكةَ عن دينِه وطاعتِه واتِّباعِ رسولِه والإنفاقِ في سبيله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أقامَ مقامَكم قوماً آخرينَ أَطْوعَ منكم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾؛ أي: في حالِ تَوَلِّيكم إنْ تولَّيْتُم، وليس يريدُ به[1] الحالةَ الأولى؛ لأنهم كانوا على أحسنِ حالٍ.

وقيل: في جميعِ الأحوال.

قيل: إنَّهم العربُ، والقومُ المستبدَلُ بهم الملائكةُ[2]. وزيَّفَه الزجَّاج، وقال: القومُ لا يقعُ على الملائكة[3].

وقيل: قوماً بعدَ الذي خُوطِبوا.

وقيل: أهلَ اليمن.

ورُوي: أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الذي يستبدلُهم اللهُ بهم، وكان سلمانُ رضي الله عنه إلى جَنْبِه، فضَرَب فَخِذَه فقال: «هذا وقومُه»[4]؛ يعني: العَجَم.

---

(١) في (ن): «فيه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٠٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٩)، والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث غريب في إسناده مقال»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الجوزقاني: «حديث صحيح، ورجاله ثقات».

وفي خبرٍ آخَرَ أنه قال: «والذي نَفْسي بيدِه لو كان الدِّين مَنُوطاً بالثريَّا لتناوَلَه رجالٌ من فارسَ»(١).

وكان أبو الدَّرداءِ من الذين أُوتُوا العلمَ(٢)؛ فقال: أَبْشِروا يا بني فَرُّوخَ(٣).

الكلبيُّ: شَرَطَ الاستبدالَ بهم بشَرْطِ تَوَلِّيْهم، ثم لم يتولَّوا فلم يَستَبْدِلْ بهم(٤).

والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣].

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦١٧) عن القاسم بن عبد الرحمن.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠١٤)، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢/ ٧٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤) من كلام أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أبشروا يا بني فروخ، والذي نفسي بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله منكم أقوام». فروخ: قيل: هو أبو العجم ابن لإبراهيم وأخ لإسماعيل. انظر: «مشارق الأنوار» (٢/ ١٦٨). وهو فارسي ممنوع من الصرف للعُجمة والعلمية.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٧٤).

سُورَةُ الفَتۡحِ

سُورَةُ الفَتْحِ

تسعٌ وعشرونَ آيةً(1). مدنيَّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في سببِ النزولِ: عن الزُّهريِّ عن عروةَ عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومروانَ بنِ الحَكَم رضي الله عنهما قالا: نزلت(2) سورةُ الفتحِ بين مكَّةَ والمدينةِ في شأنِ الحديبيةِ من أوَّلها إلى آخِرها(3).

وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه: لمَّا رجَعْنا من غزوةِ الحُدَيبِيَة وقد حِيلَ بيننا وبينَ نُسُكِنا، فنحنُ بين الحزنِ والكآبة، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فقال ﷺ: «لقد أُنزلت عَلَيَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من الدُّنيا كلِّها»(4).

وعن عطاءٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ شَمِتُوا بالنبيِّ والمسلمين

---

(1) «تسع وعشرون آية»: ليس في (ف).

(2) في (ف): «أنزلت».

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (18910) في آخر حديث صلح الحديبية الطويل، والحديث رواه البخاري (2731) إلا أنه قال: «فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24] حتى بلغ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: 26]».

(4) رواه مسلم (1786)، والحاكم في «المستدرك» (3713).

لمَّا نزلت: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩]، فاشتدَّ ذلك على[1] النبيِّ ﷺ، فأَنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ فسُرَّ[2].

والفتحُ هو فتحُ خيبرَ.

مجاهدٌ: فتحُ مكَّةَ[3].

والجمهورُ على أنه يومُ الحُدَيْبِيَة[4].

والحُديبيَةُ بئرٌ، وسمِّي المكانُ بها، وكان قد غاضَ ماؤُها فتمَضْمَضَ فيها رسولُ الله ﷺ فجاء[5] بالماءِ حتى عَمَّهم[6].

وقيل: غَرَزَ فيها سهماً من كِنَانته فجاشَ بالرَّواءِ حتى ضربَ الناسُ عليه بعَطَنٍ[7].

---

(١) في (ف): «عند».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٥). وهذه الروايات من طريق عطاء عن ابن عباس مروية بإسناد تالف، وقد أكثر منها الواحدي رحمه الله.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١١)، واستغربه. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٣٤) عن أنس رضي الله عنه قال: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ قال: «الحديبية». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٢) عن جابر قال: «ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية».

(٥) كذا في النسختين، ولو كان «جاد» لكان أظهر.

(٦) رواه البخاري (٣٥٧٧) من حديث البراء رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر، فنزحناها، حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا، وروت، أو صدرت ركائبنا».

(٧) رواه البخاري (٣٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بلفظ: «فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى =

وسمِّي يومُ الحديبيَةِ فتحاً؛ لأنه كان سببَ فتحِ مكةَ، والمعنى: دنا فَتْحُه.

وعن ابن شهابٍ قال: لم يكنْ في الإسلام فتحٌ أعظمُ من فتحِ الحديبيَة، وُضِعتِ الحربُ وأَمِنَ الناسُ فتلاقَوْا، ولم يُكلَّمْ أحدٌ بعقدِ الإسلامِ إلا دخلَ فيه، وقد دخَل في تلك السنينَ مِثْلُ مَن كان قبلَ ذلك أو أكثرُ[1].

قال الشعبيُّ: أصاب النبيُّ ﷺ في تلك الغزوةِ ما لم يُصِبْ في غيرها، بُويعَ فيها بيعةَ الرِّضوان، وغُفِر له ما تَقدَّم من ذَنبِه وما تَأخَّر، وظَفِرَ الرومُ على فارسَ، وكان وَعَد به فصحَّ صِدْقُه، وأُطْعِمَ نخيلَ خيبرَ[2]، وقيل: نَفْلَ خيبرَ.

وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ بعد هجرتِه إلى المدينة أَحبَّ أن يَزورَ بيتَ اللهِ الحرامَ بمكةَ، فخرج قاصداً نحوَه في سنةِ ستٍّ من الهجرة، وأَمَر مَن حَوالَي المدينةِ من المسلمين أن يَخرجوا معه، فخَرج أُولُو البصيرةِ، وتخلَّفَ مَن كان في قلبِه مرضٌ من المنافقين ظنًّا أنْ لن يَنْقلِبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، واستَصْحَبَ سبعينَ بَدَنةً ليَنْحَرَها بمكة، ولمَّا كان بذي الحُليفةِ قلَّدَ الهَدْيَ وأَشْعَرَه وأَحْرَم بالعُمْرةِ؛ ليَعْلَمَ قريشٌ أنه لم يأتِ لقتالٍ، وأرسَلَ عثمانَ بنَ عفَّانٍ إلى قريشٍ يسألُهم أنْ يمكِّنوه وأصحابَه من الزيارةِ والطَّواف، فأَبْطَأَ عليه رجوعُ عثمانَ وأُرْجِفَ بقتلِه، فقال: «لا نَبْرَحُ حتى نناجِزَ القومَ، ودعا أصحابَه إلى مبايَعَتِه على أنْ يُقاتلوا قريشاً ولا يَفِرُّوا عنهم ولا يولُّوهم أدبارَهم، وكانوا ألفاً وثلاثَ مئة، وقيل: ألفاً وأربعَ مئةٍ،

= رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٨)، وذكره الشافعي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٣٧٢)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٣٢٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٤).

وقيل: ألفاً وخمسَ مئةٍ[(١)]، فبايَعُوه إلا جَدَّ بنَ قيسٍ فإنه اختبأَ تحت إبطِ ناقتِه، وهذه البيعةُ هي التي تسمَّى: بيعةَ الرضوان، وكانتْ تحتَ الشجرةِ وهي سَمُرةٌ، وقيل: سِدْرةٌ، والأولُ أكثرُ في التفاسير، فرجَعَ عثمانُ ولم يُجِبْه قريشٌ إلى ما سَأَل، وجاء عروةُ بنُ مسعودٍ لإيقاعِ صلحٍ، فلمَّا رأَى أصحابَ النبيِّ ﷺ قال: أيْ محمدُ، أرأيتَ إنِ استَأْصَلْتَ قومَكَ، هل سمِعْتَ بأحدٍ من العربِ اجتاحَ أصلَه؟! على أنِّي أرى وجوهاً وأشواباً خُلَقاءَ بأنْ يَفِرُّوا ويَدَعوك. فشَتَمه أبو بكرٍ رضي الله عنه، فلمَّا عاد إلى قريشٍ قال: لقد وفَدْتُ على كِسرى وقَيصَرَ والنَّجَاشيِّ وغيرِهم من الملوك، وما رأيتُ مَلِكاً يعظِّمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمداً، واللهِ إنْ يتنخَّمْ نُخامةً إلا وقعَتْ في كفِّ رجلٍ منهم، فدَلَك بها وجهَه وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهم بأمرٍ ابتَدَروا أَمْرَه، وإذا توضَّأَ كادوا يقتَتِلون على وَضوئه، وإذا تكلَّموا عنده خَفَضوا أصواتَهم، وما يُحِدُّون النَّظَرَ إليه تفخيماً، وإنه قد عَرَض عليكم خُطَّةَ رَشَدٍ فاقْبَلوها منه، فلمَّا اتَّفَقوا على الصُّلح جاء سهيلُ بنُ عمرٍو المخزوميُّ وتصالَحوا على أنْ لا يدخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ سَنَتَه، بل يعودُ في القابِلِ ويُقيمُ بمكةَ ثلاثةَ أيامٍ ثم ينصرفُ، فلمَّا كَتَب

---

(١) كونهم يومئذ ألفاً وخمس مئة رواه البخاري (٤١٥٣) ومسلم (١٨٥٦/ ٧٢ و٧٣) عن جابر.
وكونهم ألفاً وأربع مئة، رواه البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦/ ٦٧) عن جابر أيضاً.
وروى مسلم (١٨٥٧) والبخاري تعليقاً (٤١٥٥) من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أنهم كانوا ألفاً وثلاث مئة.
قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٣/ ٢٦٠) بعد أن ذكر ما تقدم من روايات: وعند أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع أنهم كانوا ألفاً وسبع مئة، وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفاً وستَّ مئة، وحكى ابن سعد أنهم ألفٌ وخمسُ مئة وخمسة وعشرون.
قال: وجمع بين الروايات بأنها بناء على عد الجميع، أو ترك الأصاغر والأتباع والأوساط أو نحو ذلك.

عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه وكرَّم اللهُ وجهَه: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال سهيلٌ: ما نَعْرِفُ الرَّحمنَ الرحيمَ، اكتُبْ في قضيَّتِنا ما نَعرفُ: «باسمِكَ اللَّهُمَّ» ولمَّا كتب: «محمدٌ رسولُ الله» قال: لو عَلِمْنا أنك رسولُ اللهِ ما قاتَلْناك، اكتب: «محمدُ بنُ عبدِ الله»، فأجابه إلى الأمرَين، وكتب: «هذا ما صالَحَ محمدُ بنُ عبدِ الله قريشاً، صالَحَهم على أنه لا إغلالَ ولا إسلالَ، وعلى أنه مَن قَدِمَ مكةَ من أصحابِ محمدٍ حاجًّا أو معتمِراً أو يبتغِي من فضلِ اللهِ فهو آمنٌ على دمِه ومالِه، ومَن قَدِم المدينةَ من قريشٍ مجتازاً إلى مصرَ والشام يبتغي من فضلِ الله فهو آمنٌ على دمِه ومالِه، وعلى أنه مَن جاء محمداً عليه السلام من قريشٍ فهو إليهم رَدٌّ، ومَن جاءهم من أصحابِ محمدٍ فهو لهم».

فاشتدَّ ذلك على المسلمين، فقال النبيُّ ﷺ: «مَن جاءهم منَّا فأَبْعَدَه الله، ومَن جاءَنا منهم ردَدْناه إليهم، فإنْ عَلِم اللهُ منه الإسلامَ جَعَل له مخرجاً».

فلمَّا فَرَغوا من الهدنةِ نَحَر النبيُّ ﷺ وحَلَق، وفَعَل أصحابُه ذلك، فنَزَل عليه في طريقِه في هذا الشأنِ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾[1] يريد: ما كان من أمرِ الحديبيَةِ، والفتحُ قد يكونُ بالصُّلح.

وقيل: كان هذا الفتحُ عن ترامٍ بالحجارةِ ولم يكنْ قتالٌ شديدٌ، والفتح: هو الظَّفَرُ بالمكانِ بصلحٍ أو حربٍ؛ لأن الموضعَ يكون مُغلَقاً فيفتحُ إمَّا بحربٍ أو هُدنةٍ وصُلحٍ.

وقيل: المرادُ به فتحُ مكةَ، وعَدَه اللهُ ذلك.

ابنُ بحرٍ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا﴾ معناه: أَعْلَمْناكَ فيما أنزَلْناه عليك من القرآنِ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

وأَمَرْنـاكَ بـه مِـن الدِّين أمـراً مُبينـاً، وقد يُعبَّـرُ عن العلـمِ بالفتـحِ؛ كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ أي: علـمُ الغيـب[١].

ابنُ عيسى: الفتحُ: الفَرَحُ المزيلُ لِلْهَمِّ[٢]، ومنه: فتحُ المسألةِ؛ إذا انفرَجَتْ عن بيانٍ يؤدِّي إلى الثِّقة.

وقيل: الفتحُ: القضاءُ والحكمُ، والفتَّاحُ: القاضي؛ أي: حكَمْنا لك بهذه المهادَنةِ.

وقيل: أرشَدْناكَ إلى الإسلام.

* * *

(٢) ـ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قيل: الفتحُ ليس بسببٍ للمغفرة، وإنما التقديرُ: إنَّا فتَحْنا لك فاستغفِرْ ليَغْفِرَ لك اللهُ، ومثلُه: ﴿إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ... فسَبِّحْ... واستَغْفِرْ﴾.

وإذا جُعلَ الفتحُ بمعنى الحُكْمِ فهو متَّصلٌ به من غيرِ إضمارٍ، وكذلك فيمَن جَعَله بمعنى العلمِ والإرشاد.

وقيل: ليَغفِرَ لكَ بصبرِكَ على ما امتُحِنْتَ به.

ابنُ الأنباريِّ: يجتمِعُ لك المغفرةُ مع الفتحِ فتَتِمُّ النعمةُ عليك[٣].

وذهب سَهْلٌ[٤] إلى أنَّ اللامَ لامُ القَسَم؛ أي: لَيَغْفِرنَّ الله، فلمَّا حُذفتِ النونُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١١) واستغربه.

(٢) في (ف): «الهم».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٢) عن ابن الأنباري أنه سأل أبا العباس (ثعلب) عنها فأجابه.

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨١)، ونقل

كُسرتِ اللام، وأَنشد:

إذا قـالَ قَطْنِـي قلـتُ آلَيْـتُ حَلْفَةً لِتُـغْـنِيَ عَنِّـي ذَا إنائِـكَ أَجْمَعَـا[١]

وقد سَبَق.

وقيـل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مجاهَدَتَـك ومقاتَلَتَـك أهلَ مكـةَ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾، فاللامُ متعلِّقٌ بالقتـال والجهاد[٢].

وقيل: المغفرةُ سببٌ للفتح؛ أي: لِمَغْفِرتنا لكَ ﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾، كما تقولُ: أكرمتُكَ لفَضْلِك[٣].

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾؛ أي: تَقَدَّمَ النبوَّةَ ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدَها.

وقيل: قبلَ الفتحِ وبعدَه.

وقيل: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ من ذنبِ آدمَ وحوَّاءَ عليهما السلام ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمَّتِك.

وقيل: ما وَقَع وما يَقَعُ على طريقِ الوعدِ مغفورٌ.

وقيل: أولَ ذنوبِكَ وآخِرَها، ووحَّد[٤] لأنه إشارةٌ إلى الجنس.

عن ابن الأنباري رده بقوله: «هذا الذي قاله أبو حاتم غلط؛ لأن لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها، ولو جاز أن يكون معنى (ليغفر): ليغفرن، لقلنا: ليقوم زيد، بتأويل: والله ليقومن، وهذا معدوم في كلام العرب، وليس هذا بمنزلة: أظرف بزيد؛ لأن التعجب عدل به إلى لفظ الأمر، ولام القسم لم توجد مكسورة قط».

(١) البيت لأبي عناب الطائي كما في «مجالس ثعلب» (ص: ١٠٣)، و«المسائل البصريات» للفارسي (ص: ٤٠٥)، وتقدم عند تفسير الآية (١٢١) من سورة (التوبة).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، واستغربه.

(٤) في (ف): «فوحد».

وقيل: هذا على وجهِ المبالغةِ؛ كما تقولُ: أعطي مَن رَأَى ومَن لم يَرَ.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإعلاءِ دِينكَ وفتحِ البلادِ على يَدِك ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: ويُثبِّتَكَ[1] عليه.

* * *

(٣) ـ ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذا عزٍّ لا ذلَّ بعدَه أبداً.

وقيل: مُعِزًّا.

وقيل: ممتنِعاً على غيرِكَ مِثْلُه.

وقيل: عزيزاً لا يُزيلُه ولا يَعْلُوه عددٌ[2]، من قولِهم: تمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلقُ[3].

* * *

---

(١) في (ف): «أي يثبتك».

(٢) في (ف): «أحد».

(٣) انظر: «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١٤٤)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٤)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٢٥٧)، و«ومجمع الأمثال» (١/ ١٢٦). قال المفضل ونقله عنه أبو عبيد: هذا المثل للزباء الملكة، وكانت سارت إلى «مارد» حصنِ دومة الجندل، وإلى «الأبلق» حصن تيماء، فامتنعا عليها، فعندها قالت ذلك.

قال الميداني: الأبلق: حصن للسموءل بن عَادِياء، قيل: وصف بالأبلَق لأنه بني من حجارة مختلفة الألوان بأرض تَيْماء.

وقال العسكري: يُضْرب مثلاً للرجل العزيز المنيع الذي لا يُقدر على اهتضامه.

(٤) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ابنُ عيسى: السَّكِينةُ: البَصِيرةُ التي تَسْكُنُ إليها النَّفْسُ(١).

وقيل: السَّكينةُ اسمٌ لِمَا يُسكَّنُ به الشيءُ؛ أي: يدومُ على ما هو عليه ولا يَزولُ.

وقيل: السكينةُ: الصبرُ على أمرِ الله، والثقةُ بوعدِ الله، والتعظيمُ لأمر الله.

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: يقيناً مع يقينِهم.

وقيل: إيماناً بالشرائعِ مع إيمانِهم بالله.

وقيل: صبراً مع اجتهادهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كلُّهم عَبيدُه.

وقيل: كلُّ ما في السماوات والأرضِ بمنزلةِ الجندِ له، لو شاء لانتصَرَ به كما يُنتصَرُ بالجند.

وقيل: جنودُ السماوات: الملائكةُ، وجنودُ الأرض: الإنسُ والجنُّ.

وقيل: كلُّها جنودٌ من حيث إنها تَدُلُّ على الوحدانيَّة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما فيهما ﴿حَكِيمًا﴾ بخَلْقِهما.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٤)، ونسبه لأهل المعاني، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٩) عن ابن عيسى في تفسير السكينة أنها الرحمة.

(٥) ـ ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ في سبب النزول: أنها متَّصلةٌ بالأولى على ما حكَيْنا، قيل: إنها نزلت عند نزول قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩]، فلمَّا نزلت: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال رجلٌ من القوم: هنيئاً مريئاً لك يا نبيَّ الله، قد بيَّنَ اللهُ لنا ما يُفْعَلُ بك، فماذا يُفعَلُ بنا؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[1].

﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: يُغَطِّيها، فهو بمعنَى المغفرةِ؛ أي: يكفِّرُ عنهم سيئاتِهم قبلَ أنْ يُدْخِلَهم الجنةَ؛ ليَدْخُلوها معرَّيْنَ من الآثام، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾.

وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في الدارِ الآخرة، وقيل: في حُكمِ الله، كما تقولُ: هذا عندَ الشافعيِّ[2] جائزٌ؛ أي: في حُكْمِه.

وهذه اللَّامُ متعلِّقةٌ بـ﴿فَتَحۡنَا﴾، ولم تَدْخلِ الواوُ لأن التقدير: إنَّا فتَحْنا ليَغْفِرَ، إنَّا فتَحْنا[3] ليُدْخِلَ المؤمنين.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿أَنزَلَ﴾، وتقديرُه: ليزدادوا إيماناً ليُدْخِلَ المؤمنين، فيكونُ بدلاً من قوله: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ﴾ بدلَ الاشتمال.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ﴾؛ أي: يزدادوا ليُدْخِلَ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه وقال: «حسن صحيح».

(٢) في (ف): «أبي حنيفة».

(٣) «ليغفر إنا فتحنا» من (ف).

وقيل: متَّصلٌ بالمعنى، وتقديرُه: ولله جنودُ السماواتِ والأرضِ ولم يَنتصِرْ بهم وانْتَصَر بالمؤمنين ليُدخِلَ المؤمنين.

***

(٦) ـ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ هو عطفٌ على ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ على الوجوه كلِّها ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هو ظنُّهم أنْ لن يَنقلِبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً.

وقيل: ظنُّهم أنَّ اللهَ يَنصرُهم على رسولِه والمؤمنين.

وقيل: ظنُّهم أنَّ للهِ شريكاً.

وقيل: ظنُّهم أنْ لن يَبْعَثَ اللهُ أحداً.

﴿**عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السُّوءِ**﴾؛ أي: تَدورُ عليهم ويَعودُ عليهم ضررُ ما دبَّروا، ويقعُ الفسادُ والهلاكُ بهم.

﴿السُّوء﴾ بالضمِّ: المصدرُ، ويَصْلُحُ للاسم فقد جاء مجموعاً نحو: الأسواء.

و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتحِ[1]: النعتُ، و﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾؛ أي: ظنَّ الأمرِ السَّوءِ، فيكونُ من بابِ: مسجِدِ الجامِعِ، وصلاةِ الأُوْلى.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: انْتَقم منهم ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: وأَبْعدَهم من رحمتِه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾: هيَّأَها لهم، وكلُّ لفظةٍ من هذهِ الثلاثِ يُنْبِئُ عن الأُخْرَيَينِ لكنَّ الإطنابَ في الإبعادِ أبلغُ، ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: جهنَّمُ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (١١٩).

(٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيَدفعُ كيدَ مَن عادَى نَبيَّه عليه السلام والمؤمنين بما شاءَ منها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في أمرِه ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعْلِه.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على أمَّتِكَ يومَ القيامة.

وقيل: شاهداً لهم بعَمَلهم.

وقيل: شاهداً للأنبياء عليهم السلامُ بالتبليغ.

وقيل: مبيِّناً لهم، وقد سَبَق.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين، ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين.

وقيل: مبشِّراً لمن أطاعَ، ونذيراً لمن عَصَى.

* * *

(٩) ـ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نزِّل خطابُ النبيِّ عليه السلام منزلةَ خطابِ المؤمنين، ومَن قرأ بالياء[1] فتقديرُه: أرسلناكَ إليهم ليُؤْمِنوا، وكذلك ما بعدَه.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تُطِيعُوه، وقيل: تُبجِّلوه.

وقيل: تنصُروه بالسيف، العَزْرُ والتَّعْزيرُ: النصرُ مرةً بعد أخرى.

وقيل: تعظِّموه.

---

(١) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

والهاءُ يعودُ إلى اللهِ سبحانه؛ كقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وكذلك قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: تعظِّموه؛ كقوله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: عظمةً.

وقيل: الضميرُ فيها يعودُ إلى النبيِّ ﷺ؛ أي: تعظِّموا النبيَّ ﷺ وتَدْعوه باسمِ الرسولِ وباسمِ النبيِّ عليه السلام.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ أي: تسبِّحوا اللهَ وتنزِّهوه، وقيل: تصلُّوا له. وهذا للهِ خاصةً، واستَحْسَنوا الوقفَ على ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ لهذا(١).

ويحتمِلُ: وتُسبِّحوه معه(٢)، فيكونُ للنبيِّ ﷺ أيضاً، وفيه بُعْدٌ(٣).

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، وقيل: دائماً.

* * *

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: هي بيعةُ الرِّضوانِ تحتَ الشجرةِ على ما سَبَق.

وقيل: ليلةَ العقبةِ، وفيه بعدٌ.

وسمَّاها مبايعةً تشبيهاً بعَقْدِ البيع، وقيل: هو بيعٌ وشِرًى؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١١١].

---

(١) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ٢٠٠)، و«منار الهدى» للأشموني (٢/ ٢٨٠).

(٢) في (ف): «وتسبحوا له معه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٢)، وعده من العجائب.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: قوَّةُ اللهِ في نصرةِ الرسولِ فوقَ قوَّتهم.

القفَّال: المعنى راجعٌ إلى ما جَرَتْ به العادةُ من التَّصافُقِ بالأيدي في المبايَعات.

وقال أيضاً: هو من قولهِ عليه السلام: «اليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى، العُلْيَا المعطيَةُ»[1]؛ أي: اللهُ يعطيهِم ما يكونُ له به الفضلُ عليهم.

ابنُ عيسى: عَقْدُ اللهِ في هذه البيعةِ فوقَ عَقْدِهم[2].

وقيل: مُلكُ اللهِ فوقَ مُلْكهم.

وقيل: يدُ اللهِ بالوَفاء[3] فوقَ أيديهِم.

وقيل: نِعَمُ اللهِ بما هداهُم له فوقَ إجابتِهم إلى ما أجابوا إليه من البَيْعة.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نَقَضَ العهدَ ولم يَفِ به، وقيل: كَفَر، والنَّكْثُ: نَقْضُ الفَتْلِ، والنِّكْثُ بالكسر: المنكوثُ.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: عليها وبالُ ذلك.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أتى به وافياً غيرَ مُنتَقِضٍ.

وقيل: عاهَدَ عليه اللهَ في إيمانه.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: جزيلاً، وهو الجنةُ ونعيمُها.

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة»، وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، واستغربه.

(٣) في (ن): «بالوفاق».

(١١) - ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ هم أَسْلَمُ وجُهَيْنةُ ومُزينةُ وغِفَارٌ، سُمُّوا مخلَّفين لأنَّ اللهَ سَلَبهم التوفيقَ لمَّا لم يُخلِصوا فخلَّفهم.

وقيل: المخلَّفُ: الذي لا يُؤْبَهُ به، قال الشاعرُ:

مُخَلَّفونَ وَيَقْضِي النَّاس أمْرَهُمُ ... غُشُّو الأمانَةِ صُنبورٌ(١) فصُنْبورِ(٢)

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ أي: لم يكنْ لنا مَن يَخلُفُنا في أموالِنا وأَهْلِينا، فخِفْنا الضَّياعَ علينا وعليهم، ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: سَلِ اللهَ أنْ يَغْفِرَ لنا تخلُّفَنا عنك وإنْ كان عن عذرٍ.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: قولَهم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾.

---

(١) في (ن): «غُشُّوا الأمانةَ صنبوراً فصنبوراً».

(٢) البيت لأوس بن حجر. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٥)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١١)، و«جمهرة اللغة» (١/ ١٣٥)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٩٠)، و«الصحاح» مادة: (غ س س)، و«مقاييس اللغة» (٤/ ٣٨٢) مادة: (غ س س)، و«المحكم» لابن سيده (٥/ ٣٤٩)، و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٥٩). ورواية الديوان وأكثر المصادر: «غسُّ الأمانة»، قال ابن فارس: الغين والسين ليس فيه إلا قولهم: رجل غس؛ إذا كان ضعيفاً. ومنه قول أوس، وذكر البيت.

وقال الحريري: من رواه بالسِّين المهملة عَنى أنهم ضعفاء الأمانة، ومن رواه بالشين المُعْجَمَة، فاشتقاقه من الغِشّ.

وقال ابن سيده: رجل غُشٌّ: غاشٌّ، والجمع: غُشُّون، ثم ذكر البيت.

وقال الجوهري: رواه المفضل: «غُشُّ» بالشين معجمة كأنه جمع غاشٍّ، مثل بازل وبُزل. ويروى «غش» نصباً على الذم بإضمار (أعني).

وقيل: هو قولُهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ لأنهم عَلِموا أنَّ المانعَ خُبْثُ نيَّتِهم.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: مَن يمنعُكم من عذابِ الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ وأنتم في أموالِكُم وأهليكُم.

وقيل: ﴿أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾: هزيمةً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾: ظهوراً على عدوِّكم وغنيمةً.

وقيل: معناه: استغفاري لكم مع خُبْثِ نيَّتِكم لا يَدْفعُ عنكم عذابَ الله.

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ ردَّ بـ﴿بَلْ﴾ قولَهم: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾؛ أي: إنما خلَّفكم ظنُّكم أنَّ المشركينَ يَستأصِلونَ الرسولَ والمؤمنين، فلا يَرْجعُ أحدٌ منهم إلى أهله؛ إمَّا أنْ يُقْتَلوا، أو يُهْزَموا فيَتَبدَّدوا في البلاد.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: زيَّنَه الشيطان، وقيل: قُوِّيَ في قُلوبكم(١).

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ مِن عُلُوِّ الكفَّارِ وانتشارِ الفَساد.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾: هالِكِين، وقيل: فاسِدِين، وقيل: شِراراً.

يقالُ للواحدِ والجمعِ: بُورٌ، وبارَ الشيءُ: هَلَكَ وفَسَد، وبارَتِ الأرضُ: لم تُثْمِرْ ولم تُنْبِتْ.

---

(١) في (ن): «قوى قلوبكم».

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾: ناراً مسعورةً مُلْهَبةً.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

* * *

(١٥) ـ ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أن هؤلاء هم المخلَّفون من الأعرابِ المذكورون فيما تقدم:

﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ ﴾: ذَهَبْتُم ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾: هي مغانمُ خيبرَ، وُعِدَ أهلُ الحديبيَة ذلك: أنَّ غنائمَ خيبرَ لهم خصوصاً؛ مَن غاب منهم ومَن حَضَر، قالوا: ولمْ يَغِبْ منهم عنها أحدٌ إلا جابرُ بنُ عبد الله، فقسَم له رسولُ اللهِ ﷺ كسَهْم مَن حَضَر.

وذكر الزهريُّ: أنَّ غنائمَ خيبرَ كانت بينَ أهل الحديبيَةِ مَن حَضَر منهم خيبرَ، ولمن غاب، ولمن حضَرها من غيرِهم من الناس[1].

وكان انصرافُ رسولِ الله ﷺ من الحديبيَة في ذي الحجَّة، فأقام بالمدينةِ بقيَّةَ ذي الحجَّة وبعضَ المحرَّم من سنةِ ستٍّ، ثم خرج في بقيَّةِ المحرَّم إلى خيبرَ، وخرج معه مَن شَهِد الحديبيَةَ، ففتَحَها وغَنِمَ أموالاً كثيرة وجعَلَها لهم خاصَّة.

ورُوي أنه عليه السلامُ لمَّا بَدَا حِصْنُها قال: «خَرِبَتْ خيبرُ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرِين»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٣٠١٩) كذا مرسلاً.

(٢) رواه البخاري (٩٤٧)، ومسلم (١٣٦٥)، عن أنس رضي الله عنه.

فلمَّا سمعَ هؤلاء المنافقون بوَعْدِ رسولِ اللهِ ﷺ أصحابَه غنائمَ خيبرَ قالوا: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ فمنعَهم النبيُّ ﷺ[1]؛ لأنَّ الله أمرَه أنْ لا يُخرجَ إلى خيبرَ إلا أهلَ الحديبيَةِ؛ لتكونَ الغنيمةُ لهم عِوَضاً من غنائمِ مكة إذا انصَرَفوا عنهم على صُلْحٍ.

﴿يريدون أن يبدّلوا كَلِمَ اللهِ﴾ هو مصدرٌ، وقُرِئ: ﴿كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[2]: جمعُ كلمةٍ، هو قوله: لا يَخْرجْ إلى خيبرَ إلا أهلُ الحديبيَةِ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ ولم يكونوا مؤمنينَ بوعدِ اللهِ المسلمِينَ ما وعَدَهم، ولكنَّ استئذانَهم إلى خيبرَ كان فِعْلَ مَن يريدُ تبديلَ كلامِ الله، فقال اللهُ لنبيِّه: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ هو نفيٌ وليس بنهيٍ؛ لأنَّ اللهَ قال ذلك ولا يُبدَّلُ القولُ لديه.

وقيل: إلى خيبرَ فقط.

وقيل: عامٌّ في غزواته.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: قبلَ انصرافهم إلى المدينة وقبل[3] تهيُّئهم للخروجِ إلى خيبر.

وذهَبَ جماعةٌ من المفسِّرين فيهم الزجَّاجُ إلى أن ﴿كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ هاهنا قولُه في سورة (براءة): ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣][4].

وذهب بعضُهم إلى أنَّ هذا في قصَّةِ تبوكَ كما سبق، وهي بعدَ الحديبيَةِ بسنتَينِ بإجماعٍ من أهلِ المغازي في هذا، حتى ذهَب بعضُهم إلى أنَّ هذه الآيةَ ـ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٢)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٢٦١).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَلِمَ الله﴾، والباقون: ﴿كلام الله﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١).

(٣) في (ف): «وقيل»، وهي غير منقوطة في (ن)، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤).

أعنـي: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ ـ نزلـت فـي غزوةِ تبـوكَ، والذي عليـه المحقِّقون ما ذكَـرْتُ أوَّلاً.

وقيل: لا ينكَرُ أنْ يكونَ اللهُ قد نَهَى نبيَّه عليه السلامُ عن الغزوِ بهؤلاء بوحيٍ غيرِ القرآن(١).

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾؛ أي: لم يأمُرْكم به اللهُ ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أنْ نشارِككم في الغنيمة، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا يَفْقَهون من كلامِ الله إلا شيئاً قليلاً.

وقيل: لا يعلمونَ أنْ لا تبديلَ لكلامِ الله.

وقيل: الاستـثناءُ من واوِ الضَّمير، ونُصِب على أصلِ الاستثناء، وهم الذين أسلَموا منهم.

* * *

(١٦) ـ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿قُلْ﴾ يـا محمـدُ ﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هـم المخلَّفـون عـن الحديبيَـةِ: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾: يَدْعُوكم النبيُّ ﷺ ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم هَوَازِنُ وغَطَفانُ.

وقيل: هم الرُّومُ غَزاهم رسولُ اللهِ ﷺ في تبوكَ.

وقيل: يَدْعوهُم(٢) أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى بني حَنيفةَ مع مُسَيْلمةَ الكذَّاب.

وقيل: عمرُ رضي الله عنه إلى فارسَ.

---

(١) في (ن): «حتى عبر القرآن أي قراء نسخه»، ولعله تحريف صوابه: «بوحي غير القرآن فرأى نسخه»، والله أعلم.

(٢) في (و): «يدعوكم».

وقيل: المخلَّفون عن تبوكَ، وكانوا ثلاثةَ أصناف:

صنفٌ كفَروا، ونزَلَتْ فيهم: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وصنفٌ أَسْلَموا وهم الذين ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وصنفٌ هم: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وهم المعنيُّون بهذه الآية.

والدَّاعي يجوزُ أنْ يكونَ النبيَّ ﷺ، ويجوزُ أن يكونَ أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما؛ لأنهم بَقُوا إلى هذه المدَّة.

وقيل: الخلفاءُ جميعاً داخِلُون في الآيةِ، وكذلك الكفَّارُ جميعاً.

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾؛ أي: أو هم يُسْلِمون.

وقيل: إلى أنْ يُسْلِموا، فلمَّا حُذِف (أنْ) رُفِعَ الفعلُ[1].

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: في الدنيا الغنيمةَ، وفي الآخرةِ الجنةَ.

وقيل: الغنيمةَ فحَسْبُ فيمَن حمَله[2] على المنافقين وجَعَلَ الداعيَ غيرَ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّهم إذا أَظْهَروا الإيمانَ لَزِم الخلفاءَ والمؤمنين إجراؤُهم مُجرى المخلِصين.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: عن الحُديبيَةِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٣)، واستغربه.

(٢) في (ف): «حملهم».

(١٧) ـ ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: قال أهلُ الزَّمَانةِ: وكيفَ بنا يا رسولَ الله؟ فأنزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1]: إثمٌ في التخلُّف؛ لأنَّه كالطائرِ المقصوصِ الجَناحِ لا يَمتنِعُ على مَن قَصَده.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ من العلَّة اللَّازمةِ إحدى الرِّجْلَين أو كلتَيْهما.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ﴾: الذي لا قوَّةَ بـه ﴿حَرَجٌ﴾، وتـمَّ الكلامُ، ثُم قال:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمرُه وينهاهُ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يُعْرِض عن الطاعةِ ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: هم الذين تَقَدَّم ذكرُهم.

وقيل: ذلك عامٌّ في كلِّ مَن بايَعَ رسولَ اللهِ ﷺ، وهذا خاصٌّ في أصحابِ بيعةِ الرِّضوان.

وسـمِّي بيعـةَ الرِّضـوانِ لقولـه: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والشـجرةُ كانت سَمُرةً.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (٢٠/ ٣٠٢)، ولعله من رواية الكلبي كما أورده السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٦).

وقيل: سِدْرةً[1].

قال القفَّال: ورُوي أنها عُمِّيتْ عليهم مِن قابلٍ فلم يَدْرُوا أين ذهبَتْ.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من صحَّةِ العقائدِ ونُصرةِ الرسولِ عليه السلام.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: الصبرَ، وسكونَ النفسِ إلى صِدْقِ الوعدِ، وقوةَ القلب، حتى اطمأنَّتْ إلى طاعةِ الرسولِ ﷺ.

﴿وَأَثَـٰبَهُمْ﴾: جازاهُم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: فتحَ خيبرَ، وقيل: فتحَ مكةَ، وقيل: فتحَ مكةَ وعدًا.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾: هي مغانمُ خيبرَ ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: يَغْنَمونها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(٢٠) - ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هي ما أصابوهُ مع النبيِّ ﷺ وبعدَه إلى يومِ القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ﴾ يعني: غنيمةَ خيبرَ، ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي: أيديَ قريشٍ.

وقيل: أيديَ اليهودِ عنكم حين خرجتُم وخلَّفْتُم عيالَكم بالمدينة، وهمَّتِ اليهودُ بهم فمنعَهم ذلك.

﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً﴾ قيل: هذه الغنيمةُ المعجَّلةُ دليلاً على ما وَعَدهم من الغنائم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٤)، واستغربه.

وقيل: ولتكونَ هذه الغنيمةُ دلالةَ النبوَّة؛ لأنه وعدَهم فتحَ خيبرَ في طريقِ الحُديبيَةِ.

وقيل: كفَّ اليهودِ عن عيالِكُم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

واللامُ في ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ تقدير الآيةِ: وعَدَكم اللهُ مغانمَ ليجازِيَكم على ما كان منكُم ولتكونَ آيةً للمؤمنين، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾؛ أي: وعَدَكم الله مغانمَ أُخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾: على فتحِها فيما مَضَى ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: قَدَر على تمكينِكُم منها وفَتْحِها لكم.

ابن عباسٍ: هي فارسُ[(١)].

وقيل: قُرى عُيَيْنَةَ.

وقيل: فتحُ مكة.

وقيل: وعَدَكُم مغانمَ أخرى بنصرِه إيَّاكم على الكفَّار لم تقدِروا بَعْدُ عليها و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علماً: أنها ستَصيرُ إليكم، وهي غنائمُ فارسَ والرومِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: قادراً بذاته[(٢)].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٤) بلفظ: «فارس والروم».

(٢) «قادراً بذاته»: ليس في (ن).

(٢٢) ـ ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾؛ أي: لو قاتَلكم قريشٌ يومَ الحُديبيَة ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: لانْهَزَموا؛ أي: لم يكنْ قتالٌ، ولو كان لكانَ بهذه الصِّفة.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يَلِي أمرَهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصُرُهم.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: سَنَّ سُنَّةً قديمةً فيمَن مَضَى من الأمم أنَّ مَن قاتَلَ نبيًّا غُلب.

وقيل: سُنَّةَ اللهِ في نَصْرِه مَن أَمَره من الأنبياءِ بالقتال.

وقيل: سنتَّه أنَّ كلَّ قومٍ قاتَلوا أنبياءَهم انْهَزَموا.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ﴾ في نصرةِ رُسُله ﴿تَبْدِيلًا﴾: تَغييراً.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ في سببِ النزولِ عن أنس رضي الله عنه: أنَّ ثمانين رجلاً من أهلِ مكةَ هَبَطُوا على رسولِ الله ﷺ من جبلِ التنعيم متسلِّحينَ يريدونَ غِرَّةَ النبيِّ وأصحابِه، فأَخَذهم فاستَحْيَاهم، فأَنْزلَ اللهُ هذه الآية[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ مُغفَّلٍ المُزَنيِّ قال: كنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ بالحُديبيَةِ في أصلِ

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٨).

الشَّجرةِ التي ذكَرَها الله تعالى في القرآن، فبَيْنَا نحن كذلك إذ خَرَج علينا ثلاثون شابًّا عليهم السلاحُ، فثارُوا في وجوهِنا، فدَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ، فأخذ اللهُ بأبصارهم، فقُمْنا إليهم فأخَذْناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل كنتُم في عهدِ أحدٍ؟ وهل جَعَل لكُم أحدٌ أمانًا؟» فقالوا: اللهمَّ لا، فخَلَّى سبيلَهم، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

وقيل: كفَّ أيديَكُم بأنْ أَمَرَكم أنْ لا تحاربوا المشركين، وكفَّ أيديَهم عنكم بإلقاءِ الرُّعب في قلوبِهم.

وقيل: بالصُّلحِ من الجانبينِ.

وقيل: إنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسِ مئة رجلٍ، فقال رسول الله ﷺ لخالدِ بنِ الوليد: «هذا ابنُ عمِّك قد أتاكَ في الخيل»(٢)، فقال خالدٌ: أنا سيفُ اللهِ وسيفُ رسولِه، ارْمِ بي حيث شئتَ، فبَعَثَه على خيل(٣) فلقِيَ عكرمةَ في الشِّعب، فهزمَه حتى أدخَلَه حيطانَ مكَّة، ثم عادَ فهَزَمه حتى أدخَلَه جوفَ مكَّةَ، فأَنْزَل الله هذه الآيَةَ، وسُمِّي خالدٌ يومئذٍ سيفَ الله(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧١٦).

(٢) في (ف): «الجبل».

(٣) في (ف): «جند».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٠)، عن ابن أبزى مرسلًا، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣١٨) بعد أن ساقه: «وهذا السياق فيه نظر، فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالدًا رضي الله عنه لم يكن أسلم، بل قد كان طليعة المشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح، ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام المقبل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام، ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه. فإذا قيل: فيكون يوم الفتح؟ فالجواب: ولا يجوز أن يكون يوم الفتح؛ لأنه لم يسق عام الفتح هدياً، وإنما جاء محاربًا =

ويحتَمِلُ: ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ بالرُّعب؛ لقوله عليه السلام: «نُصِرْتُ بالرُّعب»(١)، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ بقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآيةَ.

ورُوِي أنَّ كفَّارَ مكةَ خرجوا يومَ الحديبيَةِ يرمُونَ المسلمين، فرماهُم المسلمون بالحجارةِ حتى أدخلوهم بيوتَ مكَّةَ(٢).

القفَّال: ويجوزُ أن يكونَ جميعَ ما رُوي.

﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: كَفَّ أيديَكم عن القتالِ ببطن مكة، فهو ظرفٌ للقتالِ. وبطنُ مكةَ هو الحديبيةُ؛ لأنها من أرضِ الحرم.

وقيل: ببطنِ أرضِ مكةَ، والحرمُ كلُّه مكةُ.

وقيل: إظفارُه: دخولُه بلادَهم بغيرِ إذْنهم.

وقيل: ﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بفتحِ مكة.

وقيل: بقضاء العمرة.

وقيل: هذه الآيةُ نزلتْ بعدَ فتحِ مكةَ. حكاهُ أقضى القُضاة(٣).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

* * *

= مقاتلًا في جيش عرمرم، فهذا السياق فيه خلل، وقد وقع فيه شيء فليتأمل، والله أعلم».

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٨) دون نسبة.

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٣١٨).

(٢٥) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: قريشاً ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ عامَ الحُديبيَةِ ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أنْ تَطوفُوا به للعُمْرة.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾: وصدُّوا الهديَ معكوفاً، وقيل: صدُّوكم مع الهديِ.

و﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ؛ أي: وهو معكوفٌ ممنوعٌ، وقيل: مجموعٌ، وقيل: موقوفٌ.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: مَنْحَرَه؛ أي: أنْ لا يَبْلُغَ، وقيل: معكوفاً عن أنْ يبلُغَ؛ أي: يُنْحَرَ وينتهي[1] الأمرُ به إلى ما سِيق له.

والمَحِلُّ: اسمُ الزمانِ والمكانِ، من حلَّ يَحِلُّ؛ إذا وَجَب.

قيل: مَحِلُّ هديِ العُمرةِ مكةُ، ومَحِلُّ هديِ الحجِّ مِنًى.

و﴿وَٱلْهَدْىَ﴾: جمعُ هَدْيَةٍ[2]، ولم يؤنَّثْ لأنَّ الجمعَ إذا لم يكُنْ بينَ واحِدِه وجَمْعِه إلا الهاءُ جاز تذكيرُه وتأنيثُه.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾؛ أي: لم تَعْرِفوهم بأعيانهم أنَّهم مؤمنونَ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: تُوْقِعوا بهم، تقولُ: وَطِئْتُ القومَ؛ إذا أَوْقَعْتَ بهم، قال الشاعر:

---

(١) في (ن): «أن ينحر فينتهي».

(٢) انظر: «الغريبين» مادة: (هـ د ى)، وفيه: الهَدْيُ والهَدِيُّ: لغتان، وهو ما يُهْدَى إلى بيت الله من نَعَمٍ أو غيرها، والواحدُ: هَدْيَةٌ وهَدِيَّةٌ. ونحوه في «الصحاح» مادة: (هـ د ى).

قلت: التخفيف قراءة الجمهور، والتشديد رواية عصمة عن عاصم كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٣)، ورواية اللؤلؤي وخارجة عن أبي عمرو كما في «البحر» (١٩/ ٢٩٩).

وَوَطِئْتَنا وَطأً على حَنَقٍ وَطءَ المُقيَّدِ نَابِتَ الهَرْمِ[١]

ومنه قولُه عليه السلام: «اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ»[٢].

ويقالُ: إنَّ قوله عليه السلامُ: «وإِنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بوَجٍّ»[٣]= من هذا؛ لأن (وجّ) وادٍ بالطائفِ، وكان آخرُ وقعةِ النبيِّ ﷺ بها.

وقيل: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ بخيلِكم ورَجِلِكم فتَقْتُلوهم بسيوفكم[٤].

ومحلُّ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ رفعٌ بالبدلِ من قوله: ﴿رِجَالٌ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

وقيل: محلُّه نصبٌ بدلٌ من الضميرِ في ﴿تَعۡلَمُوهُمۡ﴾[٥].

وقيل: كراهةَ أَنْ تَطَؤُوهم. والوجهُ هو الأوَّلُ.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم﴾: من جهتهِم ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾: عَيْبٌ بأنْ قَتلْتُم مَن على دِينِكم. وقيل: ديةٌ، وقيل: إثمٌ، وقيل: كفَّارةُ عتقِ رقبةٍ أو صيامِ شهرينِ، وقد سبق.

---

(١) البيت للحارث بن وعلة كما في «شرح القصائد السبع الطوال» للأنباري (ص: ٥٤٩) و«أمالي القالي» (١/ ٢٦٣)، والمعنى: أخذتنا بغضبك فأثرت فينا كما يؤثر البعير المقيد بالشجرة الضعيفة إذا وطئها.

(٢) رواه البخاري (١٠٠٦)، ومسلم (٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٥٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٧٥) من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٥٤): «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات».

ورواه الإمام أحمد أيضاً (٢٧٣١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٣٩) و(٢٤/ ٢٤١) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها. قال ابن حجر في «إتحاف المهرة» (١٦/ ٩٢٩): «فيه انقطاع».

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٨٩): «معناه عند أهل النظر: أن آخر ما أوقع الله سبحانه وتعالى بالمشركين بالطائف.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥)، واستغربه.

والمَعَرَّةُ: العيبُ، والعَرُّ: الجَرَبُ، والعُرَّة: العَذِرة[1]، قريبٌ بعضُها من بعضٍ.

وجوابُ ﴿لولا﴾ محذوفٌ تقديرُه: لفَتَح عليكم مكةَ في الحال.

وقيل: جوابُ ﴿لَوْ﴾ و﴿لولا﴾ معاً قولُه: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ اللامُ متعلِّقٌ بما دلَّ عليه ﴿كَفَّ﴾.

وقيل: متَّصل بـ(المؤمنين والمؤمنات)؛ أي: آمَنوا ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ﴾، حكاه القفَّال، وقال: قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متقدِّمٌ في النيَّة، تقديرُه: لم تعلَموهم أن تَطَؤوهم بغيرِ علم.

قال: ويجوزُ أن يكونَ ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ جواباً للنفي[2]، ويجوزُ أن يكونَ عطفاً على ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾: تميَّزوا، وقيل: تفرَّقوا، من قوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ كنايةٌ عن أهلِ مكةَ، فيكونُ (مِن) للتبعيض.

وقيل: هم الصَّادُّون، فيكون (مِن) زيادةً.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والسَّيف.

* * *

(٢٦) ـ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ العاملُ في ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ﴾: (عذَّبنا).

وقيل: واذْكُرْ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قريشاً.

---

(١) في النسختين: «القذرة»، والصواب المثبت؛ ففي «وفقة اللغة» للثعالبي (ص: ٨٤): «العرّة البعر المختلط بالتراب»، وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٣١٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٥) عن القفال، واستغربه.

﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الحميَّةُ: الأَنَفةُ.

والحَمِيَّةُ: حالةٌ تُمنعُ النَّفسُ عندَها ممَّا تُعابُ به، تقول: حَمَيْتُ أنفي حَمِيَّةً، وحَمَيْتُ المريضَ حِمْيَةً، وحَمَيْتُ القومَ حِمَايةً.

وحميّةُ الجاهليةِ: أَنَفَتُهم من الإقرارِ لمحمدٍ عليه السلامُ بالرسالةِ والاستفتاحِ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، و(محمدٌ رسولُ الله)، ومنعِهم إياهُ دخولَ مكةَ.

وسمَّاها: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ لأنَّ اللهَ لم يأمُرْ بها.

وقيل: هي العصبيَّةُ للأصنامِ، والأَنَفةُ من عبادةِ الله تعالى.

وقيل: هي تقليدُ الآباء.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: وَقاراً وصبراً.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: ما يتَّقون بها غَضَبَ اللهِ، وهي توحيدُ اللهِ والإيمانُ برسوله.

والجمهورُ على أنها: لا إلهَ إلا اللهُ.

وقيل: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم.

وقيل: هي الإخلاصُ.

وقيل: سَمِعْنا وأَطَعْنا.

ومعنى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾: أَوْجَبَ عليهم.

وقيل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ الثباتَ عليها.

﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ من غيرهم؛ لأنَّ الله تعالى اختارَ لنبيِّه مَن هم خِيَارُ أُمَّته.

وقيل: وكان المؤمنون أحقَّ بكلمةِ التقوَى من المشرِكين.

وقيل: أحقَّ بمكةَ أنْ يَدخُلوها لإسلامِهم.

وقيل: ﴿وَكَانُوٓاْ﴾ يعني: أهلَ مكة ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾؛ أي: بكلمةِ التَّقوى؛ لتقدُّم إنذارِهم لولا ما سُلِبوه[1] من التوفيق.

وقُرئ: (وكانوا أهلَها وأَحَقَّ بها)[2].

المبرِّد: إنَّ الذين كانوا قَبْلَنا لا يكونُ لأحدٍ أنْ يقولَ: «لا إلهَ إلا اللهُ» في اليومِ والليلةِ إلا مرَّةً واحدةً لا يستطيعُ أنْ يقولَها أكثرَ من ذلك، وكان قائلُها يَمُدُّ بها صوتَه حتى يَنقطِعَ النَّفَسُ الْتِماسَ بَرَكتِها وفَضِيلتِها، وجَعَل اللهُ تعالى لهذه الأمَّة أنْ يقولوها متى شاؤوا[3]، وهو قولُه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ من الأممِ السالفة.

مجاهدٌ: ثلاثٌ لا يُحْجَبْنَ عن الربِّ: «لا إلهَ إلا اللهُ» من قلبٍ مؤمنٍ، ودعوةُ الوالدَينِ، ودعوةُ المظلوم[4].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيُجْرِي الأمورَ على مصالِحها.

وقيل: هو انتقامُ اللهِ لهم.

* * *

---

(١) في النسختين «سَلَبوهم» رسماً وضبطاً، والتصويب من «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٣٢١).

(٢) نسبت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٦)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٣١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦). وحديث دعوة المظلوم في الصحيحين، رواه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ معاذًا إلى اليمن، فقال: «اتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّها ليس بينها وبين الله حجابٌ».

وروى الترمذي (١٩٠٥) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالدِ على ولدِه». وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ».

(٢٧) ـ ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسولُ اللهِ ﷺ رأى في المنامِ رؤيَا، ولها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنه رأى رؤيَا تعبيرُها دخولُ مكةَ على الصِّفةِ المذكورةِ في القرآن.

والثاني: أنه رأى [أنه] يَدْخُلُ المسجدَ الحرامَ مع أصحابه محلِّقِينَ رؤوسَ البعضِ ومقصِّرينَ رؤوسَ البعضِ غيرَ خائِفين.

والثالثُ: رأى في المنامِ أنَّ ملكاً قال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أَخبرَ بها أصحابَه، فلمَّا صُدُّوا عن البيتِ وأَظْهَرَ رسولُ اللهِ ﷺ الرغبةَ في الانصرافِ على الصُّلح قال بعضُهم لبعضٍ: أليس كان يَعِدُنا رسولُ الله ﷺ أن نأتيَ البيتَ فنطوفَ به؟! فأجابه بعضٌ: هل أَخْبَرَكم أنكم تأتونَه العامَ؟ قال: لا، قال: فإنكم تأتونَه وتَطوفُون بالبيت، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[1]؛ أي: بتحقيقِه ما أَراهُ وهو أنْ يكونَ ما أَراهُ كما أَراهُ.

ويحتمِلُ أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قَسَماً ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ جوابَه[2]، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾.

---

(١) روى نحوه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في حديث صلح الحديبية الطويل.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

ومعنى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: مُحْرِمين بالعُمرة.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في الاستثناء أقوالٌ:

أحدها: أنه حكايةٌ لقولِ الملَكِ الذي قال له في المنام، فأَخْبرَ اللهُ أنَّ ذلك كان منه وبأمره، وأنه مُحِقِّقٌ هذه البِشارةَ، فأُخرِجَ بهذا القولِ الاستثناءُ مِن أنْ يكونَ على سبيلِ التعليقِ لإنجازِ الوعد.

والثاني: أنَّ ذلك خارجٌ على ما جاء في القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ من ذِكْرِ المشيئةِ؛ كقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٠]، والمعنى: أنه يَفعلُ بالعبادِ ما هو الصَّلاحُ، فيكونُ استثناءَ تحقيقٍ لا تعليقٍ.

والثالث: أنَّ اللهَ عَلِمَ أنه يُميتُ بعضَ هؤلاء ويُغيِّبُ البعضَ، فوقعَ الاستثناء لهذا[(١)].

والرابع: أنَّه لمَّا أدَّبَ اللهُ نبيَّه عليه السلامُ باستعمالِ الاستثناءِ في كلِّ ما يريدُ أنْ يفعلَه غداً أَجْرَى هذا على ما أدَّبه به، ومثلُه: ما رُوي عن النبيِّ ﷺ: أنه دخَلَ البَقيعَ فقال: «وإنَّا بكم لاحقونَ إنْ شاءَ الله»[(٢)]، وليس في الموتِ استثناء.

وقيل: الاستثناءُ من الخوفِ والأمنِ.

وقيل: معنى ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: بإذنه.

وقيل: الصيغةُ صيغةُ استثناءٍ والمعنى تسبيحٌ[(٣)]، كما يَرِدُ صِيغةُ الأمرِ وليس بأمرٍ، ويُعْرَفُ ذلك بالقَرينةِ[(٤)].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كلمة: «تسبيح» ليست في (ن).

(٤) تقدم كلام للمصنف على هذا في تفسير سورة (يوسف) الآية: ٩٩.

وقيل: ﴿إن﴾ بمعنى: إذ. وهو مزيَّفٌ[1].

﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ﴾ مِن تأخيرِ ذلك ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾، وهو ما ذُكِرَ مِن قولِه: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآية.

وقيل: عَلِمَ اللهُ أنه سيكونُ ذلك في السَّنةِ الثانية ولم تَعْلَموا أنتم، فلذلك وَقَع في نفوسِكم ما وَقَع.

وقيل: عَلِمَ مِن صلاحِ الصُّلْحِ ما لم تَعْلَموه.

وقيل: عَلِمَ أنَّه يَفْتَحُ خيبرَ ولم تَعْلَموه.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: دونَ دخولِكُم المسجدَ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتحَ خيبر، وقيل: صلحَ الحديبيَةِ، وسُمِّي ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾؛ أي: يَصِلُون بَعْدَه قريباً إلى دخولِ مكَّةَ.

وعن المبرِّد: أنَّ الآيةَ نزلتْ بعدَ فتحِ مكةَ، وقولُه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ حكايةُ حالٍ.

* * *

(٢٨) - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾: بالبيانِ الواضحِ، وقيل: بالقرآنِ، وقيل: بشهادةِ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: هو الإسلامُ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليُظْهِرَ الدِّينَ ويُبْطِلَ سائرَ المِلَلِ، وذلك كائنٌ عندَ نزولِ عيسى عليه السلامُ.

وقيل: قد فَعَل ذلك؛ لأنه ليس من أهلِ دِينٍ إلا وقد قَهَرهم المسلمون وظَهَروا

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، وعده من العجائب.

عليهم وعلى بُلدانهم، أو على بعضِها، وظهورُهم على بعضِ بلدانِهم ظهورٌ عليهم.

وقيل: ليُظْهِرَ محمَّداً، والمعنى: ليُطْلِعَه على كلِّ الفرائضِ فيكونَ ظاهراً له كاملاً.

وقيل: ليُظْهِرَه بالحُجَّةِ والبرهان، ومعنى الظهورِ: الغَلَبةُ والعُلُو.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ لنبيِّه، وشهادتُه له: ما آتاهُ من المعجزات.

وقيل: وكفَى به شهيداً: به[1] يُظْهِرَه.

* * *

(٢٩) - ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ بياناً للشهادة[2]، ويجوزُ أنْ يكونَ استئنافاً.

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ رفعٌ بالابتداء ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبرُه، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ابتداءٌ ﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرُه.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأً، ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفتُه أو عطفُ بيان، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطفٌ على المبتدأ، ﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبرٌ عن الجميع.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ في محلِّ جرٍّ عطفاً على قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾[3]،

---

(١) في (ن): «وقيل: كفى به شهيداً أن».

(٢) تقديره: شهيداً بأن محمداً رسول الله، فلما حذف الجار و(أنَّ) ارتفع بالابتداء والخبر. هكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٧)، واستغربه.

فيكونُ كقوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ويَحتمِلُ الرفعَ أيضاً من هذا الوجه، فإن الباءَ زيادةٌ، والتقديرُ: وكفَى اللهُ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ في محلِّ نصبٍ لقوله: ﴿تَرَىٰهُمْ﴾؛ كما تقولُ: زيداً رأيتُه، فيَنتصِبُ بفعلٍ مضمَرٍ.

والجمهورُ على أن قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: الصحابةُ.

وقيل: هم الأنبياءُ أجمعون[1]، فيكونُ التقديرُ: محمدٌ رسولُ الله والذين معه رسلُ الله، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿مَعَهُۥ﴾.

ومعنى ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: يُغْلِظون على مَن خالَفَ دِينَهم وإنْ كانوا آباءهم أو أبناءهم.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: يحنُّ ويَعْطِفُ بعضُهم على بعضٍ.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾: راكعِينَ ﴿سُجَّدًا﴾: ساجدِينَ؛ أي: يُكْثِرون الصلاة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بالصَّفْحِ عن تقصيرِهم ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: أنْ يتقبَّلَ أعمالَهم التي أتَوا بها على قَدْرِ إمكانهم.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قيل: ثَرَى الأرضِ ونَدَى الطَّهور.

وقيل: أَمَارةُ التهجُّدِ في وجوههم من السَّهَر.

وقيل: هو الخشوعُ والسَّمْتُ الحَسَن[2].

وقيل: تحسَبُهم مرضَى وما هم بمرضَى.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٧)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

وقيل: هو في القيامةِ من ابيضاضِ(١) الوجوهِ، ومن قولِهِ عليه السلام: «أمَّتي الغُرُّ المحجَّلون من آثارِ الوضوءِ»(٢).

وقيل: يَسْهَرُ باللَّيلِ فيُصبحُ مصفرًّا.

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أثرُ صلاتهم يَبْدو في وجوهِهم، من قولِه عليه السلام: «مَن كَثُرَ صَلاتُه باللَّيل حَسُنَ وَجْهُه بالنَّهار»(٣).

وقيل: هو ما يَبِينُ مِن جِبَاهِ المؤمِنينَ(٤).

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾: صِفَتُهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ عُرِّفوا إلى بني إسرائيلَ بهذا الوصفِ ليَعْرِفوهم إذا أَبْصَروهم، ثم ابتَدَأ فقال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾.

وقيل: الأولُ والثاني مَثَلان لهم في التوراةِ والإنجيلِ معاً؛ أي: ذُكِروا في كلِّ واحدٍ من الكتابَيْن بهذه الأوصافِ. والأولُ أظهرُ.

---

(١) في (ف): «بياض».

(٢) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٣٣)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ٨٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦)، وغيرهم، من طريق ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه يرفعه.

وقد اتفق العلماء على أن هذا ليس بحديث، وأن الراوي قد غلط في رفعه، قال السخاوي: واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه. انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٦٦٦).

وقد مثَّل به ابن الصلاح في «مقدمته» (ص: ١٠٠) للوضع من غير تعمد، فقال: «وربما غلط غالط، فوقع في شبه الوضع من غير تعمد، كما وقع لثابت بن موسى الزاهد في حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

﴿كـ﴾ـمَثَلِ ﴿زَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: نباتَه. وقيل: فراخَه، وأَشطَأَ الزرعُ: أخرجَ فراخَه، والشَّطْءُ: فراخُ الزرعِ التي تَنْبُتُ إلى جانبِ الأصلِ، ومنه: شاطئُ النَّهر.

وقُرِئ بالفتحِ[1]؛ وهما لُغتان.

﴿فَآزَرَهُۥ﴾: أعانَ الزرعُ الشَّطْءَ وقوَّاه، والأَزْرُ: القوَّة، وآزَرَ: أَفْعَلَ.

«الحجَّة»: آزَرَ الشَّطْءُ[2] الزَّرْعَ فصار في طُوله[3]. كأنه جَعَل وَزْنَه فاعَلَ.

وقرئ: ﴿فأَزَرَه﴾ بالقصر[4]، وهو بمعنَى المدِّ.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ الشَّطْء[5]: غَلُظ.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: تَنَاهَى وصار كالأصلِ[6]، و(سُوقُه): جمعُ ساقِ الزَّرع؛ أي: قَصَبُه.

وقيل: الساقُ: حاملةُ الشجرِ، فيكونُ هاهنا مستعاراً.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: يَسُرُّ الأَكَرةَ ويَتعجَّبون من قوَّته.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾؛ أي: ضَرَب ذلك المَثَلَ ليَغِيظَ اللهُ بمحمدٍ ﷺ وأصحابِه الكفَّارَ.

---

(١) قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء، والباقون بسكونها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٢) في (ف): «الشطأ».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٠٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، واستغربه.

(٤) قرأ بها ابن ذكوان. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢). وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨): و(أَزَرَ): فَعَلَ، و(آزَرَ): أفْعَلَ، وهما بمعنى واحد.

(٥) في (ف): «الشطأ».

(٦) في (ف): «تناهى فصار هو الأصل».

وقيل: هذا الزرعُ يَغِيظُ بأَكَرتِه الكفَّارَ؛ أي: سائرَ الزُّرَّاعِ الذين ليس لهم مثلُ زَرْعِهم، والكافرُ: الزَّارِعُ، وهذا قولٌ ضعيفٌ[1]، واللهُ أعلمُ.

أي: أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَج وحدَه ثم اتَّبَعَه مِن هاهنا قليلٌ ومِن هاهنا حتى كَثُروا واستَفْحَلَ أَمْرُهم فغاظَ[2] بهم أهلَ مكَّةَ وكفَّارَ العَرَب والعَجَم.

وفي بعضِ التفاسير: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أبو بكرٍ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمرُ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمانُ ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: عليٌّ رضي الله عنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: طلحةُ والزبيرُ ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾: سعدٌ وسعيدٌ وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ، وهؤلاء العشرةُ رضي الله عنهم مَثَلُهم في التوراةِ والإنجيل[3]، واللهُ أعلم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطاعاتِ.

وقيل: العملُ الصالحُ في الآيةِ حبُّ الصحابة.

﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ قيل: ﴿مِنْهُم﴾ لبيانِ الجنس.

وقيل: معناه: أقاموا على الإيمان والعملِ الصالحِ منهم.

وقيل: هذا الوعدُ لهؤلاء الذين ذُكروا في الآيةِ وهم أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وإن كان سائرُ المؤمنين قد وَعَدهم اللهُ المغفرةَ.

---

(١) وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨) من العجائب.

(٢) في (ف): «فغاض» وفي الهامش: «فغاظ».

(٣) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٩٠) عن علي رضي الله عنه، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٢) عن الحسن، ورواه الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» (١/ ١٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨)، وعده من العجائب.

وقيل: إن الكنايةَ في قوله: ﴿مِنۡهُم﴾ راجعةٌ إلى معنى الشَّطْء؛ لأنَّ الشَّطْء[1]: ما يتفرَّخُ عن أصلِ الزَّرع، والمرادُ به: مَن يدخلُ في الدِّين من[2] بعدِ الصحابةِ إلى يومِ القيامةِ، وفي أولئك مَن يُوصَفُ بالعمل الصالحِ، ومنهم مَن لا يُوصفُ به، حكاه القفَّالُ وقال: هذا محتملٌ. والله أعلم.

***

(١) في (ف): «معنى الشطأ لأن الشطأ».

(٢) «من»: ليس في (ف).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ثماني عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: مدنيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [١٣] إلى آخرِ الآية[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في سببِ النزول: عن ابنِ أبي

---

(١) «ثماني عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» (ص: ٤٣٧). وروى الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٧٤)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٤٧)، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ قال: لمَّا كان يومُ الفتح رَقي بلالٌ فأَذَّن على الكعبة، فقال بعضُ الناس: هذا العبدُ الأسودُ يؤذِّنُ على ظهر الكعبة؟! وقال بعضهم: إنْ يَسخطِ اللهُ هذا يُغيِّره، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية.

ثم رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٤٧ ـ ٧٤٨) من طريق ابن جريج عن ابن أبي حسين فسمى أولئك القائلين، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» وسماهم كما سيأتي عند تفسير هذه الآية.

وهذا يعده العلماء مما نزل بمكة وحكمه مدني كما قال مجد الدين الفيروزابادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ١٠٠): «أمَّا التي نزلت بمكَّة وحكمها مدني ففي سورة الحجرات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ نزلت يوم فتح مكَّة، لكن حكمها مدني؛ لأنَّها في سورة مَدَنيَّة».

مُلَيْكَةَ: أنَّ عبدَ الله بنَ الزبيرِ أخبرَه أنه قَدِم ركبٌ من بني تميمٍ على رسولِ الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أمِّر القعقاعَ بنَ مَعْبدٍ، وقال عمرُ رضي الله عنه: بل أمِّرِ الأقرعَ بنَ حابسٍ، فقال أبو بكرٍ: ما أردْتَ إلا خلافي، وقال عمرُ: ما أردتُ خلافَكَ، فتَمَارَيَا حتى ارتفَعَتْ أصواتُهما، فنزلتْ في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾[1].

والقراءةُ المعروفةُ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ بضمِّ التَّاء، وقرأ يعقوبُ: ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾ بفتح التاء[2].

والظاهرُ في (قَدَّم) أنه مُتعدٍّ، فيكونُ المفعولُ محذوفاً؛ أي: لا تقدِّمُوا القولَ والفعلَ، وقيل: الأمرَ والكلامَ بين يدي رسول الله، فإنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: نُهُوا أن يتكلَّموا بين يديْ كلامِه، بل عليهم أن يُصْغوا ولا يتكلَّموا[3].

مجاهدٌ: لا تَفْتاتُوا[4] على رسولِ الله بشيءٍ حتى يَقْضِيَه اللهُ على لسانه[5].

ابنُ زيدٍ: لا تَقْطَعوا الأمرَ دونَ اللهِ ورسولِه[6].

وقيل: لا تقولوا ما لم يَأْمُرْكم اللهُ ولا رسولُه.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦٧).

(٢) انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٢).

(٤) في هامش (ن): «قال: لا تفتاتُوا، بمعنى: لا تُفوِّتوا، وقد جاء من الفوت: افتات، كما جاء من القول: اقتال، ومن الكيل: اكتال، وتكون افتعل لازم ومتعد». ولعل صواب العبارة الأخيرة: «ويكون افتعل لازماً ومتعدياً».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١٦)، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٤٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٧).

الحسنُ والزجَّاج: نزلتْ في رجلٍ ذَبَح الأُضْحيَّةَ قبلَ الصلاة.

وقيل: ذَبَحَ، فأمره النبيُّ ﷺ بإعادتها(١).

ورُوي: أن رجلاً صام يومَ الشكِّ، فقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: لا تَفْعَلْ، فإنَّ هذه الآيةَ نزلتْ فيه(٢).

ورُوي: أنَّ ذلك في القتال؛ أي: لا تَحمِلوا على الكفارِ في الحرب قَبْلَ أنْ يَأمُرَ النبيُّ عليه السلام.

ورُوي أن ناسًا كانوا يقولون: لو أُنزِلَ في كذا وكذا لكان كذا وكذا، فكرِه اللهُ ذلك(٣).

وقيل: (قدَّم) بمعنى: تقدَّم، نحو: عَلِقْتُ الشيءَ وتَعَلَّقْتُه، وبَيَّنْتُه وتَبَيَّنْتُه(٤)، ومعناه: لا تَقَدَّموا بالقولِ ولا بالفعلِ بين يدي اللهِ ورسولِه، ولا تَمشُوا أمامَه، ولا تمكِّنوا أحداً يمشي أمامَه؛ ليكونوا تابعينَ له في التقديم والتقدُّم.

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ذُكِرَ ﴿ٱللَّهِ﴾ للتعظيم، وقيل: لأنَّ التقديمَ بين يديْ رسولِ اللهِ ﷺ كالتقديمِ بين يديِ الله.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦) عن الحسن بلفظ: «هم قوم ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ فأمرهم النبي فأعادوا الذبح». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١).

(٢) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٥٩٧)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٢٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦)، عن قتادة.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢١)، واستغربه.

وقيل: معناه: لا تُخالِفوا كتابَ الله وسنَّةَ رسولِه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في التَّقديمِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكُم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالِكُم.

* * *

(٢) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ في سببِ النزول: أنَّها نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماسٍ، كان في أذنَيْه وَقْرٌ، وكان جَهْوَريَّ الصوت، فكان يتأذَّى[1] رسولُ اللهِ بصَوْتِه، فلمَّا نزلتْ هذه الآيةُ قال ثابتٌ: أنا الذي أَرْفعُ صوتي فوقَ صوتِ النبيِّ ﷺ، وأنا مِن أهل النَّار، فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «بل هو من أهلِ الجنة»[2].

هذا تأديبٌ من الله سبحانه؛ أي: إذا كلَّمْتُموه فلْيكُنْ كلامُكم أخفضَ من كلامِه لكم.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ قيل: هو تكرارٌ؛ لأنَّ الجهرَ بالقولِ هو إعلاءُ الصوتِ ورفعُه به.

وقيل: معناه ـ وهو قولُ الجمهور ـ: لا تخاطِبُوه باسْمِه وكنيتِه كما يخاطِبُ بعضُكم بعضاً، بل خاطِبوه بالنبوَّةِ والرسالة، وقولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله.

وقيل: لا تَجْهَروا عليه.

---

(١) في (ن): «ينادي».

(٢) رواه بنحوه مسلم (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾: كراهةَ أنْ تَحْبَطَ، ولِئَلَّا تَحْبَطَ؛ لأنَّ ذلك إذا كان عن قصدٍ بعد النهيِ كفرٌ؛ لأنَّ فيه استخفافَ النبيِّ ﷺ وذلك مُحبِطٌ.

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أنَّه مُحْبِطٌ.

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النزول: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: آليتُ على نفسي أنْ لا أكلِّمَ النبيَّ ﷺ إلا كأخِي السِّرار، فنزلت فيه هذه الآية[1].

وكان عمرُ رضي الله عنه بعد هذه الآيةِ لا يُسْمِعُ رسولَ اللهِ حتى يَسْتَفْهِمَه[2].

ومعنى ﴿يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾: يَخْفِضونها في مجلسِه تعظيماً له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾: أَخْلَصَ قلوبَهم.

وقيل: معنى ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾: عَلِمَ خُلُوصَ نيَّاتِهم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح على شرط مسلم».

ورواه الحارث في «مسنده» (٩٥٧)، ومحمد بن نصر في «الصلاة» (٧٢٩)، والبزار في «مسنده» (٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٤٩)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «حصين بن عمر واهٍ». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨): «فيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك، وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) رواه البخاري (٤٨٤٥) عن ابن الزبير. وجاء هنا في هامش (ن): «وروي يستأذنه»، وفي هامش (ف): «يستأذنه» وفوقها الحرف: «ن».

وقيل: اختصَّها للتقوى.

وقيل: عامَلَهم معاملةَ المختَبِر.

واشتقاقُه من مَحَنْتُ الناقةَ وامْتَحَنْتُها؛ إذا أخرجْتَ لَبَنها بمعالجةٍ تَشُقُّ عليها.

واللامُ في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لامُ العاقبة؛ أي: أدَّى الامتحانُ إلى التقوى.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذُنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لطاعاتِهم[1].

***

(٤) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ قَدِمَ وفدٌ مِن تميمٍ على رسولِ الله ﷺ وهم سبعون رجلاً فيهم: الأقرعُ بنُ حابسٍ، وعُيَيْنةُ[2] بنُ حِصْنٍ، والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ، وقيسُ بنُ عاصمٍ، فدخلوا المسجدَ ونادَوا النبيَّ ﷺ من وراء حُجُراتِه ـ وجَمَع لأنَّ لكلِّ واحدةٍ من أمَّهاتِ المؤمنين حُجرةً، ولعلهم أَتَوا كلَّ حجرةٍ فنادَوْه فيها ـ وقالوا: أنِ اخْرُجْ إلينا يا محمدُ؛ فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ وذَمَّنا شَيْنٌ، فتأذَّى رسولُ الله ﷺ مِن ذلك، فخَرَج إليهم وهو يقولُ: «إنَّما ذلكمُ اللهُ الذي مَدْحُه زَينٌ وذَمُّه شَيْنٌ» فقال لهم: «فيمَ جِئْتُم؟» فقالوا: جِئْنا بخطيبِنا وشاعِرِنا نفاخِرُك ونشاعِرُك، فقال عليه السلام: «ما بالشِّعرِ بُعِثْتُ، ولا بالفَخَارِ أُمِرْتُ»، فقام خطيبُهم فخَطَب، وقام شاعرُهم فأَنْشَدَ[3]،

---

(١) في (ف): «لطاعتهم».

(٢) في هامش (ن) و(ف): «في نسخة: وعنبسة».

(٣) في هامش (ن): «شاعر القوم زبرقان بن بدر، وأنشد:

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يفاخِرُنا ... منا الملوكُ وفينا يُقْسَمُ الربعُ

وشاعر النبي ﷺ الحسان، وأنشد:

إن المكارمَ من فِهْرٍ وإخوتهم ... قد شرَّعوا سُنَّةً في الناسِ تُتَّبعُ».

فأمَرَ النبيُّ ﷺ ثابتَ بن قيسٍ فقام وخَطَبَ، وأَمَر حسَّاناً فقام وأنشدَ، فلمَّا فَرَغوا قام الأقرعُ وقال: إنَّ محمداً لمؤتًى له، واللهِ ما أدري ما هذا؟! تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وأنشد شاعرُنا فكان شاعرُهم أَشْعَرَ، ثم دنا من رسولِ الله ﷺ فقال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّك رسولُه[(١)].

ورَوَى زيدُ بن أرقَمَ أنهم قالوا: نمتحنُه، فإنْ يكنْ ملِكاً عِشْنا في جَنابِه، وإن يكنْ نبيًّا كان الأَولَى أنْ نكونَ أسعدَ الناسِ به[(٢)].

وفي بعضِ التَّفاسير: أنهم وَفَدوا شافِعِين في أَسْرَى من[(٣)] بني العَنبر[(٤)].

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: الذين يُنادونكَ من جملةِ قومٍ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: لا يَفْعَلون فعلَ العُقلاء لقِلَّة أَنَاتِهم وكثرةِ تَهَوُّرِهم، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يكنْ يحتجِبُ عن الناسِ إلَّا في وقتٍ يخلُو فيه بأمرِ نَفْسه، فمَن أَزْعَجَه عن ذلك كان منسوباً إلى قلَّةِ العقلِ وسوءِ الأدب.

والثاني: لا يَعلمون عِظَمَ حُرْمَتِك وأنَّ الصبرَ خيرٌ لهم.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١، ٣٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ورواه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥١٢٣).

(٣) «من» من (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٣٥٨).

والحجرةُ: المكانُ الذي يَتحجَّرُه المرءُ لنَفْسه يمنعُ غيرَه من مشاركتِه فيه، مشتقَّةٌ من الحَجْر، وهو الحَبْسُ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: لو صَبَروا عمَّا فعلوا وانتظَروا خروجَك ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في دِينهم بما ينالون من الثَّوابِ في تعظيم نبيِّ اللهِ، وفي دُنياهم بما يكونُ في ذلك من الدلالةِ على وُفورِ عقلِهم باستعمالِ السَّكينةِ والوَقار.

وقيل: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أبلغَ لهم في نيلِ ما كانوا يَشْفَعون فيه من الصَّفْح عن الأسرى، ولأَطْلَقَ لهم أسراهُم جميعاً؛ لأن النبيَّ ﷺ أعتَقَ النصفَ وفادى النصفَ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾؛ أي: مع هذا غفورٌ لِمَن تابَ منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ في قَبولِ التوبة.

* * *

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ أجمعَ المفسِّرون على أنها نزلتْ في الوليدِ بن عُقبةَ، بَعَثَه رسولُ اللهِ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً، وكان بينهم(١) إحْنَةٌ، فلمَّا سَمِعوا به ركبوا إليه، فلمَّا سَمِع بهم خافَهم فرجع وقال: إنَّ القومَ همُّوا بقَتْلي ومَنَعوا صَدَقاتهم، فهَمَّ رسولُ اللهِ ﷺ بغزوِهم، فبَيْنَا هم في ذلك قَدِم وفدُهم وقالوا:

---

(١) في (ف): «بينهما».

يا رسولَ الله، سَمِعْنا برسولِكَ، فخرَجْنا نُكْرِمه ونُؤدِّي إليه ما قِبَلَناه[١] من الصدقةِ، فاستَمَرَّ راجعاً[٢].

وفي بعضِ التفاسير: فأرسَلَ عليه الصلاةُ والسلامُ إليهم خالدَ بنَ الوليد، فأنزل اللهُ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾[٣]: كاذبٌ، وقيل: خارجٌ عن أمرِ اللهِ إلى كثيرٍ من الذنوبِ.

﴿بِنَبَإٖ﴾ بخبرٍ يَعْظُمُ وَقْعُه في القلوب.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: تَعرَّفوا صحَّتَه، و﴿تَثَبَّتوا﴾[٤]، اتَّئِدُوا ولا تَعْجَلوا ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾: كراهةَ أنْ تُصيبوا، ولِئَلَّا تُصيبوا ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾؛ أي: بجهالةٍ منكم بحالِهم في استحقاقِ ما تُصيبونه.

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾: فتُصبِحوا نادمينَ على عَجَلتِكم.

وذكَر بعضُ المفسِّرين في هذه الآيةِ: أنَّ خبرَ الواحدِ العَدْلِ يجبُ العملُ به؛ لأنَّ الله تعالى أمَر بالتثبُّتِ في خبرِ الفاسقِ، ولو تَثَبَّتْنا في خبرِ العَدْلِ لسَوَّيْنا بينهما.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الوليدَ كان ثقةً عندَ رسولِ اللهِ فصارَ فاسقاً بكَذِبه، فخبرُ الواحدِ متردِّدٌ حتى يُخْبِرَ آخَرُ بمِثْلِه.

---

(١) في النسختين: «قَبِلناه» رسماً وضبطاً، والتصويب من «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٥٢) وغيره، ومعنى قِبَلنا: عندنا. انظر: «تاج العروس» مادة: (ق ب ل) (٣٠/ ٢١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٤٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير») (٣٣٩٥) عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه.

ورواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤/ ١١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٠١)، عن أم سلمة رضي الله عنها. ورواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٦٣) عن يزيد بن رومان.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥١) عن قتادة، وفيه: «فبعث النبي ﷺ إليهم خالد بن الوليد، فلما دنا خالد منهم بعث عيوناً ليلاً، فإذا هم يصلون وينادون فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعةً وخيراً، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره».

(٤) قرأ بها حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٦)، و«المبسوط» (ص: ١٨٠).

وقيل: إنَّ الوليدَ لم يقصِدِ الكذبَ؛ لأنه ظنَّ لَمَّا اجتمعوا لإكرامِه أنْ يكونوا همُّوا بقتله[١].

***

(٧) ـ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: فلا تَقُولوا الباطلَ فإنَّ الله يُخْبِرُه.

وقيل: معناه: وفيكم رسولُ اللهِ والرأيُ معه.

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾: لنالَكُم المكروهُ؛ أي: لو عَمِل برأيكم لكان يخطئُ في أفعاله؛ كما لو قَبِلَ من الوليدِ فقَتَل وقَتلْتُم وأَخَذ المالَ وأخذْتُم ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: لأَثِـمْتُم.

وقيل: معناه: لو فَعَل جميعَ ما تختارونَ وتُريدون لنالكُم ضررٌ.

وقيل: لغَوِيْتُم، وقيل: لَهَلَكْتُم، وقيل: لنالَكُم شدَّةٌ.

وقولُه: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ جاءَ على الأصلِ؛ لأنَّ الطاعةَ مُوافَقةُ الدَّاعي، غيرَ أنَّ المستعمَلَ في حقِّ الأكبرِ الإجابةُ، وفي حقِّ الأضعفِ[٢] الطاعةُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾:

قيل[٣]: بنَصْبِ الأدلَّة.

وقيل: حسَّنه وزيَّنه بتوفيقِه له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٢)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الأدون».

(٣) «قيل» من (ف).

وقيل: بما وَعَد عليه من النصرِ والفتحِ في الدنيا، والجنةِ والنعيمِ في الأخرى.

والمعنى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ فأطعتُموه، فوقَاكُم اللهُ العَنَت، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾؛ أي: قبَّحَه، وقيل: بما أَوْعَد عليه العذابَ في الدنيا والآخرةِ.

﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ وهو الكذبُ، والخروجُ من أمرِ الله، وارتكابُ الكبائر.

وقيل: الفسوقُ: الكبائرُ.

﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾: الصغائرَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: الذين قد أصابوا طريقَ الحقِّ ولم يَضِلُّوا عن الهدى.

* * *

(٨) - ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ مفعولٌ له؛ أي: حبَّبَ وكرَّه للفضلِ والنعمة.

وقيل: نصبٌ على المصدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلْقِه ﴿حَكِيمٞ﴾ في تدبيرِه.

* * *

(٩) - ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ في «الصحيحين» عن أنسٍ رضي الله عنه: أنه قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: يا نبيَّ الله، لو أَتَيْتَ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ، فانطَلَق إليه رسولُ الله ﷺ على حمارٍ، وانطَلَق المسلمون يمشُون، وهي أرضٌ سَبِخةٌ، فلمَّا أتاه النبيُّ عليه

السلام راثَ حمارُه، فقال عبدُ الله: إليك عنِّي، فواللهِ لقد آذاني نَتْنُ روثِ[١] حمارِكَ، فقال رجلٌ من الأنصار: واللهِ لروثُ حمارِ[٢] رسولِ الله أطيبُ ريحاً منك، فغَضِب لعبدِ الله رجلٌ من قومِه، وغضِبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهم[٣] حربٌ بالجريدِ والأيدي والنِّعال، فأُنْزِلت فيهم: ﴿وَإِن طَآيِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[٤].

وعن سعيدِ بن جبيرٍ: أنَّ الأوسَ والخزرجَ كان بينهُما حربٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ[٥] بالسَّعَف والنِّعال، فنزلت فيهم هذه الآيةُ[٦].

قتادةُ: نزلَتْ في رجلينِ اختَصَما في مالٍ، فجرَّ قومُ المدَّعِي المدَّعَى عليه، فجاء قومُ المدَّعَى عليه فمَنَعوه، فوقعَ بينهم قتالٌ بالأيدِي والنِّعال[٧].

وقيل: ابتداؤُه من امرأةٍ من الأنصارِ يقالُ لها: أمُّ زيدٍ، أَبْغَضَتْ زوجَها فأرادتْ أن تَلحَقَ بأهلِها، فجعَلَها في غرفةٍ له وأَمَر أهلَه أن يحتفِظوا بها، وخرجَ إلى حاجةٍ، فأَرْسلتْ إلى أهلِها، فجاء ناسٌ من أهلِها وأرادوا أنْ يَذهَبوا بها، فاقتَتَلوا بالنِّعال وتلاطَمُوا، فنزلت: ﴿وَإِن طَآيِفَتَانِ﴾[٨].

---

(١) «روث» من (ف).

(٢) في (ن): «لحمار» بدل: «لروث حمار».

(٣) في (ف): «بينهما».

(٤) رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

(٥) في (ف): «كان بينهما على عهد رسول الله ﷺ قتال».

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٤) عن السدي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠).

والقتالُ قد يكونُ بالسلاح وبما دونه.

وعن ابن بحرٍ: القتالُ لا يكونُ بالنِّعال والأيدي، وإنما هذا في المنتظَرِ من الزمان(١).

والطائفةُ: الجماعةُ، وقيل: تقعُ على الواحد أيضاً، وقد سبق في (النور).

وارتفاعُه بمضمَرٍ دلَّ عليه ما بعدَه؛ أي: إنِ اقتتلَتْ طائفتان، وجُمع ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ حملاً على المعنى.

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾؛ أي: ادْعُوهُما إلى كتابِ اللهِ تعالى والرِّضَا بما فيه لهما وعليهما، ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾: تعَدَّى إحدى الطائفتينِ ﴿عَلَى﴾ الطائفةِ ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ فطلَبَتْ ما ليس بمستحَقٍّ، ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾: تتعدَّى في القتال، وقيل: بالعُدول عن الصُّلح.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾: ترْجِعَ ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه.

وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: ما أَمَر به.

﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾: رَجَعتْ عن البغيِ إلى أمرِ اللهِ ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ في تركِ الهوى والميلِ.

وقيل: ﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾: بكتاب الله.

﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾؛ أي: أَقْسِطوا أيُّها الناسُ فلا تَقْتَتِلوا(٢) بتمانُعِ الحقِّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: العادِلين في القولِ والفعلِ.

القفَّال: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾ خطابٌ للمُصْلِحين، والمعنى: خذُوا بالصَّفْحِ والعَفْوِ والفضلِ بينكم، من قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٦/ ١٦٢).

(٢) في (ف): «تقتُلوا».

وفي الآيةِ جوازُ قتالِ الباغي بالسلاح، وأنَّ الباغيَ مؤمنٌ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: إخوانُنا بَغَوا علينا[١].

وقيل: الباغيَةُ في حالِ بَغْيِها ليستْ بمؤمِنةٍ، فسمَّاهم اللهُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قبلَ بَغْيِها، كقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] فليس بمؤمِنٍ حالةَ الارتِداد.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: مُتَوَاخُون على الإيمان، والإيمانُ أشرفُ أنسابهم، وقد قَطَع الله الولايةَ بينَهم وبينَ مَن خالَفَهم في الدِّين مِن أنسابهم.

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ فأنتُم أيضاً إخوةٌ لهما، فتكونوا قد قضَيْتُم حقَّ المظلوم بإيصالِ حقِّه إليه، وحقَّ الظالم بإزالةِ الإثمِ عنه، وثنَّى لأنَّ أقلَّ مَن يقعُ بينَهم القتالُ اثنان.

وقيل: التثنيةُ قد تَقَعُ مَوقِعَ الجمعِ؛ كقولهم: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، و: لا يَدَيْ لك.

وقيل: بين رئيسَيِ الفريقينِ؛ لأنهما إذا اصْطَلَحا اصْطَلَح الفريقان.

وقيل: بين كلِّ مسلمين.

وقُرئ ﴿بيْن إِخوَتكم﴾[٢] و: (بين إِخْوَانِكُم)[٣]، والأكثرُ في النَّسب: الإخوةُ والإخاءُ، وفي الصَّداقة: الإخوانُ، ويَقعُ كلُّ واحدٍ منهما موقعَ الآخَرِ.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٧١٣).

(٢) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٦).

(٣) نسبت لزيد بن ثابت وابن مسعود وابن سيرين والحسن وعاصم الجحدري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٨).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

* * *

(١١) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنها نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ، وذلك أنه كان في أذنِه وَقْرٌ، وكان إذا أَتى رسولَ الله ﷺ أَوْسَعَ[١] له حتى يجلسَ إلى جَنْبِه عليه السلام فيَسمعُ ما يقولُه، فجاء يوماً وقد أخذَ الناسُ مجالسَهم، فجَعَل يَتخطَّى رقابَ الناس ويقولُ: تفسَّحوا تفسَّحوا، فقال له رجلٌ: أصَبْتَ مجلساً فاجْلِسْ، فجلَس ثابتٌ مغضَباً، ثم قال للرجلِ: يا فلانَ ابنَ فُلانةَ، وذكَر أمًّا له يُعيَّر بها في الجاهلية، فنكَس الرجلُ استحياءً، فأَنْزلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢].

وقيل: نزلَتْ في كعبِ بنِ مالكٍ قال لعبد الله: يا أعرابيّ، فقال له عبدُ الله: يا يهوديّ[٣].

---

(١) في (ف): «أوسعوا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣)، والنسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٨)، عن ابن عباس. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٥٧): «ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند».

قلت: وزاد النسفي: «فقال ثابتٌ بعد نُزول هذه الآية: لا أَفخَر على أَحدٍ في النسب بَعْدَها أبداً».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٣)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٣).

وقيل: نزلتْ في الذين نادَوا رسولَ الله ﷺ من وراءِ الحُجُرات واستهزَؤُوا بالفقراء.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ نزلتْ في عائشةَ رضي الله عنها وقد عابَتْ أمَّ سَلَمةَ بالقِصَر[1].

وقيل: إنَّها ربطَتْ حَقْوَيها بثوبٍ أبيضَ وسَدَلتْ طَرَفَيْها خَلْفَها وكانت تجرُّه، فقالت عائشةُ لحفصةَ رضي الله عنها: انظُري ما تجرُّ خَلْفَها كأنه لسانُ كلبٍ[2].

قال أنسٌ رضي الله عنه: نزلتْ في نساءِ النبيِّ عليه السلام عَيَّرنَ أمَّ سلمةَ بالقِصَر[3].

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إنَّ النساءَ يُعيِّرْنَني فيقُلْنَ لي: يا يهوديةُ بنتُ يهودِيَّين، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «هلَّا قلتِ: إن أبي هارونُ وعمِّي موسى وزَوْجِي محمدٌ» عليهم السلام، فأَنْزَل اللهُ هذه الآيةَ[4].

والمعنى: لا يَسْتَهْزِئْ قومٌ بقومٍ.

والسُّخْرةُ: الاستهزاءُ، وقيل: عيبٌ واحتقارٌ.

والسُّخرةُ تقعُ بما لا يمكِنُ للمسخورِ منه دفعُه كالقِصَر والدَّمَامةِ والفَقْرِ، وقد

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧) دون نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣) دون نسبة، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٩٢)، وقال: «حديث غريب، وليس إسناده بذاك»، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠) من حديث صفية رضي الله عنها.

تكونُ بما يمكِنُه دفعُه كالرَّجُلِ يَتَزَيَّا بغيرِ زِيِّه من لباسٍ وغيرِه، وقد يكونُ الاستهزاءُ من الدُّهاةِ بأهلِ السَّلامة.

وجملةُ ذلك: أنهم نُهوا عن الازدِراءِ بالضُّعفاءِ والفقراء.

والقومُ اسمٌ مختصٌّ بالرجالِ دونَ النساء؛ من القيامِ على الشيءِ وتعاوُنِ البعضِ للبعضِ، وأَنشدوا:

وما أَدْرِي وسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ[1]

وقيل: القومُ جمعٌ واحدُه: رجلٌ؛ كالنساء جمعٌ واحدُه: امرأةٌ، وهذا مزيَّفٌ[2].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾؛ أي: عسَى أن يكونَ المسخورُ منه خيراً عند اللهِ من الساخر.

وقيل: عسى أن يزولَ فَقْرُه ويصيرَ أغنَى من الساخرِ، أو تزولَ دمامتُه وقبحُه منه إليه ممَّا اللهُ قادرٌ على إزالتِه.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لا تَعِيبُوا ولا تَطْعنُوا أهلَ دِينكم.

وقيل: لا يَلْمِزْ بعضُكم بعضاً، واللَّمْزُ: العيبُ والإشارةُ.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ النَّبْز: القَذْفُ باللَّقَبِ المكروهِ، والنَّبَزُ بالفتح: الاسمُ، والتنابُزُ بين القوم، ولا يُستعمَلُ إلا في القَبيحِ، واللَّقَبُ يُستعْمَلُ في الحَسَن والقَبِيح، وهو: اسمٌ أو وصفٌ يَبْقَى على الإنسانِ فيَجري مَجْرى اسمِ العَلَم.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ فيه تأويلان:

أحدُهما: بئسَ الاسمُ اسمُ الفُسوقِ، وهو أنْ يقولَ له: يا فاسقُ، يا سارقُ، يا

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، كما في «ديوانه ـ رواية الشنتمري» (ص: ١٣٦) و«العين» (٥/ ٢٣١)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٥٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٣)، واستغربه.

زاني، يذكرُه باسمِ ذَنْبه بعدَ إيمانه وتوبتِه، وكذلك: يا يهوديُّ، يا نصرانيُّ، يا خنزيرُ، يا قردُ.

والثاني: أنَّ مَن أَقْدَم على ما نُهِيَ عنه من السُّخرةِ واللَّمْز والنَّبْز باللَّقبِ فهو فاسقٌ.

ومعنى ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾: بدلاً عن الإيمان، وقيل: بعد دخولِه في الإيمان، وقيل: ﴿بَعْدَ﴾ بمعنى: مع.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾؛ أي: عمَّا نُهِيَ عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

* * *

(١٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ معنى ﴿ٱجْتَنِبُواْ﴾: كونُوا منه في جانبٍ؛ أي: ناحيةٍ.

والظنُّ على أربعةِ أوجُهٍ؛ مأمورٍ به، ومحظورٍ، ومندوبٍ إليه، ومباحٍ:

أمَّا المأمورُ به: فحُسْنُ الظنِّ بالله، قال رسولُ الله ﷺ: «لا يموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله»(١)، وكذلك حُسْنُ الظَّنِّ بالمؤمنين مِن قولِه: «إنَّ حُسْنَ الظنِّ مِن الإيمانِ»(٢) وقولِه تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٥٦)، وأبو داود (٤٩٩٣)، والترمذي (٣٩٢٧)، من طريق شُتَيْرِ بنِ نَهارٍ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ حُسْنَ الظنِّ مِن =

والمحظورُ: ظَنُّ السُّوءِ بالله وبالمؤمنين، وهو قولُه: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾؛ أي: الظنِّ السُّوءِ.

مقاتلٌ: هو أنْ يتكلَّم بما ظَنَّه، فإنْ لم يتكلَّمْ به فلا يكون آثماً[1].

وأمَّا المندوبُ إليه: فالظنُّ بمَنْ ظاهرُه الفسقُ، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ عليه السلام أنه قال: «احْتَرِسوا من النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ»[2]، وقال عليه السلامُ: «الحزمُ سوءُ الظنِّ»[3]، والحزمُ مندوبٌ إليه.

وأمَّا المباحُ: فكالظَّنِّ في الصَّلاةِ والصَّومِ والقِبْلةِ، أُمِرَ صاحبُه بالتَّحَرِّي فيها والبناءِ على غَلَبةِ الظَّنِّ.

ولهذا الانقسامِ قال: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، ولم يقل: «اجتَنِبُوا الظنَّ» مُطْلَقاً، ثم قال: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

= حُسنِ العبادة». وإسناده ضعيف، شتير بن نهار ـ ويقال في اسمه: سُمير بن نهار ـ جهَّله الدارقطني في «سؤالات البرقاني» ترجمة رقم (٢١٢)، وقال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: نكرة. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

(١) في (ن): «فلا إثم عليه». وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٦): «لا تحققوا الظن، وذلك أن الرجل يسمع من أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً، فيراه أخوه المسلم أو يسمعه فيظن به سوءاً، فلا بأس ما لم يتكلم به، فإن تكلم به أثم».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٩): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات».

(٣) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤) عن عبد الرحمن بن عائذ مرسلاً، ورواه ابن شبة في «تاريخه» (٣/ ٨٠١) عن عمر رضي الله عنه موقوفًا.

ويحتمِلُ أن المعنى: احترِزُوا من الكثيرِ ليَقَعَ التحرُّزُ عن البعض[١].

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: ولا تَتبَّعوا عَثَراتِ المؤمن.

وقيل: هو البحثُ عمَّا خَفِيَ حتى يَظْهرَ.

وقرئ بالحاءِ شاذًّا[٢]، وقيل: بالجيمِ: البحثُ لغيرِك، وبالحاءِ: البحثُ لنفسِكَ، وكلاهما منهيٌّ عنه.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الغيبةُ: ذكرُ الغائبِ بظهرِ الغيبِ.

أبو هريرةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الغيبةِ فقال: «هو أنْ تقولَ لأخيكَ ما فيه؛ فإنْ كنتَ صادقاً فقد اغتَبْتَه، وإنْ كنتَ كاذباً فقد بَهتَّه»[٣][٤].

وقيل: الغيبةُ: أنْ تقولَ فيه وهو غائبٌ ما لو قُلتَ في وجهِه لكَرِهَه.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ هذا مَثَلٌ، والمعنى: كما تكرهونَ أكلَ لحمِه مَيْتاً، فاجتَنِبوا ذِكْرَه بالسُّوء غائبًا[٥].

وقيل: كما تكرهونَ أكلَ لحمِه ميتاً، فاكرهُوا ذكرَه بالسوءِ حيًّا.

وقيل: كما تَتْرُكون أكلَ لحمِه ميتاً فإنه معصيةُ اللهِ، فاتْرُكوا غيبتَه فإنه معصيةُ الله.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٤)، واستغربه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٤) ونسبها للنبي ﷺ والحسن وابن سيرين.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤).

(٤) في هامش (ن): «في الغيبة وما هي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «ذكرك أخاك بما يكره». وقال رسول الله ﷺ يوماً: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكر أحدكم أخاه بما يكره» قال رجل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»، أخرجه أبو داود والترمذي».

(٥) في (ن): «حيًّا».

وإنَّما مَثَّله بالأكلِ لأنَّ العربَ تقولُ لِمَن ذُكر بالسُّوء: إنَّ الناسَ يأكلون فلاناً ويمضَغُونه، فعبَّر عن إدارةِ ذكرِه في الفمِ بالأكل.

وقيل: لأنَّ الميتَ لا يَشعُرُ بما يُؤكَلُ منه ولا يُحِسُّ به، كذلك الغائبُ لا يَشعرُ به ولا يحسُّ.

قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؛ أي: بل عافَتْه نُفوسُكم فكَرِهْتُموه.

وقيل: كرِهْتُم أكلَ لحمِه طَبْعاً، فاكْرَهوا اغتيابَه فإنه[1] مثلُ أكلِه.

ابنُ عيسى: كَرِهْتُم أكلَ لحمِه ميتاً، فاكْرَهوا غَيبتَه عقلاً؛ لأنَّ داعيَ العقلِ أَوْلَى بالاتِّباع من داعِي الطَّبْع؛ لأنَّ داعيَ الطبعِ أعمَى جاهلٌ وداعيَ العقلِ بصيرٌ عالمٌ، وكلاهما في صِفَةِ الناصح[2].

وقيل: كرِهْتُم أنْ تُغتابُوا، فلا تَغتابُوا غيرَكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما ينهاكُم عنه، وتُوبوا إليه عمَّا قد سلَف ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.

* * *

(١٣) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ حينَ قال: فلانُ ابنُ فلانةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن الذَّاكِرُ فلانةَ؟» فقام ثابتٌ فقال: أنا يا رسولَ الله، فقال: «انظُرْ في وجوهِ القومِ» فنظرَ، فقال: «ما رأيتَ يا ثابتُ؟» قال: رأيتُ أبيضَ

---

(١) في (ف): «لأنه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٤) دون نسبة، واستغربه.

وأسودَ وأحمرَ قال: «فإنَّكَ لا تَفْضُلُهم إلا بالتَّقوى والدِّين» فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[1].

مقاتلٌ: لمَّا كان يومُ فتحِ مكةَ أَمَر رسولُ اللهِ ﷺ بلالاً حتى أذَّن على ظهرِ الكعبة، فقال عتَّابُ بنُ أَسِيدٍ: الحمدُ للهِ الذي قَبَضَ أبي حتَّى لم يَرَ هذا اليومَ، وقال الحارثُ بنُ هشامٍ: أمَا وَجَد محمدٌ غيرَ هذا الغُرابِ الأسودِ مؤذِّناً؟! وقال سهيلُ بنُ عمرٍو: إنْ يُرِدِ اللهُ شيئاً يُغيِّرْه، وقال أبو سفيان: إنِّي لا أقولُ شيئاً، إني[2] أخافُ أنْ يُخبِرَ به ربُّ السماء، فأتى جبريلُ النبيَّ عليهما السلامُ وأخبرَه بما قالوا، فدَعاهم وسأَلَهم عمَّا قالوا فأَقرُّوا، فأَنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[3]، وزَجَرهم عن التَّفاخُرِ بالأنسابِ والتكاثُرِ بالأموال والازدِرَاءِ بالفقراء، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ﴾: آدمَ ﴿وَأُنثَىٰ﴾: حواءَ، عليهما السلام؛ أي: كلُّكم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ.

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[4]: ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً أشدَّ ممَّا كان يعرفُه لو كان بنو آدمَ مع كثرتِهم نوعاً واحداً، ولم يَختلِفُوا بالسودانِ والبِيضانِ والعربِ والعَجَم.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فالتَمِسوا منها الشَّرَفَ والفضلَ.

والشُّعوبُ: جمعُ (شَعْبٍ) بالفتح، والقبائل: جمعُ (قَبيلة).

وذكَر القفَّالُ عن الزبيرِ بنِ بكَّار قال: العربُ على ستِّ طبقاتٍ:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٣)، وفي «أسباب النزول» (ص: ٣٩٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله من رواية الكلبي عنه؛ فقد ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٩) عن الكلبي.

(٢) «إني» من (ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٧).

(٤) بعدها في (ن): «أي: لم تصدقوا بقلوبكم».

شَعْبٌ، ثم قَبِيلةٌ، ثم عِمَارةٌ، ثم بَطْنٌ، ثم فَخْذٌ، ثم فَصِيلةٌ[١].

وعن غيره: أنها خمسٌ، وكلُّها مأخوذٌ من بَدَنِ[٢] الإنسان.

وقيل: الشُّعوبُ: عَرَبُ اليمنِ وقحطانَ، والقبائلُ: ربيعةُ ومُضَرُ وسائرُ عدنانَ.

وقيل: الشعوبُ: بطونُ العَجَم، والقبائلُ: بطونُ العَرَب[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿خَبِيرٌ﴾ بفِعْلِهم.

***

(١٤) ـ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ في سببِ النزولِ: أنَّها نزلتْ في أعرابٍ من بني أسدِ بنِ خُزَيمةَ قَدِموا على رسولِ اللهِ ﷺ في سنةٍ جَدْبةٍ وأَظْهَروا الشهادتَينِ، ولم يكونوا مؤمنينَ في السرِّ، وأفسدوا طريقَ المدينةِ بالعَذِراتِ، وأَغْلَوا أسعارَها، وكانوا يقولون لرسولِ اللهِ: أتيناكَ بالأثقالِ والعِيالِ ولم نقاتِلْكَ كما قاتَلَك بنو فلانٍ، فأَعْطِنا من الصَّدقةِ، وجَعَلوا يَمُنُّون عليه، فأنزل اللهُ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾[٤]؛ أي: إيماناً بشرائطِه، فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّه على عَيْبِهم[٥] فقال:

﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: لم تُصَدِّقوا بقلوبِكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) عن الزبير بن بكار.

(٢) في (ف): «أعضاء».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٥)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (ف): «غيبهم».

أي: خَضَعْنا وانْقَدْنا خوفاً من القتلِ، وإرادةً للدُّخولِ في جملةِ أهلِ الملَّةِ، وذلك استسلامٌ؛ لأن (أَسْلَمَ) يأتي على وجهَيْن:

أحدهما: شرعيٌّ، وهو بمعنَى الإيمانِ سواءً.

والثاني: لُغَويٌّ بمعنى: استَسْلَم وانقادَ ودَخَل في السَّلْم، وهو الذي أَثْبَتَه لهؤلاء الأعرابِ مع نفيِ الإيمانِ عنهم.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: ولم يدخلِ الإيمانُ في قلوبِكم، فهو[1] بمعنى: لم، وقيل: ﴿لمَّا﴾ على أصلِه لأنَّ فيها عِدَةً.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بتَرْكِ النِّفاقِ وباعتقادِ الإيمانِ بالقلوب ﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا يَنْقُصْكم ﴿مِّنْ﴾ ثوابِ ﴿أَعْمَـٰلِكُمْ﴾ الحَسَنةِ ﴿شَيْـًٔا﴾، بل يوفِّيكُم ثوابَها مضاعَفاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يسترُ الذنوبَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهدايتِهم للتوبة؛ أي: فلستُم أنتم إذاً بمؤمنين ولا مسلِمين، إنما أنتم مستَسْلِمون؛ لأنَّ الوصفَ بالإيمانِ عامٌّ لجميعِ أهلِ الكتب كاليهود والنصارى، والإسلامُ وصفٌ خاصٌّ لأمَّةِ محمدٍ ﷺ، فهو كالاسمِ العَلَمِ لهم.

ومعنَى ﴿لا يألتكم﴾[2] قيل: لا يَنْقُصْكم، أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتاً: إذا نَقَصَ.

وقيل: لا يُغلِّظْ عليكم.

ومعنى ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قيل: لا يَنْقُصْكم كالأوَّل، وقيل: لا يَصْرِفْكم، قال:

وليلـــةٍ ذاتِ نَـــدًى سَـــرَيتُ

---

(١) في (ف): «ولما».

(٢) قرأ أبو عَمْرو: ﴿يألتكم﴾ بهمزة ساكنة بعد الياء، وإذا خفف أبدلها ألفًا، والباقون بغير همز ولا ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

ولم يَلِتْني عنْ سُراها لَيْتُ[1]

أي: لم يَصْرِفني.

قطربٌ: وَلَته يَلِتُه بمعنى: صَرَفه عن وَجْهِه[2]، فيكونُ ﴿يَلِتْكُم﴾ على وزن: يَعِدْكم، وعلى الوجهِ الأولِ على وزن: يَبِعْكم ويَكِلْكم.

ثم وَصَف المؤمنينَ المُحِقِّين فقال:

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾؛ أي: آمَنوا بإخلاصٍ من عقائدِهم ثم حقَّقوا بأفعالهم، وهو قوله: ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعَتِه والجهاد.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم؛ لاجْتماعِ الإقرارِ باللسانِ والتصديقِ بالقلب ثم بالعملِ الصالح.

* * *

(١٦) ـ ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ في بعضِ التفاسير: أنه لمَّا نزلتِ الآيةُ الأولى

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢١)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٠٥)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٣٩٣). ولأبي محمد الفقعسي في «لسان العرب» (١٣/ ١٣١).
وذكره القالي في «أماليه» (٢/ ٢٤٤) عن ابن الأعرابي، في جملة أبيات.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٥)، واستغربه.

جاءتْ هؤلاءِ الأعرابُ وحلَفوا أنهم مؤمنون معتقِدون، فنزلت: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾[1] استفهامُ توبيخٍ؛ أي: كيف تعلِّمونه بدِينكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا تخفَى عليه خافيةٌ؟

و(عَلَّمَ) يأتي بمعنى: أَعْلَم، وهو الذي في الآيةِ، و(عَلَّم) في الأصلِ: إفادةُ العلمِ على التَّدريجِ والمعالجةِ الشَّديدةِ.

وقيل: التعليمُ: تعريضُ مَن لا يَعْلَمُ بإفهامِ المعنى لأنْ يَعْلَم.

والباءُ في ﴿بِدِينِكُمْ﴾ للسبب.

***

(١٧) ـ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾ سببُ نزوله ما سبق.

الزجَّاجُ في جماعةٍ: نزلتْ في قومٍ من المؤمنين مَنُّوا بإيمانهم على رسولِ الله ﷺ[2].

وتقديرُه: يَمُنُّون عليك بإسلامِهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾؛ أي: بإسلامِكم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي: المنَّةُ للهِ عليكم ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ ﴾: بأنْ هَدَاكُم، وقيل: لأنْ هَدَاكُم، وقيل: هو نصبٌ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦١) بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٩)، وذكر أيضًا أنها نزلت في المنافقين، ورجحه.

﴿لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إيمانِكُم؛ أي: فلَسْتُم صادِقِينَ، ولو كنتُم مؤمنينَ صادقينَ لكانتِ المنَّةُ للهِ لا لكم.

قال بعضُ المفسِّرين: وهذا دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ، ولو كانا غَيْرَيْنِ ما كان للكلام وجهٌ.

المنُّ يُذْكَر ويُرادُ به التحمُّدُ بالنعمةِ، وهو مذمومٌ من العِبَاد، ويُذْكرُ ويرادُ[1] به الإنعامُ، وعليه وُصِف اللهُ بأنه مَنَّانٌ.

وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أَنْعَم عليكم.

وقيل: بل اللهُ أحقُّ بالتحمُّد بالنعمة.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما عنكم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يعلمون﴾[2] هم و﴿تَعْمَلُونَ﴾ أنتم، وفي الآيةِ ذكرُ الغيبةِ والحضورِ فحَسُنَ الوجهانِ، واللهُ أعلم.

* * *

سُورَةُ قٓ

سُورَةُ ق

خمسٌ وأربعونَ آيةً[1]، مكِّيّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ إلّا آيةً، وهي قولُه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿قٓ﴾ قيل: هو اسمٌ من أسماءِ الله تعالى.

وقيل: هو اسمُ القرآنِ.

وقيل: اسمُ السُّورةِ.

وقيل: اسمُ جبلٍ من زَبَرجدٍ أخضرَ مُحيطٍ بالأرضِ، وخُضرةُ السَّماءِ منه[3].

---

(١) «خمس وأربعون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٦) عن قتادة والكلبي: أن هذه الآية نزلت في يهود المدينة. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٥) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وسيأتي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٨٤ و١٤٨٩). وهو من خرافات الإسرائيليات، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقد ذهب القرافي ـ كما ذكر الآلوسي =

وقيل: حرفٌ من اسمِه عزَّ وجلَّ: قادرٌ قاهرٌ قابضٌ قدُّوسٌ قويٌّ قيُّومٌ، اقتصَرَ عليه، كما قال:

قلتُ لها قِفي فقالَتْ قافْ لا تحسَبي أنَّا نَسِيْنا الإيجافْ[1]

وقيل: معناه: قُضِيَ الأمرُ، كما قيلَ في ﴿حمٓ﴾: حُمَّ ما هو كائنٌ.

وقيل: قِفْ يا محمَّدُ على أداءِ الرِّسالةِ والعملِ بما أُمِرْتَ. حكاه الماورديُّ[2].

والأحسنُ أن يُقالَ: هو من الحروفِ المُقطَّعةِ لسكونِ آخرِه على ما سبقَ أمثالُه.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: الشَّريفِ العظيمِ الشَّأنِ، أقسمَ الله تعالى به لبيانِه أحكامَ الدُّنيا والآخرةِ.

واختُلِفَ في جوابِ القسمِ، فقيلَ: مُضمَرٌ تقديرُه: لتُبعَثُنَّ.

وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ [الآية: ٤]؛ أي: لقد.

= في «روح المعاني» (١٣/ ٣٢٢) ـ إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه بما برهن ثم قال: ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه.

ثم قال الآلوسي: والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس... إلى آخر ما قال.

(١) ذكره دون نسبة الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٨٨)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠)، وفيه: «ويحتمل ما أريد بوقفه عليه وجهين: أحدهما: قف على إبلاغ الرسالة لئلا تضجر بالتكذيب. الثاني: قف على العمل بما يوحى إليك لئلا تعجل على ما لم تؤمر به»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٧)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ [الآية: ٢] لتضمُّنِ ﴿بَلۡ﴾ معنى النَّفيِ.

وقيل: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾ [الآية: ١٨].

وقيل: مُضمَرٌ تقديرُه: إنَّ محمَّدًا ﷺ رسولُ الله، ودلَّ عليه قولُه: ﴿جَآءَهُم مُّنذِرٞ﴾(١).

وقيل: مُقدَّمٌ فيمَن جعلَ معنى ﴿قٓ﴾: قضَى.

ويحتمِلُ أنَّ جوابَه ما يستَدعيه ﴿بَلۡ﴾، وهو: ما آمَنوا ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾، والضَّميرُ يعودُ إلى الكافرينَ من قولِه: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ﴾ وإنْ كانَ مُتأخِّرًا؛ لأنَّه يجري مَجرى ما يُفسِّرُه ما بعدَه.

وقيل: هو بمنزلةِ قولِك: «جاءني زيدٌ وقالَ الفاسقُ كذا»؛ تعني به: زيدًا.

﴿أَن جَآءَهُم﴾: لِأَنْ جاءَهم ﴿مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ذُكِرَ بالفاءِ لاتِّصالِ الثَّاني - وهو: ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ - بالأوَّل وهو ﴿عَجِبُوٓاْ﴾، وليس في ﴿صٓ﴾ كذلك، فلذلك قالَ: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [ص: ٤] بالواوِ.

وقولُه: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ قيل: إشارةٌ إلى اختيارِ اللهِ تعالى محمَّدًا للرِّسالةِ والإنذارِ.

وقيل: إشارةٌ إلى البعثِ بعد الموتِ، ولفظُ ﴿مُّنذِرٞ﴾ دلَّ عليه.

وقيل: ما بعدَه يدلُّ عليه.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٨)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا﴾ استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ، والعاملُ فيه مُضمَرٌ تقديرُه: أنُبْعَثُ أنُرْجَعُ إذا مِتْنا وكنَّا تُرابًا؟!

﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ منَ الصِّدقِ لا يكونُ، وليس المُرادُ بُعدَ الزَّمانِ.

وقيل: معنى ﴿بَعِيدٞ﴾: مُحالٌ.

* * *

(٤) ـ ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: تأكلُ الأرضُ بعدَ موتِهم من أجسادِهم؛ لحمِها وعظمِها ودمِها وشعرِها، وتصيرُ جزءًا منَ الأرضِ.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾؛ أي: ومع هذا في السَّماءِ كتابٌ كُتِبَ فيه ذلك وحُفِظَ، ومعنى حفظِه: أنَّه مُثْبَتٌ فيه، فعيلٌ بمعنى فاعلٍ.

وقيل: بمعنى مفعولٍ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ.

وقيل: يحفظُ عددَهُم وأسماءَهُم.

وقيل: يُريدُ[1]: كتابَ الحفَظةِ؛ أي: يحفظُ أقوالَهم وأفعالَهم، ثمَّ يُجازي عليها.

وقيل: الكتابُ عبارةٌ عن العلمِ والإحصاءِ. حكاه القفَّالُ وأنشدَ بيتَ أبي تمَّامٍ:

إذا شِئْتَ أن تُحصِيَ فواضِلَ كفِّه   فكُنْ كاتبًا أو فاتَّخِذْ لك كاتِبًا[2]

---

(١) في (ف) زيادة: «به».

(٢) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» (٣/ ١٥٢). وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٨)، واستغربه.

وعن الحسنِ: هذا وعدٌ منَ الله لنبيِّه بنُصرتِه وإظهارِ دينِه على سائرِ الأديانِ، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ بأنْ يُقتَلُوا أو يموتُوا أو يَنتقِلُوا[1] عن دينِهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ فيه نصرُكَ عليهم فلا يضيقَنَّ صدرُكَ.

* * *

(٥) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: محمَّدٍ ﷺ والقرآنِ ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: مُختلِطٍ مُلْتبِسٍ؛ أي: في حقِّ محمَّدٍ ﷺ؛ فمرَّةً يقولون: هو شاعرٌ، ومرَّةً: كاهِنٌ، ومرَّةً: مجنونٌ.

وقيل: مُختلِطٍ في حقِّ البعثِ؛ فمرَّةً يقولون: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ومرَّةً: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [فصلت: ٥٠]، ومرَّةً: ﴿مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقيل: ﴿مَّرِيجٍ﴾: مُتَناقضٍ، بإنكارِهم القدرةَ على الإعادةِ مع إقرارِهم بالقُدرةِ على الابتداءِ.

و(مَرِيجٌ): فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، من (مرَجَ): إذا اضطرَبَ، وقال:

مــرَجَ الــدِّيــنُ فـأعــدَدْتُ لـــه ... مُشرِفَ الحـارِكِ محبـوكَ الكَتَـدْ[2]

وقيل: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، من قولِه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلَهما وخلَّاهُما[3].

---

(١) في (ف): «أو انتقَلُوا فتوَلَّوا» بدل: «أو ينتقلوا».

(٢) «مشرف الحارك محبوك الكتد»: ليس في (ف). نسب البيت لأبي دؤاد الإيادي. انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ٦٥)، و«الصحاح» (١/ ٣٤١)، و«كتاب الأفعال» لابن الحداد (٤/ ١٥٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٤١). ونسب لزهير في «المنجد» (ص: ٣٣٠)، و«أساس البلاغة» (٢/ ٢٠٢)، وفيهما: «الثبج» بدل «الكتد».

(٣) في (ف): «وخلاهما».

(٦) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ثمَّ دلَّـهم على قُدرتِه على البعثِ فقالَ: أفلم ينظروا إلى السماء ﴿فَوْقَهُمْ﴾؛ أي: ثابتًا مُظِلًّا فوقَهم، فهو حالٌ للسَّماءِ.

﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾؛ أي: بالنُّجومِ والشَّمسِ والقمرِ ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: من خَلَلٍ وفُتوقٍ وصُدوعٍ وشُقوقٍ.

والثَّاني: من فروجٍ يُمكنُ السُّلوكُ فيه، وأمَّا الملائكةُ فينزلونَ منَ البابِ ويعرُجونَ إلى البابِ، ثمَّ يُطبَقُ البابُ.

وقيل: معناه: السَّماءُ خَلْقٌ واحدٌ ليست أقطاعًا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ كأبنيةِ النّاسِ[1].

القفَّالُ: قال بعضُ النَّاسِ: إنَّ في هذا حُجَّةً على استدارةِ السَّماءِ وإحاطتِها بالأرضِ من جميعِ جهاتِها؛ لأنَّه أخبرَ أنَّه لا فروجَ فيها، وقال في موضعٍ آخرَ: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]؛ فلو كانت مبسوطةً غيرَ مُتَّصلةِ الأطرافِ[2] لم يكُنْ كذلك[3].

❊ ❊ ❊

(٧) ـ ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾: بسَطْناها من تحتِهم إلى ما لا يعلمونَ من غايتِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٢) في (ف): «الأجزاء».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، وعده من العجائب.

وقيل: إلى مسيرةِ كذا سنةً.

وقال[1] بعضُهم: هذا دليلٌ على أنَّ الأرضَ مبسوطةٌ، وليستِ على شكلِ الكرةِ.

وقال بعضُهم: أرادَ بالمدِّ: التَّطويلَ، والمُدوَّرُ والكرةُ لها طولٌ وعرضٌ وعُمقٌ[2].

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ على وجهِها ﴿رَوَاسِيَ﴾: جبالًا ثوابتَ.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾؛ أي: صنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾ حَسَنٍ.

والبهيجُ: الحسنُ المنظرِ.

وقيل: حسَنٌ له رُواءٌ عندَ الرُّؤيةِ.

وقيل: ﴿بَهِيجٍ﴾: سارٌّ، منَ البهجةِ.

والمُرادُ بـ﴿زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: النَّباتُ عندَ الجمهورِ.

وقيل: أنواعُ الحيوانِ، وبهجتُها: حُسْنُ صورتِها، ولفظُ (أنبتَ) كقولِه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧][3]، والنَّباتُ مذكورٌ بعدَ هذه الآيةِ[4].

ويحتمِلُ أن يعودَ الضَّميرُ[5] إلى ﴿رَوَاسِيَ﴾، والزَّوجُ البهيجُ: الذَّهبُ والفِضَّةُ وسائرُ الفِلزَّاتِ[6].

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٣) في (ف) زيادة: «قال».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٥) أي: الضمير في ﴿فِيهَا﴾.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٢٩)، واستغربه.

(٨) ـ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: ليُبصرَهم ويجعلَهم ذَوي بصائرَ وليتذكَّروا بذلك. والمُنيبُ: الرَّاجعُ إلى الله، والإنابةُ: الرُّجوعُ.

وقيل: المُقبلُ، والإنابةُ: الإقبالُ.

* * *

(٩) ـ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: من جانبِ السَّماءِ.

وقيل: منَ السَّحابِ.

وقيل: من سماءِ الملائكةِ.

﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿مُّبَارَكًا﴾: يَلبثُ في أجزاءِ الأرضِ، فيَنْبُعُ طولَ السَّنةِ.

وقيل: ﴿مُّبَارَكًا﴾: للخلقِ فيه بركاتٌ ومنافعُ.

﴿فَأَنبَتْنَا﴾: فأخرَجْنا منَ الأرضِ ﴿بِهِ﴾: بذلك الماءِ ﴿جَنَّاتٍ﴾: الأشجارَ والفواكهَ والثِّمارَ ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحبًّا يُحصَدُ كالبُرِّ والشَّعيرِ وسائرِ الحبوبِ التي تُحصَدُ.

و﴿حبَّ الحصيدِ﴾ عندَ بعضِ النُّحاةِ من إضافةِ الشَّيءِ إلى صفتِه[1].

وعند بعضِهم: الحصيدُ: وَصفٌ للقُضُبِ أو للسُّنْبلةِ[2] التي فيها الحبُّ، وذلك يُحصَدُ لا الحَبُّ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الكوفيين، واستغربه، وانظر: «اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (١/ ٣٩١).

(٢) في (ن): «للقُصُب أو السنبلة».

(١٠) ـ ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ طوالًا عجيبةَ الخلقِ.

وقيل: ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾؛ أي: حواملَ؛ من قولِهم: أبسَقَتِ الشّاةُ؛ إذا حملَتْ، فيكونُ من بابِ (أفعَلَ) فهو فاعلٌ[١]، وقد سبقَ في (الحِجْرِ).

﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾: منضودٌ بعضُه إلى بعضٍ، وهو ما دامَ في كُفُرّاهُ، فإذا خرجَ فليس بنضيدٍ.

وقيل: طَلْعُها: ثمرُها؛ كقولِه: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، فيكون المعنى: ثمارُها في حلوقِها ورُؤوسِها لا كسائرِ الأشجارِ مُتفرِّقٌ ثمارُها.

أبو عُبيدةَ: نخلُ الجنَّةِ نضيدٌ ما بينَ أصلِه وفرعِه[٢]، كلما نُزِعَتْ رُطَبَةٌ عادَتْ ألينَ من الزُّبْدِ، وأحلى منَ العسلِ[٣].

***

(١) أي: ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ بمعنى: «مُبْسِقات»، كقوله: ﴿لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] بمعنى: ملاقح. ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠)، واستغربه.

(٢) في (ف): «إلى فرعه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٩) عن أبي عبيدة، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٦) عن أبي عبيدة عن مسروق. وجاء في هذه الروايات: «كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى». وأبو عبيدة هو ابن عبد الله ابن مسعود لا معمر بن المثنى كما قد يتوهم من الإطلاق.

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١) من طريق رجل عن سعيد بن جُبير قال: «نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب... ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم».

(١١) ـ ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾؛ أي: عطاءً دارًّا عليهم.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾: بذلك الماءِ ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ قد جفَّ نباتُها وتهشَّمَ، فأنبَتْنا فيها فاهتزَّتْ بالنَّباتِ وحَيِيَتْ.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من قُبورِهم يومَ البعثِ بعد أن كنتُم أمواتًا.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُنزِلُ الله تعالى منَ السَّماءِ مطرًا كنُطَفِ الرِّجالِ، فيُنبِتُ عليه اللَّحمَ والعظامَ والأجسادَ، فيُرجِعُ كلَّ روحٍ إلى جسدِه[1].

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ يُريدُ: وقومُ لوطٍ، وسمَّاهم إخوانَه لأنَّ بينَهم نسبًا قريبًا.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ سبقَ في (الدُّخان).

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: كلُّ قومٍ كذَّبوا رسولَهم.

وقيل: كلُّ قومٍ كذَّبوا الرُّسلَ جميعًا؛ لأنَّ مَن كذَّبَ رسولًا واحدًا فقد كذَّبَ جميعَهم في الحُكمِ.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾؛ أي: فوجَبَ ما كنتُ توعَّدتُهم به على ألسنةِ رُسُلي منَ العقابِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٨٧).

وقيل: فصارَ حقًّا عندَهم لمَّا عايَنُوه، وبعد أنْ كانوا يتوهَّمونَه غيرَ حقٍّ، لكنَّه لـم ينفَعْهم.

***

(١٥) - ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾: أفعَجَزْنا عنِ الخلقِ الأوَّلِ وجَهِلْنا وجهَ الأمرِ فيه حين أنشأناهُ فنَعجِزَ عن الخلقِ الثَّاني؟ استفهامُ إنكارٍ.

والخَلْقُ الأوَّلُ: الإبداءُ، وهم مُقِرُّونَ بقدرةِ الله تعالى عليه، والخَلْقُ الثَّاني: الإعادةُ.

الحسنُ: الخَلْقُ الأوّلُ آدمُ عليه السَّلامُ(١).

وقيل: معناه: أفعَيينا عن إهلاكِ مَن قبلَهم فنَعْيا عن إهلاكِهم؟

﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ لبَّسَ الشَّيطانُ عليهم بشُبَهِه.

***

(١٦) - ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾؛ أي: ما يخطرُ ببالِه ولـم يفعَلْه بعدُ. والوَسْوَسةُ: حديثُ النَّفسِ في خفاءٍ.

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ أي: نحنُ أعلَمُ بضميرِه ممَّن كان في القُربِ منه بمنزلةِ حبلِ الوريدِ، وهو العِرْقُ الذي بينَ الحلقومِ والعِلْباوَينِ(٢).

وقيل: هو حبلُ العاتقِ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٩).

(٢) العلباء: عصب العنق، وهما علباوان. انظر: «العين» (٢/ ١٤٧).

وقيل: حَبْلُ الوَرِيد: نِياطُ القلبِ.

وقيل: معناه: نحنُ أعلَمُ بما تُوسوِسُ به نفسُه من حبلِ وريدِه بذلك، وهو عِرْقٌ متَّصِلٌ بالقلبِ، وهما وريدانِ عن اليمينِ وعن الشِّمالِ، وسُمِّي وريدًا لأنَّه يَنصَبُّ إليه ما يرِدُ منَ الرَّأسِ، والإضافةُ من بابِ: مسجدِ الجامعِ.

وقُربُ الله سبحانَه بالعلمِ.

وقيل: بالقدرةِ.

***

(١٧) ـ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾؛ أي: يتلقَّى الملَكانِ الموكَّلانِ قولَه وعملَه.

والتَّلقِّي: الأخذُ والقَبولُ والتَّلقُّفُ والتَّلقُّنُ[1]؛ كقولِه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقيل: التَّلقِّي للشَّيءِ: أخذُه عن قائلِه.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: أحدُهما عن يمينِه يكتُبُ حسناتِه، والآخرُ عن شمالِه يكتبُ سيِّئاتِه.

﴿قَعِيدٌ﴾: قاعدٌ وجالسٌ، وقيل: ﴿قَعِيدٌ﴾: رَصَدٌ.

ووحَّدَ لأنَّ التَّقديرَ: عن اليمينِ قعيدٌ، وعن الشِّمالُ قعيدٌ، فاستغنَى بذكرِ أحدِهما عن الآخرِ.

وقيل: (فعيلٌ) قد يقعُ موقعَ الجمعِ، فلذلك يقعُ موقعَ التَّثنيةِ[2]؛ كقولِه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، وقولِه: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

---

(١) بعدها في (ن): «واحد». في (ف): «والتلفق» بدل: «والتلقن».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الأخفش، واستغربه.

وقيل: ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى: مُقاعِدٍ، كجليسٍ وشريبٍ، وهو يقتَضي اثنَين[١].

***

(١٨) ـ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾: ما يتكلَّمُ به، وما يَرْمِي به مِن فيه.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: عندَه. قيل: يعودُ إلى القولِ الملفوظِ.

وقيل: إلى الإنسانِ.

﴿رَقِيبٌ﴾: حافظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾: ثابتٌ لازمٌ.

وقيل: العتيدُ: المُعدُّ للُزومِ الأمرِ، واللهُ تعالى وكَّلَ بكلِّ مُكلَّفٍ أربعةَ أملاكٍ: ملكَين باللَّيلِ وملكَينِ بالنَّهارِ يُحصِيانِ عليه كلَّ شيءٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يكتبانِ إلّا الخيرَ والشَّرَّ[٢].

الحسنُ: عجِبتُ لابنِ آدمَ، ملكاه على نابَيه، لسانُه قلمٌ لهما، وريقُه مدادٌ لهما، كيف يتكلَّمُ ما يَعنيه وما لا يَعنيه[٣]؟

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٠) عن الفراء، واستغربه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٠).

(٣) في (ف): «كيف يتكلم فيما لا يعنيه». رواه مختصرًا ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧٩) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: «لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداده».

وروى أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٤٢٥) من طريق إبراهيم بنِ حيَّانَ بن حكيمِ بنِ سُوَيدِ بنِ علقمةَ بنِ سعدِ بنِ معاذٍ، ثنا أبي، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنْقُوا أفواهكم بالخِلَال؛ فإنها مَسْكنُ المَلَكَيْنِ الحافِظَيْنِ الكاتِبَيْنِ، وإنَّ مدادَهما الرِّيقُ، وقلمَهما اللِّسانُ، وليس شيءٌ أشدَّ عليهم من فضلِ الطعامِ في الفم».

(١٩) ـ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: شِدَّتُه وغَلَبَتُه على فهمِ الإنسانِ، كشدَّةِ النَّومِ والشَّرابِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ببيانِ ما يصيرُ إليه الإنسانُ بعد موتِه من جنَّةٍ أو نارٍ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بأمرِ الله وحُكمِه الذي عمَّ به جميعَ الأحياءِ.

وقيل: الحقُّ هاهنا هو الله تعالى، ولعلَّ هذا القائلَ أرادَ: بعلمِ الحقِّ واليقينِ الذي لا يبقَى معه شكٌّ ولا ارتيابٌ(١).

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالموعودِ المحقوقِ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسَمٌ، وفيه بُعدٌ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموتِ، وقيل: إلى الحقِّ.

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ تميلُ وتروغُ وتكرهُ، وهذا من قولِ الملَكِ.

وقيل: من قولِ الله.

و(كانَ) في الآيةِ زيادةٌ. والمعنى: فاستعِدَّ له.

***

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعني: نفخةَ البعثِ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾؛ أي: يَتحقَّقُ فيه الوعيدُ.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: تجيءُ كلُّ نفسٍ في هذا اليومِ ومعها سائقٌ يسوقُها إلى موقفِ الحسابِ، ولا مفرَّ له، وشاهدٌ يشهدُ عليه(٢)، فلا إنكارَ له.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «له».

وقيل: السَّائقُ: كاتبُ سيِّئاتِه، والشَّهيدُ: كاتبُ حسناتِه.

وقيل: السَّائقُ: الملَكُ، والشَّهيدُ: جَوارِحُه.

وقيل: الشَّهيدُ عملُه.

وقيل: الشَّهيدُ نفسُه.

وقيل: السَّائقُ: قرينُه منَ الشَّياطينِ، والشَّهيدُ: الملَكُ.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ القولُ مُضمَرٌ، والخطابُ للكفَّارِ عندَ بعضِهم، والغفلةُ هو الإنكارُ.

وقيل: هو عامٌّ، والغفلةُ الاشتغالُ.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: فرفَعْنا وأزَلْنا عنك الحجابَ.

قال بعضُهم: يُريدُ: يومَ الولادةِ منَ الأمِّ.

وقيل: بالنَّشرِ من القبرِ.

وقيل: وقتَ العرضِ في القيامةِ.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فعِلمُك اليومَ نافذٌ.

وقيل: بصرُه: عينُه[1].

وقيل: البصرُ الحديدُ: لسانُ الميزانِ[2].

قال ابنُ زيدٍ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ[3]؛ أي: ﴿كُنتَ﴾ قبلَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، وعده من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١)، واستغربه.

الوحي ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ العلم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ بما أَوْحينا إليكَ ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: فعِلمُكَ اليومَ ثاقبٌ نافذٌ، وهذا كقولِه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الجمهورُ على أنَّه الملَكُ.

وقيل: قرينُه منَ الشَّياطين[١].

وقيل: قرينُه منَ الإنسِ.

وحكَى محمَّدُ[٢] بنِ جريرٍ: أنَّ القرينَ واحدٌ والمُرادُ به اثنانِ، كالأسماءِ المُوحَّدةِ التي تقعُ على الواحدِ[٣] والاثنَين والجمعِ، وقد سبقَ مثلُ هذا في ﴿قَعِيدٌ﴾، فيكونُ القرينُ: الملَكَين الحافظَين[٤].

﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾؛ أي: هذا ما كنتُ أكتبُه فهو[٥] حاضرٌ عندي؛ فإنْ كانَ العبدُ من أهلِ الإيمانِ والجنَّةِ أُحضِرَ كتابُ حسناتِه؛ لأنَّ سيِّئاتِه قد كُفِّرت، وإنْ كانَ من أهلِ الكفرِ والنَّارِ أُحضِرَ كتابَ سيِّئاتِه؛ لأنَّ حسناتِه حبِطَتْ لكفرِه.

وعلى التَّأويلِ الآخرِ: يقولُ قرينُه منَ الشَّيطانِ الإنسيِّ: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾؛ يعني: ما يحضُرُ به منَ العذابِ الذي أَعَدَّ الله لهما.

وعلى التَّأويلِ الثَّالثِ: يقولُ الإنسيُّ للشَّيطانِ: لم أجِدْ ممَّا وعَدْتَني به في الدُّنيا إلا هذا العذابَ الحاضرَ عندي.

---

(١) في (ن): «الشيطان».

(٢) في (ن): «وحكي عن محمد».

(٣) في (ن): «الواحدة».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٣٧)، ونقل المصنف كلامه بالمعنى.

(٥) «فهو» من (ف).

والوجهُ هو الأوَّلُ، والعتيدُ: المعَدُّ الحاضرُ، وهو صفةٌ لـ﴿مَا﴾ إذا جعلتَه نكرةً، أو خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو بدَلٌ منَ الخبرِ(١).

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾؛ أي: يُقالُ: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وقيل: يقولُ الله: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وفي المُخاطَبِ به أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه(٢) السّائقُ والشَّهيدُ فيمَن جعلَهما الملَكَين(٣)؛ لأنَّهما معه إلى أن يدخلَ الجنّةَ أو النّارَ.

والثّاني: أنَّهما ملَكانِ من خزنةِ النَّارِ.

وقيل: خطابٌ لمالكٍ خازنِ النَّارِ، وثنَّى على عادةِ العربِ في خطابِ الواحدِ خطابَ الاثنَين(٤)، قال الشَّاعرُ:

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣١) وفيه: «﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ خبره، فإن جعلت ﴿مَا﴾ نكرةً فـ﴿لَدَيَّ﴾ صفتُه و﴿عَتِيدٌ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، فإن جعلتَ ﴿مَا﴾ موصولةً فـ﴿لَدَيَّ﴾ صلته».

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٨٦): «إنْ جعَلْتَ ﴿مَا﴾ موصوفةً فـ﴿عَتِيدٌ﴾ صفةٌ لها، وإنْ جعلتَها موصولةً فهو بدلٌ، أو خبرٌ بعدَ خَبرٍ، أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ».

(٢) في (ف): «أنهما».

(٣) في (ن): «ملكين».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٢)، وعده من العجائب.

فإنْ تزجُراني يا بنَ عفَّانَ أنزَجِرْ وإنْ تدَعاني أحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا(١)

ومثلُه:

فقلتُ لصاحبي لا تَحْبِسانا بنزعِ أصولِه واجتَزَّ شِيْحا(٢)

وله أمثالٌ، وقد سبقَ.

وقيل: الألفُ في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلٌ من نونِ التَّأكيدِ المُخفَّفةِ، أُجرِيَ في الوصلِ مُجرى الوقفِ(٣).

وقيل: أرادَ: ألقِ ألقِ، فلم يُمكِنْ تثنيةُ الفعلِ، فثُنِّيَ الضَّميرُ.

وعلى هذه الأقوالِ الثَّلاثةِ حُمِلَ:

قِفا نَبْكِ(٤)

ويحتمِلُ أنَّه خطابٌ للقرينِ فيمَن جعلَه بمعنى التَّثنيةِ على ما سبقَ.

﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: كلَّ كافرٍ مُبالغٍ في كفرِه.

﴿عَنِيدٍ﴾: عادلٍ عنِ الصَّوابِ، تقولُ: عَنَدَ عنه: مالَ، و﴿عَنِيدٍ﴾ بمعنى: عاندٍ؛ أي: مائلٌ.

---

(١) لسويد بن كراع. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص ٣٥)، و«الأغاني» (١١/ ١٢٣)، و«سمط اللآلئ» (١/ ٩٤٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٢/ ١٦٠).

(٢) نسبه الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٨٦٨) ليزيد بن الطثرية، وقال ابن بري: «ليس هو ليزيد»، وزاد الصاغاني: «وإنما هو لمضرس بن ربعي الأسدي». انظر: «التكملة» للصاغاني، و«تاج العروس» للزبيدي مادة: (ج ز ز).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٥) عن الأعشى، برواية: «لا تعجلانا» بدل: «لا تحبسانا».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٢)، واستغربه.

(٤) مطلع معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ١٤).

وقيل: ﴿عَنِيدٍ﴾ بمعنى: مُعانِدٍ. وله وجهانِ:

أحدُهما: يعرِفُ الحقَّ فيجحَدُه.

والثّاني: لا يعرِفُ خطأَ ما هو عليه.

* * *

(٢٥) - ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: الزَّكاةِ المفروضةِ، وقيل: كلِّ حقٍّ أوجبَه الله تعالى، والخيرُ: المالُ.

وقيل: الخيرُ: الإسلامُ، والمُرادُ به الوليدُ بنُ المُغيرةِ، كان يمنعُ بَنيهِ ولُحْمتَه[1] منَ الإسلامِ[2].

﴿مُّعْتَدٍ﴾: يظلمُ النَّاسَ بلسانِه ويدِه، وقيل: يأتي الأمورَ القبيحةَ.

﴿مُّرِيبٍ﴾: الدَّاخلُ في الرَّيبِ، وقيل: هو الذي يأتي الرِّيبةَ.

* * *

(٢٦) - ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ الأوّلُ أمرٌ بالإلقاءِ في النَّارِ، والثَّاني بالإلقاءِ في العذابِ الشَّديدِ.

وقيل: التَّكرارُ للتَّأكيدِ.

* * *

---

(١) في هامش (ن): «قرابته»، وعليها علامة التصحيح، وهي شرح اللحمة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٧١).

(٢٧) ـ ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني: الشَّيطانُ المُقيَّضُ له.

وهذا حجَّةُ مَن ذهبَ في الآيةِ الأولى إلى أنَّه الشَّيطانُ، والمعنى: أنَّه إذا أُلقِيَ في النّارِ ادَّعى على قرينِه منَ الشَّياطينِ، فيقولُ قرينُه:

﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ كما زعمَ ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فصَحِبْتُه على طُغيانِه وضلالِه.

وقيل: ولكنْ كانَ طاغيًا باختيارِه الفرَّاءُ[1].

﴿فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ منَ الرَّشادِ والحقِّ.

وقيل: في ضلالٍ مُتقادمٍ بَعيدِ المُدّةِ عن وقتِ صُحبَتي.

***

(٢٨) ـ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾.

﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ بإحالةِ بعضِكم الذَّنبَ على البعضِ، فكلٌّ منكم مُستحِقٌّ للعذابِ.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ بهذا العذابِ على ألسنةِ رُسلي، فلا عُذرَ لأحدٍ عندي.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الوعيدُ: الرَّسولُ[2].

وقيل: القرآنُ.

وقيل: الأمرُ والنَّهيُ.

---

(١) هذا معنى قول الفراء؛ فإنه قال: «وقوله: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ يقوله الملك الذي كان يكتب السيئات للكافر، وذلك أن الكافر قال: كان يعجلني عن التوبة، فقال: ما أطغيته يا رب، ولكن كان ضالاً». انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩). وسيأتي.

(٢) الذي وقفت عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية هو ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠١) عنه قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ قال: «على لسان الرسل أن من عصاني عذبته».

(٢٩) ـ ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: هو إخلادُ الكفَّارِ في النَّارِ.

وقيل: لا يُحرَّفُ ولا يُزادُ ولا يُنقَصُ.

وقيل: هو قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقيل: هو قولُه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الآية [الأنعام: ١٦٠].

وقيل: قولُه: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ من كلامِ الملَكِ؛ لأنَّ الكافرَ يقولُ: كان يُعجِّلُني عن التَّوبةِ، فيقولُ: ما أطغَيْتُه ولكنْ كان ضالًّا.

وقال بعضُ المُفسِّرين: في قولِه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: معناه: ما يُكذَّبُ عندي لعِلْمي بحقِّه من باطلِه(١).

وقيل: تبديلُه أن يفعلَ بخلافِ ما أَخْبرتُه.

وقيل: هو كقولِه: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقولُه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ سبقَ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ بقولِه: ﴿ظلام﴾ عندَ بعضِهم.

وقيل: نصبٌ بقولِه: ﴿يُبَدَّلُ﴾.

وقيل: أنذِرْهُم يومَ نقولُ، كقولِه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩].

---

(١) هذا والذي قبله كلام الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩).

وقيل: ظرفٌ لجميعِ ما تقدَّمَ؛ أي: ذلك يكونُ ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ نحنُ.

وقُرِئَ بالياءِ[(١)]؛ أي: يقولُ الله لجهنَّمَ: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

حملَ جُلُّ المُفسِّرين القولَ على الحقيقةِ كما سبقَ في قولِه: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال بعضُهم: الخطابُ والجوابُ لأهلِ جهنَّمَ.

وقال بعضُهم: هذا مجازٌ، وتقديرُه: لو كانَ لها تمييزٌ لقالت: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ ومثلُه قولُه:

امتلأَ الحَوْضُ وقالَ: قَطْني ... مَهْلاً[(٢)] رُوَيْداً قد ملأْتَ بَطْني[(٣)]

وهذا كثيرٌ[(٤)].

وقولُه: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها امتلأَتْ وصارَتْ بحيثُ لا يَنْجَعُ فيها إبرةٌ؛ تصديقًا لقولِه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[(٥)] [هود: ١١٩]، وهذا سؤالُ توبيخٍ لمَن في النَّارِ، وزيادةٍ في مكروهِهم، والمعنى: لم يبقَ فيَّ موضعُ زيادةٍ، ومثلُه قولُه عليه السَّلامُ: «وهل ترَكَ لنا عقيلٌ من دارٍ؟»[(٦)]؛ أي: لم يترُكْ؛ لأنَّه باعَ

---

(١) هي قراءة نافع وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٢) في (ف): «سلا» وهي رواية بعض المصادر كـ«الزاهر».

(٣) نسب لأبي النجم العجلي الراجز في «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٢٣)، و«الإبانة» للعوتبي (٤/ ٢٦)، وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٣)، وعده من العجائب.

(٥) «﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾»: ليس في (ف).

(٦) رواه البخاري (٤٢٨٢)، ومسلم (١٣٥١)، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

دورَ المهاجرينَ بعد هجرتِهم إلى مكّةَ(١).

والثّاني: أنَّها تستزيدُ، وأنَّ هذا قبلَ دخولِ جميعِهم فيها.

والثّالثُ: أنَّ قولَها: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ طلبٌ لأن يُزادَ في سعتِها ليزيدَهم انتفاخًا، وقد جاء في الأخبارِ: «غِلَظُ جلدِ الكافرِ في النّارِ سبعونَ ذراعًا بذراعِ الجبّارِ»(٢).

وأمّا ما ذكرَه المُفسِّرون وجاء في الخبرِ من قولِه ﷺ: «لن تمتلِئَ النّارُ حتَّى يضعَ الجبَّارُ قدمَه فيها فتقولُ: قَطْ قَطْ قد امتلأتُ»(٣)؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجبَّارَ هو الكافرُ، مِن قولِه: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ورَوَى بعضُهم: «حتَّى يضعَ الرَّحمنُ قدمَه فيها»(٤)، فذهبَ بعضُ(٥) العلماءِ إلى أنَّ القدمَ هم الذين أعدَّهم للنّارِ وخلقَهم لها، ومثلُه قولُه: ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ [يونس: ٢].

ورَوَى بعضُهم: «حتَّى يضعَ رجلَه فيها»(٦)، والرِّجلُ: الجماعةُ المُعدَّةُ لها أيضًا، قال الشَّاعرُ:

---

(١) كذا في النسختين، والصواب: «إلى المدينة» أو «من مكة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «... وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار»، ورواه مسلم (٢٨٥١) بلفظ: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث».

(٣) رواه بلفظ: «الجبار» البزار في «مسنده» (٧١٦١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٠٧).
ورواه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ قَدَمه فتقول: قط قط وعِزَّتِكَ، ويُزوى بعضُها إلى بعض».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) «بعض» ليست في (ن).

(٦) رواه البخاري (٤٨٥٠).

فمرَّ بنا رجلٌ منَ النّاسِ وانزَوَى إليهم منَ الحيِّ اليَماني أرجُلُ[١]

ورِجْلٌ منَ الجرادِ: معروفٌ.

وأنكرَ بعضُ المُفسِّرين الخبرَ أصلًا، وقال: إنَّ هذا كلامُ المُجسِّمةِ، ثمَّ قالَ: ولا أدري كيف قولُهم في قدمِه أيترُكُها في جهنَّمَ بحالِها أم يُخرِجُها؟ فإنْ تركَها وجبَ أن تكونَ مُخلَّدةً في النّارِ مع أهلِ النّارِ، وإنْ أخرجَها عادَتْ جهنَّمُ غيرَ مملوءةٍ. وهذا اعتراضٌ على المُجسِّمةِ مُسْكِتٌ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ: «قِدْمَه» بكسرِ القافِ[٢]، وفسَّرَه بأنَّهم قومٌ خلقَهم الله تعالى قبل آدمَ عليه السَّلامُ، يُقالُ لهم: القِدْمُ، رُؤوسُهم كرُؤوسِ الكلابِ والذِّئابِ، وسائرُ أعضائِهم كأعضاءِ بني آدمَ عليه السَّلامُ، فعَصَوا ربَّهم فأهلكَهم، يملأُ الله بهم جهنَّمَ[٣]. وهذا ضعيفٌ في الرِّوايةِ ركيكٌ.

والاعتراضُ على هذا وعلى المُجسِّمةِ من وجهٍ أحسَنَ منَ الأوَّلِ، وهو أن يُقالَ: إنَّ الله سبحانَه عيَّنَ وبيَّنَ، فقالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، فإذا ملأَها ممَّا ذهبَ إليه الثَّعلبيُّ، أو ممَّا ذهبَ إليه المُجسِّمةُ لا يكونُ إنجازًا وبِرًّا، بل يكونُ خُلْفًا. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٨١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٦)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١)، والعيني في «عمدة القاري» (٢٣/ ١٨٦) عن حسان بن عطية، ووهب بن منبه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١)، وابن ملك في «شرح المصابيح» (٦/ ١٤٤)، والعيني في «عمدة القاري» (٢٣/ ١٨٦) عن وهب بن منبه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٣)، وعده من العجائب.

(٣١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: قُرِّبَتْ وأُدنِيَتْ، والإزْلافُ[1]: التَّقريبُ في الخيرِ.

قيل: هذا قبلَ الدُّخولِ يرونها من قربٍ إلى أن يدخلوها بعدَ الحسابِ، ومثلُه: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

وقيل: هذا بعدَ الدُّخولِ؛ أي: قُرِّبتْ لهم مواضِعُهم فيها فلا يطلُبونَ منها بُعدًا.

وقيل: قُرِّبَتْ للمتَّقين لتُقرِّبَهم قُربَ ظفَرٍ ودخولٍ غيرِ بعيدٍ؛ أي: قَرُبَتْ ولم تَبْعُدْ[2].

وقيل: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ في الزَّمانِ والمكانِ.

وذُكِّر (البعيدُ) حملًا على الزَّمانِ أو المكانِ.

* * *

(٣٢) ـ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: يُقالُ للمُتَّقين وقد أُزلِفَتِ الجنَّةُ: هذا الذي تُوعَدون في الدُّنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

وقيل: خاطبَهم في الدُّنيا فقال: هذا الذي وُعِدتُم ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾، وهذا أظهرُ.

و﴿هَٰذَا﴾ في الآيةِ مُبتدأٌ، ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ صِفَتُه، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ خبرُه.

ومعنى ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: راجعٍ منَ المعصيةِ إلى الطّاعةِ.

وقيل: توّابٍ، كلَّما أذنبَ ذنبًا تاب.

---

(١) في (ن): «والازدلاف».

(٢) في (ف): «أي قريب فلم يبعد».

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَوَّابٍ﴾ مُسبِّحٍ[1].

﴿حَفِيظٍ﴾: يحفظُ ذنوبَه حتَّى يتوبَ منها.

وقيل: الحفيظُ لِـمَا يسمعُ من كلامِ الله وسنَّةِ رسولِه.

وقيل: يَحفظُ كلَّ ما قرَّبه إلى ربِّهِ.

وقيل: ﴿حَفِيظٍ﴾: يذكرُ ذنبَه إذا خلا، فيستغفرُ الله منه.

وقيل: الحفيظُ: المُطيعُ.

وقيل: يحفظُ نفسَه فلا يَشْرَعُ في معصيةٍ.

وقيل: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ هو الرَّجلُ يكونُ في المجلسِ، فإذا أرادَ أن يقومَ قال: اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما أصبتُ في مجلسي هذا.

ومعنى: ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظٌ، وقيل: مُحافظٌ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾.

﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾: مَن أخلَصَ لله في السِّرِّ والعَلَانيةِ.

وقيل: مَن آمنَ بالبعثِ والجزاءِ، وذلك غَيْبٌ.

وقيل: خشيَ عذابَ الله بالغيبِ من حيثُ لا يشعرُ به النَّاسُ.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مُقبلٍ إلى الله بطاعتِه، راجعٍ إليه بعملِه.

﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ يجوزُ أن يكونَ خفضًا على البَدَل، ويجوز أن يكونَ خبرًا؛ أي: هم مَن خشِيَ، ويجوزُ أن يكونَ مُبتدأً والخبرُ: يُقالُ لهم: ﴿ادْخُلُوهَا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٠ و٤٥٢).

وقيل: ضَمٌّ بالنِّداءِ، تقديرُه: يا مَن خشِيَ الرَّحمنَ ادخُلوها، فلا يُحتاجُ إلى إضمارِ القولِ.

والباءُ في ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ للحالِ، وقيل: بظهرِ الغيبِ.

و﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾: بسريرةٍ مَرْضيَّةٍ وعقيدةٍ صحيحةٍ.

***

(٣٤) ـ ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖ﴾؛ أي: سالمينَ ناجينَ من كلِّ مكروهٍ ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾؛ إمَّا في الجنَّةِ وإمَّا في النّارِ، والتَّقديرُ: ادخُلوها خالدينَ ذلك يومُ الخلودِ.

***

(٣٥) ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ هو كقولِه: ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ بالواحدِ عشرًا.

وقيل: المزيدُ: التزوُّجُ بالحورِ العينِ.

والجمهورُ على أنَّ المزيدَ رؤيةُ الله سُبحانَه.

الزَّجَّاجُ: إنَّ السَّحابَ يمرُّ بأهلِ الجنَّةِ فيُمطِرُهم الحورَ، فتقولُ الحورُ: نحنُ الذي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾(١).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٧)، وورد نحوه مرفوعًا في أحاديث:

منها: ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٩٧) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «... ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وإن =

(٣٦) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾: قبلَ قومِكَ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ منَ القرونِ الذين كذَّبوا رسُلَهم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾: من قومِك ﴿بَطْشًا﴾: قوَّةً، وأقوى أبدانًا، وأشدُّ سطوةً على النَّاسِ.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: طوَّفوا وفتَّشوا وساروا وسلكوا، قالَ امرُؤُ القيسِ:

لقد نقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى … رَضِيْتُ مِن الغَنِيمةِ بالإيابِ[1]

فلم يجدوا منَ الموتِ محيصًا؛ أي: موضِعًا يهرُبونَ إليه.

وقيل: المُنقِّبونَ هم الذين كذَّبوا الرُّسلَ، تقولُ: نقَّبوا في البلادِ يطلُبون محيصًا من عذابِهم فلم يجِدوه.

وقيل: فنقَّبَ مُشرِكُو قُريشٍ وساروا في بلادِ أولئك القومِ، وشاهَدوا آثارَ ما

= أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت فتقول: أنا من المزيد...». وإسناده ضعيف لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السَّمْح ـ في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العُتْواري.

وورد نحو هذا فيما رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٣٢ ـ زوائد)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٦٢)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): «وفيه سعيد بن زربي وهو ضعيف».

وروى نحوه أيضاً يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وفيه أبان ابن أبي عياش متروك، وشهر بن حوشب ضعيف.

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٥)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٤)، و«البيان والتبيين» (٣/ ١٧٠)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٠٦)، ورواية الديوان: «وقد طوفت في الآفاق...».

حلَّ بهم من حيثُ لـم يجِدُوا منه مَحيصًا، والمعنى: سكنتُم في مساكنِ الذين ظلَمُوا أنفُسَهم.

وقيل: معناه: هل كان لهم من محيصٍ؟

والنَّقبُ: الخرقُ والدُّخولُ[1] في الشَّيءِ، والنَّقبُ: الطَّريقُ أيضًا، فيكون المعنى: ساروا في طرُقِها.

وقيل: ﴿نقَّبوا في البلادِ﴾: أكثَرُوا السَّيرَ فيها حتَّى نقِبَتْ دوابُّهم؛ أي: صارَتْ في خُفِّها نُقوبٌ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ فيما ذُكِرَ في هذه السُّورةِ ﴿لَذِكْرَىٰ ﴾: تذكيرًا وعِظةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾؛ أي: عقلٌ، والقلبُ يُذكَرُ والمُرادُ به العقلُ.

وقيل: القلبُ: محلُّ التَّدبُّرِ؛ كما قالَ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، فيكونُ المعنى: لمَن استعملَ قلبَه في التدبُّرِ والنَّظرِ، قال الشَّاعرُ:

وأنَّـكِ مهمـا تأمُـري القلـبَ يفعـلِ[2]

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: ما بُني الإنسانُ إلَّا على قلبٍ، ولكنْ لمَن كانَ له قلبٌ حيٌّ.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾: أصغَى إلى مواعظِه وزواجرِه، وإلقاءُ السَّمعُ: هو السَّمعُ إلى الشَّيءِ، قال: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

---

(١) في (ن): «والنقب والخرق الدخول».

(٢) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته، وصدره:

أغَـرّكِ منـي أنّ حبَّـكِ قاتِلـي

انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٣٣)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٢٢).

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ منَ الشَّهادةِ التي هي الحضورُ؛ أي: حاضرُ القلبِ والفكرِ غيرُ ساهٍ غافلٍ عمَّا يُقالُ ويُسمعُ.

وقيل: ﴿شَهِيدٌ ﴾ منَ الشَّهادةِ التي تثبُتُ بها الحقوقُ. والمعنى: يتذكَّرُ بالقرآنِ أحدُ الرَّجلينِ؛ إمَّا رجلٌ له قلبٌ وعقلٌ يعرِفُ مُعجزتَه فيُؤمنُ به، وإمَّا رجلٌ مُستمِعٌ مُسترشِدٌ.

وقيل: ﴿مَن كانَ له قَلْبٌ﴾: هو المؤمنُ منَ العربِ ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾: المؤمنُ من أهلِ الكتابِ؛ لأنَّه شاهدٌ بأنَّ في الكتابِ الأوَّلِ نعتَ محمَّدٍ ﷺ، وشاهدٌ أنَّ هذا الكتابَ مُصدِّقٌ للكتابِ الأوَّلِ.

* * *

(٣٨) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ أتتِ النَّبيَّ ﷺ فسألته عن خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، فقال: «خلقَ الله الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنَين، وخلقَ الجبالَ وما فيها منَ المنافعِ يومَ الثُّلاثاءِ، وخلقَ الشَّجرَ والنَّباتَ والماءَ يومَ الأربعاءِ، وخلقَ السَّماواتِ يومَ الخميسِ، وخلقَ النُّجومَ والشَّمسَ والقمرَ يومَ الجمعةِ»، فقالتِ اليهودُ: ثمَّ ماذا يا محمَّدُ؟ قالَ: «ثمَّ استوَى على العرشِ»، قالوا: قد أصبتَ لو تمَّمْتَ، ثمَّ استراحَ يومَ السَّبتِ، فغضبَ النَّبيُّ ﷺ غضبًا شديدًا فنزلَتْ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، والحاكم في =

والمُرادُ بقولِه: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي أيَّامٌ[1] كأيَّامِ الدُّنيا.

الضَّحَّاكُ: كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ مـمَّا تَعُدُّونَ[2]، وقد سبقَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وقوعُ العالَـمِ على هذا التَّرتيبِ والتَّأليفِ وأن يكونَ بعضُه سببًا لبعضٍ مُستحيلٌ في نفسِه أن يُوقَعَ في أقلَّ ممَّا أُوقعَ فيه، واللهُ سُبحانَه لا يُوصَفُ بالقدرةِ على المُستحيلاتِ[3].

قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾؛ أي: تعبٍ وإعياءٍ، خلافًا لليهودِ حيثُ قالوا: استراحَ يومَ السَّبتِ، فوضعَ إحدى رجلَيه على الأخرى في الجلوسِ.

قيل: لـمَّا سمَّى اللهُ تعالى السَّبتَ يومَ الرَّاحةِ، ظنُّوه استراحَ فيه، وإنَّما أراحَهم؛ إذ جعلَه عيدًا لهم، وأنكرَ اليهودُ التَّربيعَ في الجلوسِ، وزعموا أنَّه جلسَ تلك الجلسةَ يومَ السَّبتِ.

* * *

= «المستدرك» (٣٩٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٧). من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: «أبو سعد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه». قلت: وأبو سعد البقال هو سعيد بن المرزبان العبسي مولاهم، الكوفي الأعور. قال عنه الحافظ في «التقريب»: «ضعيف مدلس».

(١) «أيام»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٧) عن الضحاك، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٤) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وعده من العجائب.

(٣٩) - ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: على ما قالتِ اليهودُ.

وقيل: فاصبِرْ على أذى الكفَّارِ، ولا تستعجِلْ عذابَهم.

وقيل: منسوخٌ بقولِه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩](١).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: نزِّهْهُ عن الرّاحةِ والإعياءِ والجلسةِ والتَّربيعِ.

والجمهورُ على أنَّ المُرادَ بالتَّسبيحِ هاهنا: الصَّلواتُ الخمسُ، وكانَ النَّبيَّ ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ فزِعَ إلى الصَّلاةِ(٢).

قولُه: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاةُ الفجرِ ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: صلاةُ الظُّهرِ والعصرِ.

* * *

(٤٠) - ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صلاةُ المغربِ وصلاةُ العشاءِ الآخرةُ.

قتادةُ: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]: صلاةُ العصرِ(٣).

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٨٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٤/ ٤٩٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤١).

وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: صلاةُ العشاءِ الآخرةِ.

وقيل: فسبِّحِ[1] اللهَ باللَّيلِ.

﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قُرِئَ بالكسرِ والفتحِ[2]، الكسرُ مصدرُ (أدبرَ)، والفتحُ جمعُ (دُبرٍ)، والمعنى واحدٌ؛ لأنَّ انقضاءَ الشَّيءِ إنَّما يكونُ بآخرِه، وآخرُه إنَّما يكونُ بانقضائِه، والتَّقديرُ: وقتَ إدبارِ[3] السُّجودِ.

فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه التَّسبيحُ المعروفُ باللِّسانِ أعقابَ الصَّلواتِ.

وقيل: هو النَّوافلُ بعد المفروضاتِ، بعد كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ ركعتانِ، والظَّاهرُ يدُلُّ على هذا، والأولى اتِّباعُ الجمهورِ.

وقيل: هي الرَّكعتانِ بعد صلاةِ المغربِ، ورُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أدبارُ السُّجودِ: ركعتانِ بعد صلاةِ المغربِ، وأدبارُ النُّجومِ: ركعتانِ قبلَ صلاةِ الفجرِ»[4].

---

(١) في (ن): «تسبيح».

(٢) قرأ نافع وابن كثير وحمزة بالكسر، والباقون: ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢).

(٣) في (ن): «أدبار».

(٤) رواه الترمذي (٣٢٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه»، قلت: فيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف كما في «التقريب».

وورد موقوفًا من قول بعض الصحابة:

رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٩٦٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٣) عن علي رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٤) عن عمر رضي الله عنه، و(٨٧٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤١) ـ ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ السَّمْعُ: إدراكُ المسموعِ، والاستماعُ: طلبُ إدراكِ المسموعِ بالإصغاءِ إليه.

﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ أي: صِفَةَ يوم ينادي، فحُذِفَ المُضافُ، وهو مفعولٌ به وليس بظرفٍ، وعُدِّيَ إليه الاستماعُ من غيرِ (إلى) واللّامِ؛ كقولِه: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ [الزمر: ١٨].

المُفضَّلُ: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ظرفٌ للاستماعِ، والمعنى: كأنَّك به من صدقِ الوعدِ وقُربِ الوقتِ[(١)][(٢)].

والمنادي: إسرافيلُ. والنِّداءُ: نفخُه.

وقيل: المُنادي هو الله تعالى، وسُمِّيَ نداءً من حيثُ إنَّه جعلَه علَمًا للخروجِ والحشرِ، وإنَّما يقعُ ذلك بالنِّداءِ؛ كأذانِ المُؤذِّنِ، وعلاماتِ الرَّحيلِ في العساكرِ.

وقيل: هو النِّداءُ حقيقةً.

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: هو صخرةُ بيتِ المقدسِ، وهو[(٣)] أقربُ الأرضِ منَ السَّماءِ بثمانيةَ عشرَ ميلًا، وموضعُها وسطَ الأرضِ، يقفُ عليها ملَكٌ ويضَعُ إصبعَيه في أذُنَيه ويُنادي: أيَّتُها العظامُ النَّخِرةُ، والأوصالُ الباليةُ، واللُّحومُ المُتمزِّقةُ، والشُّعورُ المُتفرِّقةُ، قومي إلى محاسبةِ ربِّ العِزّةِ[(٤)].

---

(١) في (ف): «الوعد».

(٢) وقول المفضل ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٣) في (ف): «وهي».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٥) من طريق قتادة عن كعب. وقوله: «وموضعُها وسطَ الأرضِ» هو من كلام قتادة، والباقي من كلام كعب، وهو مما يرويه عن الإسرائيليات.

وسُمِّيَ قريبًا لأنَّه يُسمِعُهم جميعًا، ولا يَبعُدُ أحدٌ منه.

وقيل: كلُّ أحدٍ يسمعُه من تحتِ قدمَيه[1].

وقيل: المُنادي هو الله تعالى، والمكانُ القريبُ: الأذُنُ[2].

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ بدلٌ منَ اليومِ الأوَّلِ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بما هو حقٌّ منَ الجزاءِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ منَ القبورِ، و﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ عندَ أبي عبيدةَ من أسماءِ[3] القيامةِ[4].

وسُمِّيَ يومُ العيدِ: «يومَ الخروجِ» أيضًا تشبيهًا به.

* * *

(٤٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ أي: نُحيي الخلقَ ونُميتُهم في الدُّنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ بالبعثِ في الآخرةِ.

* * *

---

(١) في (ف): «قدمه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٣) في (ف) زيادة: «يوم».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٤)، وفيه: «يوم الخروج: يوم القيامة».

(٤٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾: تتصدَّعُ الأرضُ فيخرجُ[١] الموتى من صُدوعِها.

﴿سِرَاعًا﴾: مُسرعين.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾: جمعُهم ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: هيِّنٌ، نقولُ له: كُنْ، فيكونُ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا تصبيرٌ للنَّبيِّ ﷺ، يقولُ: نحنُ أعلَمُ بما يقولُ المشركونَ من تكذيبِكَ والافتراءِ على ربِّكَ، ونحنُ لهم بالمرصادِ.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: بمُسلَّطٍ تسيرُ فيهم بالجَبريّةِ حتَّى لا يُرضيكَ إلَّا عقوبتُهم. وقيل: ﴿بِجَبَّارٍ﴾: تُجبِرُهم على الإسلامِ، إنَّما بُعِثْتَ مُذكِّرًا، فيكونُ (أجبرَ) فهو جبَّارٌ، كـ(أدركَ) فهو درَّاكٌ.

وجاء أيضًا: جَبَرْتُه[٢] على كذا، فالجبَّارُ صحيحٌ[٣].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: قال المُؤمنونَ: لو ذكَّرتَنا يا رسولَ الله، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٤]، فخَصَّ الخائفينَ لانتفاعِهم به.

والحمدُ للهِ حقَّ حمدِه[٥].

---

(١) في (ف): «فتخرج».

(٢) في (ف): «جبروه».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٥)، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٨).

(٥) «والحمد لله حق حمده» من (ف).

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ستُّونَ آيةً، مكِّيَّةٌ[1] بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ أقسمَ الله تعالى بالذَّارياتِ لمنافعِها.

وقيل: تقديرُه: وربِّ الذَّارياتِ.

وجُلُّ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ بها الرِّياحُ، تقولُ: ذَرَتِ الرِّيحُ تَذْرُو وتَذْرِي، وأَذْرَتْ تُذْرِي، و﴿ذَرۡوٗا﴾ مصدرٌ أفادَ المُبالغةَ في الكثرةِ.

وقيل: ﴿ذَرۡوٗا﴾ مفعولٌ، والمُرادُ به المذرُوُّ[2].

الكلبيُّ: أقسمَ بالذَّارياتِ وما ذَرَتْ[3]، وهو سهوٌ منه.

وقيل: (الذَّارِياتُ) من ذَرَى الفرسُ وأَذْرَى؛ إذا أسرعَ في السَّيرِ[4].

---

(١) في (ف): «سورة والذاريات مكية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٠)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧) من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، واستغربه.

وذهبَ أقضى القُضاةِ إلى أنَّ (الذّارياتِ): النِّساءُ الوَلوداتُ؛ لأنَّ في ترائبِهنَّ ذَرْوَ الخلقِ، ولأنَّهنَّ يُذرِينَ الأولادَ، فصِرْنَ ذارِياتٍ[١].

* * *

(٢) ـ ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾.

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ الجمهورُ على أنَّها السَّحابُ تحملُ الماءَ.

وقيل: هي الرِّياحُ تحملُ السَّحابَ.

وأقضى القُضاةِ حملَها على النِّساءِ الحواملِ[٢].

* * *

(٣) ـ ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾.

﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ أكثرُهم على أنَّها السُّفنُ تجري في البحرِ سهلًا.

وقيل: الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ[٣].

وقيل: الرِّياحُ.

ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: الرِّياحُ ثمانٍ: أربعٌ منها عذابٌ، وأربعٌ منها رحمةٌ؛ أمَّا الرحمةُ: فالنّاشِراتُ والمُبشِّراتُ والذّارِياتُ والمُرسَلاتُ، وأمَّا العذابُ: فالعاصِفُ والقاصِفُ والصَّرْصَرُ والعقيمُ[٤].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره عن ابن عمر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٩). =

وأرادَ ابنُ عمرَ ما في القرآنِ من ألفاظِ الرِّياحِ.

وأجمعتِ العربُ على أنَّ الرِّياحَ أربعٌ: الشَّمالُ والدَّبورُ والجنوبُ والصَّبا، ويُقالُ لها: القَبولُ.

ومهَبُّ الشَّمالِ من بناتِ النَّعشِ إلى مغربِ الشَّمسِ، ومهَبُّ الدَّبورِ من مغربِ الشَّمسِ إلى مَطْلَعِ سُهَيلٍ، ومهَبُّ الجنوبِ من مَطْلَعِ سُهَيلٍ إلى مَطْلَعِ الشَّمسِ، ومهَبُّ الصَّبا من مَطْلَعِ الشَّمسِ إلى بناتِ النَّعشِ.

***

(٤) ـ ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ كلُّ المُفسِّرين على أنَّهم الملائكةُ يُقسِّمُونَ الأرزاقَ بينَ العبادِ.

وقيل: بينَ الحيوانِ على ما يُنزِّلُه الله على أهلِ الأرضِ.

وقيل: تُقسِّمُ ما يُوحي الله إليهم.

وقيل: معنى تقسمُ الملائكةُ؛ أي: تأتي بأمورٍ مختلفةٍ: جبريلُ بالغلظةِ، وميكائيلُ بالرَّحمةِ، وعزرائيلُ بالموتِ، وإسرافيلُ بالنَّفخِ.

وقال ابنُ بحرٍ: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الرِّياحُ أيضًا؛ أي: تُصيبُ بمطرِها على ما قدَّرَه الله تعالى من زيادةٍ ونُقصانٍ وإصابةٍ وحرمانٍ[1].

= ورواه ابن أبي الدنيا في «المطر» (١٧٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٢٣)، لكن عن ابن عمرو رضي الله عنهما، فلعله تحرف عند من قال: «ابن عمر».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالكلِّ الملائكةُ؛ لإجماعِهم على أنَّ المُقسِّماتِ أمرًا هم الملائكةُ، فيكونُ الكلُّ من جنسٍ واحدٍ؛ لأنَّه عطَفَ بعضَها على بعضٍ بالفاءِ، وذلك يقتَضي اتِّصالًا وتعقيبًا(١)، فيكونُ(٢) التَّقديرُ: أقسمَ بالملائكةِ التي تذرو الرِّياحَ فتحملُ السَّحابَ فتجري بها وتُقسِّمُها في البلادِ بينَ(٣) العبادِ، ولهذا المعنى حملَ ابنُ بحرٍ الجميعَ على الرِّياحِ.

وسأَلَ عبدُ الله ابنُ الكَوَّاءِ عليًّا رضي الله عنه عنِ (الذّارياتِ) فقال: الرِّياحُ، وعن (الحاملاتِ وِقرًا) فقال: السَّحابُ، وعن (الجارياتِ يُسرًا) فقال: السُّفُنُ، وعن (المُقسِّماتِ أمرًا) فقال: الملائكةُ(٤). وهذا أولَى الأقوالِ. والله أعلَمُ.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: لصِدْقٌ، وقعَ اسمُ الفاعلِ موقعَ المصدرِ.

وقيل: ﴿لَصَادِقٌ﴾؛ أي: ذو صِدْقٍ.

وقيل: تقديرُه: لوعدُ صادقٍ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المُضافُ إليه مُقامَه(٥).

ويحتمِلُ أنَّ الوعدَ وُصِفَ بالصِّدقِ للمُبالغةِ، كما تقولُ: شِعْرٌ شاعرٌ، وسرٌّ كاتمٌ(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «فيصير».

(٣) في (ف): «وتقسمها بين البلاد وبين».

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه ـ تفسير» (٢١٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٣).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، وعده من العجائب.

(٦) ـ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: الجزاءَ على الأعمالِ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾: لكائنٌ.

مجاهدٌ: وإنَّ الحسابَ لواجبٌ[1].

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ هذا قسَمٌ آخرُ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: حُبُكُها: حُسْنُها واستِواؤُها[2].

وقيل: الحُبُكُ: الطَّرائقُ الحسنةُ، مثلُ ما يظهرُ على الماءِ من هُبوبِ الرِّيحِ، وعلى الرَّملِ، ومثلُه في الشَّعرِ والزَّرعِ.

وقيل: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: ذاتِ الزِّينةِ.

وقيل: ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: البُنيانِ المُتقَنُ.

وقيل: ذاتِ الشِّدَّةِ، تقولُ: حبَكْتُ الشَّيءَ: شدَدْتُه.

وقيل: حُبُكُ السَّماءِ: ارتفاعٌ وانخِفاضٌ في خَلْقِها، وليست بملساءَ.

وقيل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: السَّماءُ السّابعةُ.

وقيل: المُرادُ بالسَّماءِ: السَّحابُ، وبالحبُكِ: ما يَظهرُ في السَّحابِ أحيانًا منَ الطَّرائقِ، كما يَظهرُ على الرَّملِ والماءِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٧).

والحبكُ: جمعُ حَبيكةٍ؛ كطريقةٍ وطرُقٍ[1].

وقيل: جمعُ حِباكٍ كجِرابٍ وجُرُبٍ، فيكونُ الحِباكُ الذي بمعنى الرِّباطِ، وهو الحبلُ.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؛ أي: مُصدِّقٍ بالقرآنِ ومُكذِّبٍ به.

وقيل: هو قولُهم: سِحرٌ وشِعرٌ وكَهانةٌ، و: إنْ هو إلَّا قولُ محمَّدٍ.

وقيل: معنى ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: مُحِقٌّ ومُبطِلٌ.

وقيل: مُؤمنٌ وكافرٌ، ومُطيعٌ وعاصٍ.

وقيل: في قولٍ مختلفٍ في ثبوتِ القيامةِ، من قولِه سبحانَه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٣].

وقيل: إنَّكم في الحقِّ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾، ولا يصحُّ إلا واحدٌ، فاطلُبوا ذلك الواحدَ.

* * *

(٩) ـ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾؛ أي: يُصرَفُ عن الإيمانِ بالقرآنِ مَن صُرِفَ عن جميعِ الخيراتِ.

وقيل: مَن خُدِعَ عنه فقد خُدِعَ[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٩)، وعده من العجائب.

وقيل: مَن أُفِنَ عنه فقد أُفِنَ، والأَفَنُ: ذَهابُ العقلِ.

وقيل: يُكذَّبُ عنه مَن كُذِّبَ.

ويحتمِلُ أنَّ الأوَّلَ منَ الأفْكِ ـ بالفتحِ ـ وهو الصَّرفُ، والثَّاني منَ الإفكِ ـ بالكسرِ ـ وهو الكذِبُ، والمعنى: يُصرَفُ عن الحقِّ مَن كُذِبَ ودُعِي إلى الباطلِ[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ معنى ﴿قُتِلَ﴾: لُعِنَ؛ لأنَّ مَن لعنَه اللهُ فقد قتلَه.

ابنُ عيسى: أي: قُتِلوا باللَّعْنِ.

وقيل: هذا دعاءٌ عليهم.

ويحتمِلُ أنَّ هذا إخبارٌ بما يَؤُولُ إليه أمرُهم إذا أذِنَ الله لنبيِّه في القتالِ، وذُكِرَ بلفظِ الماضي تحقيقًا لذلك وقطعًا به.

و﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكذَّابُونَ الذينَ قالوا: محمَّدٌ شاعرٌ وكاهِنٌ ومجنونٌ.

وقيل: هم المُتكبِّرونَ، والخرَّاصُ الذي يقطعُ بالشَّيءِ تخمينًا وتقديرًا من دونِ علمٍ.

والخَرْصُ: الكذِبُ.

وقيل: الخَرْصُ: الظَّنُّ.

والخرصُ: الحَزْرُ في العددِ والكيلِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٣٩)، واستغربه.

(١١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾: غفلةٍ مُتناهيَةٍ، والغمرةُ فوقَ الغفلةِ، والسَّهوُ دونَ الغفلةِ، والغمرُ في الأصلِ: الماءُ الذي يغمُرُ كلَّ شيءٍ؛ أي: يسترُه.

﴿سَاهُونَ﴾: لاهُونَ.

وقيل: في ضلالتِهم مُتمادُونَ.

وقيل: في عمًى وشُبهةٍ مُتردِّدونَ.

والمعنى: هم في غايةِ الجهلِ ساهونَ عن الحقِّ.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾.

﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يقولونَ باستهزاءٍ[1]: متى اليومُ الذي تُوعِّدْنا فيه بوقوعِ الجزاءِ؟

و﴿أَيَّانَ﴾ في معنى: متى، وجاءَ مكسورًا شاذًّا[2]، وأصلُه عند الكوفيِّينَ: «أيَّ آنٍ».

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ هذا جوابٌ منَ الله لهم؛ أي: يقعُ الجزاءُ يومَ يُحرَّقونَ بالنّارِ.

وقيل: يُنْضَجونَ.

وقيل: يُعذَّبونَ.

وفَتَنْتُ الشَّيءَ: أحرقْتُ خَبثَه ليَظْهَرَ خلاصُه، والكافرُ كلُّه خبيثٌ فيُحرَقُ كلُّه.

---

(١) في (ف): «استهزاءً».

(٢) هي قراءة السلمي. انظر: «المحتسب» (١/ ٢٦٨) و(٢/ ١٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥٠)، ووقع في المطبوع من «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٨): «إبان» بالباء، وهو خطأ.

و﴿أَيَّانَ﴾ ظرفٌ، وهو خبرُ المبتدأ، و﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ المبتدأُ، و﴿يَوْمَ هُمْ﴾ جوابٌ عن ﴿أَيَّانَ﴾؛ لأنَّ السُّؤالَ وقعَ عن وقتِ وقوعِ الجزاءِ، فهو ظرفٌ.

وقيل: ﴿أَيَّانَ﴾ في محلِّ رفعٍ؛ لأنَّ المعنى: أيُّ يومٍ يومُ الجزاء[1]؟ فيكونُ ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ مبنيًا على الفتحِ لإضافتِه إلى الجملةِ ـ ومثلُه: «يومَئذٍ» ـ ومحلُّه رفعٌ؛ أي: ذلك اليومُ يومَ هم على النّارِ يُفتَنونَ.

***

(١٤) ـ ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾؛ أي: تقولُ لهم خزنةُ النَّارِ: ذُوقُوا عذابَكم وإحراقَكم بالنّارِ.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: هذا العذابُ، وقيل: هذا اليومُ.

﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بقولِكم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨]، وقولِكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الأعراف: ٧٠].

ثمَّ ذكرَ حالَ المؤمنينَ فقالَ:

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾: بساتينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾: وأنهارٍ جاريةٍ.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أي: أخذوا ثوابَ أعمالِهم ووصلَ ذلك إليهم.

وقيل: معناه: قابِلينَ، وهو حالٌ مُقدَّرٌ.

وقيل: حالٌ ثابتٌ لهم في الدُّنيا؛ أي: عامِلِينَ بما أمرَهم الله[2].

---

(١) في (ن): «الدين».

(٢) في (ف): «ربهم».

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: قبلَ دخولِ الجنّةِ؛ يعني: في الدُّنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾: مُؤمنين مُطيعين، فهذا جزاءُ أعمالِهم.

ثمَّ ذكرَ أحوالَهم في الدُّنيا فقال:

(١٧) ـ ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؛ أي: يُحيُونَ أكثرَ اللَّيلِ.

الحسنُ: يَمُدُّونَ الصَّلاةَ إلى السَّحرِ ثمَّ يستغفِرونَ(١).

قتادةُ: لا ينامونَ عن صلاةِ العشاءِ(٢)؛ أي: هجوعُهم قليلٌ في جنبِ يقظتِهم لصلاةِ العشاءِ الآخرةِ.

وقيل: يُصلُّونَ بينَ المغربِ والعشاءِ(٣).

وفي ﴿مَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه صِلةٌ؛ أي: كانوا يهجَعون قليلًا منَ اللَّيلِ، فيكونُ ﴿يَهْجَعُونَ﴾ خبرَ (كان)، و﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ ظرفٌ.

والثَّاني: أنَّه للمصدرِ؛ أي: كانوا قليلًا منَ اللَّيلِ هُجوعُهم، فيرتفعُ الهجوعُ بالبدلِ من واوِ الضَّميرِ(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٢٩٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٤) بلفظ: «لا ينامون من الليل إلا أقله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٤) عن قتادة عن محمد بن عليٍّ، في قوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] قال: «كانوا لا ينامون حتى يُصَلُّوا العَتَمةَ».

(٣) رواه أبو داود (١٣٢٢) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.

(٤) أي: واو الضمير في ﴿كَانُواْ﴾.

وقيل: يرتفعُ بـ(قليلٍ)، وهذا مع وصفِه بقولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ ممتنعٌ[(١)].

والثَّالثُ: للنَّفيِ، وهذا القولُ لا يصحُّ في العربيَّةِ؛ لمكانِ قولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ لأنَّك إنْ جعلتَه من صلةِ ﴿يَهۡجَعُونَ﴾ لا يجوزُ؛ لأنَّ ما بعدَ (ما) النَّفيِ لا يتقدَّمُ عليه، وإنْ جعلتَه من صلةِ ﴿قَلِيلٗا﴾ امتنعَ؛ لأنَّه لا يَصْلحُ أن يكونَ خبرًا لـ(كان) لفسادِه في المعنى، وهو أنَّه ليس إيَّاهم، ولا أن يكونَ ظرفًا للمُضمَرين؛ لأنَّهم جُثَثٌ. واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾.

﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ قيل[(٢)]: يُصلُّونَ.

وقيل: يستغفِرونَ اللهَ.

ابنُ زيدٍ: السَّحرُ: السُّدسُ الآخرُ منَ اللَّيلِ[(٣)].

وسُمِّي سَحَرًا لاشتباهِه بينَ الضِّياءِ والظُّلمةِ.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: الزَّكاةُ.

والثَّاني: حقٌّ سوى الزَّكاةِ[(٤)]: تَصِلُ به رحمًا، أو تَقْري به ضيفًا، أو تَحمِلُ به كَلًّا.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٢) «قيل»: ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١١).

(٤) في (ف): «سوى الله».

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منسوخٌ بآيةِ الزَّكاةِ[١].

والسَّائلُ: هو الذي يَسألُ النَّاسَ لحاجتِه وفاقتِه.

وقيل: هو الذي يسألُ المعونةَ بإظهارِه حاجتَه إليها واستحقاقَه[٢] لها، ويجبُ أن يُعطَى من غيرِ تفتيشٍ عن حالِه؛ لقولِه ﷺ: «للسَّائلِ حقٌّ وإنْ جاءَ على فرَسٍ»[٣].

والمحرومُ: هو الذي حُرِمَ منَ الرِّزقِ ما يَكفيه، وفيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه المُصابُ ثمرُه، من قولِه تعالى: ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾[٤].

وقيل: هو المُحارِبُ الذي لا يكادُ يكتسِبُ ولا سهمَ له.

وقيل: هو المُتعفِّفُ الذي لا يُظهِرُ فاقتَه بالسُّؤالِ.

وقيل: هو الذي لا يَنْمِي له مالٌ.

وقيل: هو أبو البناتِ[٥].

وقيل: هو المملوكُ يُنفِقُ عليه سيِّدُه.

وقيل: الكلبُ، وهو مرويٌّ عن عمرَ بنِ عبد العزيزِ[٦].

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٨٠)، و«الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٨).

(٢) في (ف): «بإظهار حاجته إليها واستخفافه»، وهو تحريف.

(٣) رواه أبو داود (١٦٦٥) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفي سنده يعلى بن أبي يحيى متكلم فيه، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٦) مرسلًا عن زيد بن أسلم.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، واستغربه.

(٦) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

وقيل: مَن وجبَتْ عليك نفقتُه لفقرِه من ذَوي نسبِكَ، حكاه الماورديُّ[١].

قال الشَّعبيُّ: أعياني أن أعلَمَ ما المحرومُ[٢].

وقيل: بعثَ رسولُ الله ﷺ سريَّةً فأصابوا وغنِمُوا، فجاء قومٌ بعدَ أنْ فرَغُوا فنزلَتْ: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[٣].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾: دلالاتٌ، يُريدُ: ما فيها مِنَ الجبالِ والبحارِ والأشجارِ والنَّباتِ وأنواعِ الطُّيورِ والحيوانِ.

وقيل: يُريدُ: ما وقعَ فيها منَ العذابِ بالأممِ الخاليةِ.

وقيل: وفي سكونِ الأرضِ على غيرِ عَمَدٍ دلالاتٌ.

﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾: لمَن طلبَ العلمَ بالدَّليلِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: وفي أنفسِكم آياتٌ، وهي أقربُ الأشياءِ إليكم، وآياتُها تربُو[٤] على آياتِ السَّماواتِ، منها استواءُ الخِلْقةِ والمفاصلِ.

وقيل: يأكلُ ويشربُ من مَدخلٍ، ويخرُجانِ من مخرجَينِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٥) و(٢٣/ ٢٧٤) عن الحسن بن محمد بن الحنفية مرسلًا.

(٤) في (ف): «تُربي».

وقيل: تغيُّرُه من حالٍ إلى حالٍ.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: تَنظُرون نظرَ مَن يعتبِرُ.

وما رُوِيَ عن بعضِهم أنَّ التَّقديرَ: أفلا تُبصِرونَ في أنفسِكم، فقُدِّمَ؛ ضعيفٌ بعيدٌ؛ لأنَّ ما بعدَ ألفِ الاستفهامِ لا يتقدَّمُ عليه(١).

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يريدُ به: المطرَ الذي هو سببُ الرِّزقِ.

وقيل: السَّماءُ: السَّحابُ.

وكان الحسنُ إذا نظرَ إلى السَّحابِ قال: فيه واللهِ رزقُكم، ولكنْ تُحرَمونَ بخطاياكم وأعمالِكم(٢).

وقيل: السَّماءُ: المطرُ(٣).

وقيل: وفي السَّماءِ تقديرُ رزقِكم من زيادةٍ ونُقصانٍ.

وقيل: ﴿في﴾ بمعنى: على، وتقديرُه: وعلى ربِّ السَّماءِ رزقُكم(٤).

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ تقديرُه: وفي السَّماءِ ما تُوعَدونَ؛ لأنَّه عطفٌ على ﴿رِزْقُكُمْ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٠)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿رِزۡقُكُمۡ﴾، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴾، وخبرُه قولُه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

واختُلِفَ في قولِه: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴾؛ فقيل: الجنَّةُ، وأنَّها في السَّماءِ السّابعةِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ منَ الجزاءِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ من أمرِ السَّاعةِ.

وقيل: ما تُوعَدونَ من نُزولِ الملائكةِ، من قولِه: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢٥].

والهاءُ في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ قيل: يعودُ إلى الرِّزقِ.

وقيل: إلى ﴿ما توعدون﴾.

وقيل: إلى جميعِ ما في السُّورةِ.

الحسنُ: بلغَني أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قاتلَ الله أقوامًا أقسمَ لهم ربُّهم ثمَّ لـم يُصدِّقوه»(١).

﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّه حقٌّ كما أنَّ قولَ: (لا إلهَ إلا اللهُ) حقٌّ(٢).

وقيل: إنَّه حقٌّ كما أنَّ نُطقَكم حقٌّ.

وقيل: كما لا شكَّ أنَّكم ناطِقونَ كذلك لا شكَّ في وقوعِ ما تُوعَدون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، واستغربه.

الزَّجَّاجُ: شبَّهَ الله تحقُّقَ ما أخبرَ عنه بتحقُّقِ نُطقِ الآدميِّ ووجودِه(١).

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كما لا يَدري أحدُكم من أينَ نُطقُه، ومن أينَ يجتمِعُ الكلامُ حرفًا حرفًا، كذلك يأتيه رزقُه قوتًا قوتًا، ولا يدري من أينَ يأتيه(٢).

قُرِئَ: ﴿مثلُ﴾ بالرَّفعِ على أنَّه صفةٌ لقولِه: ﴿لَحَقٌّ﴾.

وقُرِئَ بالنَّصبِ(٣)، ومذهبُ سيبويهِ أنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لإضافتِه إلى مبنيٍّ، وهو ﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ و﴿مَآ﴾ زيادةٌ وصلةٌ(٤).

ومذهبُ المازنيِّ أنَّ (ما) مع (مثل) كشيءٍ واحدٍ، وأنشدَ:

وتَداعَى مَنْخَراهُ بدَمٍ ... مِثْلَ ما أثمَرَ حُمَّاضُ الجبَلْ(٥)

الجَرْميُّ: نصبُه على الحالِ وإنْ كانَ ذو الحالِ نكرةً(٦).

وأبو عليٍّ جعلَه حالًا منَ الضَّميرِ في ﴿لَحَقٌّ﴾(٧).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٤)، وفيه: «إن هذا لحق كما أنك متكلم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤١)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وشعبة بالرفع، والباقون بالنَّصْب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٤٠).

(٥) انظر كلام المازني في «الأصول في النحو» (١/ ٢٧٥)، و«التعليقة» (٢/ ٢٥٤)، و«البسيط» (٢٠/ ٤٤٦). والبيت بلا نسبة في المصادر السابقة، ونسب البيت للجعدي في «المعاني الكبير» (١/ ٥٩٤) برواية:

فجرى من منخريه زبد

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٢١)، وذكره ابن يعيش في «شرح المفصل» (٥/ ٧٤)، وقال: «وما ذهب إليه الجرميُّ صحيحٌ، إلَّا أنَّه لا ينفكّ من ضعف؛ لأن الحال من النكرة ضعيفٌ».

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٢١).

الفرَّاءُ: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: لَحَقٌّ حقًّا[١].

***

(٢٤) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: ما كانَ من شأنِهم، والعربُ تقولُ للمُخاطبِ إذا أخبرَه[٢] عن خبرٍ ماضٍ: هل أتاكَ خبرُ كذا؟ وإنْ علمَ أنَّه لـم يأتِه.

وقيل: ﴿هَلْ﴾ هاهنا بمعنى: قد؛ أي: قد أتاكَ[٣].

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، والمُرادُ به القومُ؛ أي: هل يُمكِنُهم أن يقولوا: ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ من جهةٍ[٤] غيرِ وحيٍ به إليك.

قولُـه: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾؛ أي: عنـدَ الله، مـن قولِـه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقيل: إكرامُهم[٥] بأنْ خدمَهم بنفسِه.

وقيل: استحَقُّوا أن يُكرَمُوا؛ لأنَّهم جاؤوا من غيرِ أنْ دُعوا[٦].

***

(٢٥) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ ظرفٌ للحديثِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٥).

(٢) في (ف): «أخبر».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ١٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٥/ ١٠٣)، و«مغني اللبيب» (ص: ٤٦٠).

(٤) «جهة»: ليس في (ف).

(٥) في (ن): «أكرمهم».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢)، واستغربه.

ويجوزُ أن يكونَ ظرفًا للإكرامِ على القولِ الثَّاني والثَّالثِ.

والواوُ ضميرٌ للضَّيفِ، وجُمِعَ لأنَّهم كانوا أحدَ عشرَ معَهم جبريلُ عليه السَّلامُ.

وقيل: كانَ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ عليهم السَّلامُ، وسمَّاهم أضيافًا لأنَّهم جاؤوا[(١)] مجيءَ الأضيافِ.

وقيل: لأنه عامَلَهم مُعاملةَ الأضيافِ.

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾؛ أي: سلَّموا عليه سلامًا للتَّحيَّةِ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: ردَّ عليهم السَّلامَ بمثلِ ما سلَّموا[(٢)].

وقيل: بل زادَ كما أُمرَ في قولِه: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، وتلك الزِّيادةُ في الرَّفعيَّةِ؛ لأنَّ مرتبةَ الرَّفعِ قبل النَّصبِ، وليس الموضعُ موضعَ بيانِه[(٣)].

وقيل: أرادوا: نحنُ سِلْمٌ لك غيرُ محارِبين؛ لتسكُنَ نفسُه، فأجابَهم بمثلِ ذلك فقالَ: ﴿سِلْمٌ﴾؛ أي: نحنُ سلمٌ أيضًا، و﴿سِلْمٌ﴾ و﴿سَلَٰمٌ﴾[(٤)] لغتانِ.

﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾: غرباءُ لا أعرفُكم.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال في نفسِه[(٥)]؛ لأنَّه ظنَّ أنَّهم بنو آدمَ ولم يعرِفْهم.

---

(١) في (ف): «جاؤوه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢)، واستغربه.

(٣) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٢): «وللرفع مزية على النصب من وجوه: أحدها: أن الكلام لا يستغني عن المرفوع ويستغني عن المنصوب. والثاني: هو إعراب الفاعل، والنصب إعراب المفعول، والفاعل أقوى. والثالث: أنه حركة المخبر عنه، والنصب حركة الفضلات. ولوجوه أخر».

(٤) قرأ حمزة والكسائي: ﴿قالَ سِلْمٌ﴾، والباقون: ﴿قال سَلاَمٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٠).

وقيل: لم يكُنِ السَّلامُ تحيَّتَهم، فلمَّا سلَّموا عليه نكِرَهم.

وقيل: لأنَّهم دخلوا عليه بغيرِ استئذانٍ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: أتاهُم في خُفْيةٍ من ضيفِه؛ لئلَّا يعلَمُوا بما يَتكلَّفُ لهم.

وقيل: راغَ: أسرعَ في خَفاءٍ.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: مشويٍّ، وكانَ أكثرُ مالِه عليه السَّلامُ البقرَ، واختارَ السَّمينَ زيادةً في إكرامِهم.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ فوضعَه بينَ أيديهم فلم يأكلوا؛ لأنَّهم لا يأكلونَ ولا يشربونَ.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وقعَ في نفسِه الخوفُ منهم.

وقيل: معناه: فأضمرَ في نفسِه خيفةً منهم حيثُ لم يأكلوا طعامَه، وظنَّ أنَّهم جاؤوهُ بشرٍّ يُريدونَه به.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنّا رسلُ الله.

وقيل: إنَّ جبريلَ مسحَ العجلَ بجناحِه فقامَ يَدْرُجُ حتَّى لحقَ بأمِّه، وكانت في الدّارِ، فصدَّقَهم وأَمِنَ منهم[1].

---

(١) «منهم»: ليس في (ف).

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ يعني: إسحاقَ عليه السَّلامُ بإجماعِ[1] المُفسِّرين، إلّا مجاهدًا وحدَه فإنَّه قالَ: المُبشَّرُ به في الآيةِ إسماعيلُ عليه السَّلامُ[2].

﴿عَلِيمٍ﴾ يعلمُ إذا بلَغَ، والعليمُ: المُبالغُ في العلمِ.

وقيل: الفرقُ بين العليمِ والعالـمِ كالسَّميعِ والسَّامعِ؛ فإنَّ السَّامعَ لا بدَّ له من مسموعٍ، والسَّميعُ هو الذي إنْ صحَّ مسموعٌ سمِعَه[3].

***

(٢٩) ـ ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾؛ أي: جعلَتْ، وليس إقبالَ نُقْلةٍ.

وقيل: كانت بالبُعدِ، فلمَّا سمعتِ الملائكةَ يُبشِّرونَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ بالولدِ أقبلَتْ إلى إبراهيمَ ﴿فِى صَرَّةٍ﴾.

وقيل: في رنَّةٍ.

وقيل: في صياحٍ تقولُ: أوَّه.

وقيل: كانت تقولُ: أأَلِدُ وأنا عجوزٌ؟

وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: حياءٍ؛ لأنَّها رأت أثرَ الحيضِ.

وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: جماعةٍ منَ النِّساءِ، قالَ:

---

(١) بعدها في (ف): «من».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، وعده من العجائب.

(٣) فهو على هذا صفة مشبهة من الفعل اللازم (عَلُمَ)، وعلى الأول مبالغة اسم فاعل من الفعل المتعدي (عَلِمَ)، والأليق أن يجعل مثل هذا مبالغة في حق البشر، وصفة مشبهة إن وصف به الربُّ سبحانه وتعالى، والله أعلم.

فـــي صَـــرَّةٍ لـــم تَزيَّـــلِ(١)

وكانت في جماعةٍ منهنَّ.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: ضرَبَتْ جبهتَها.

وقيل: لطَمَتْ وجهَها، والصَّكُّ: الضَّربُ باعتمادٍ شديدٍ؛ أي: جمعَتْ أصابعَها فضرَبَتْ جبهتَها أو وجهَها.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾؛ أي: أنا عجوزٌ.

وقيل: قالت: أتلِدُ عجوزٌ ولها تسعٌ وتسعونَ سنةً، وكانت في شبابِها عقيمًا؟

وقيل: صكَّتَ وجهَها حياءً من أثرِ الدَّمِ.

والعجوزُ سُمِّيت بذلك لعجزِها عمَّا تَقْوَى عليه الشَّوابُّ، والعقيمُ: التي لـم تلِدْ، وأصلُه: الامتِناعُ والشِّدَّةُ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: قالتِ الملائكةُ: ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: كذلك.

وقيل: كذلك تلِدِينَ(٢).

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعلِه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعبادِه وتدبيرِه(٣).

---

(١) قطعة من بيت من معلقة امرئ القيس، وتمامه:

فأَلحقَـــهُ بـالهـــادِيَاتِ ودُونَـــهُ جَواحِرُها فـــي صَـــرَّةٍ لـــم تَزَيَّـــلِ

معناه: فألحق الفرسُ الغلامَ بالأوائل ودونه المتخلفات. وقوله: «في صرة» معناه: في جماعة. وقوله: «لم تزيل» معناه: لم تفرق؛ أي: لحق الأوائل الأواخر. انظر: «شرح القصائد السبع الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٩٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، واستغربه.

(٣) «وتدبيره»: ليس في (ف).

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: أُرسلتُم لأمرٍ جليلٍ، وشأنٍ عظيمٍ، فما ذلك؟

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لإهلاكِهم، وهم قومُ لوطٍ عليه السَّلامُ ومدينتُهم سَدُومُ.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ قيل: على الشُّذَّانِ[1] منهم.

وقيل: عليهم وعلى الشُّذَّانِ منهم؛ لقولِه: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]؛ أي: آجُرٍّ، فإنَّه طينٌ طُبِخَ فصارَ حجارةً.

وقيل: حجارةُ الأرضِ كلُّها كانت طينًا صارَتْ حجارةً بتأثيرِ الشَّمسِ على مرِّ الدُّهورِ[2].

﴿مُسَوَّمَةً﴾ فيها قولانِ:

أحدُهما: مُعلَّمةً بنقطةٍ سوداءَ في الأبيضِ، وبيضاءَ في الأسودِ.

الزَّجَّاجُ: جُعلَ في كلِّ حجرٍ اسمُ مَن أُهلِكَ به[3].

وقيل: كانت حجارةً حمراءَ عليها الخواتيمُ.

والسُّومةُ والسِّيماءُ: العلامةُ.

والثَّاني: ﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُرسلةً غيرَ محظورةٍ، من قولِهم: سامتِ الماشيةُ.

﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: في مُلكِه وسُلطانِه.

﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: للكافرينَ المُجاوزينَ الحدَّ فيه.

---

(١) الشذّان: الشذّاذ. انظر: «العين» مادة: (ش ذ ذ) (٦/ ٢١٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٦).

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾: في قرى قوم لوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: لوطًا ومَن آمنَ به.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: غيرَ أهلِ بيتٍ، وصفَهم بالإيمانِ والإسلامِ جميعًا وهما واحدٌ؛ لئلَّا يتكرَّرَ لفظُ المؤمنينَ.

***

(٣٧) ـ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في إهلاكِ قومِها وقَلْبِها ﴿ءَايَةً﴾ فإنَّه لا يَقدرُ عليه إلا اللهُ القادرُ على ما يشاءُ.

وقيل: هي تلكَ الأحجارُ وغيرُها ممَّا يدلُّ على سُخْطِ الله عليهم.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾؛ أي: جعَلْناها عبرةً لمَن بعدَهم.

***

(٣٨) ـ ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: وفي إنجاءِ موسى وإغراقِ فرعونَ.

وقيل: هو عطفٌ على قولِه: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ... وَفِي مُوسَىٰٓ﴾.

وقيل: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا... وَفِي مُوسَىٰٓ﴾(١).

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وهي اليدُ والعصا إلى سائرِ مُعجِزاتِه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ عن الإيمانِ ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: بجُموعِه وجُنودِه.

وقيل: بجانبِه وجميعِ بدنِه، وهي كنايةٌ عن المُبالغةِ في الإعراضِ.

وقيل: بقُوَّتِه.

وقيل: بمَيلِه عن الحقِّ.

والرُّكنُ: ما رَكَنَ إليه الإنسانُ من مالٍ وجندٍ وقوَّةٍ.

﴿وَقَالَ﴾ لموسى[1]: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: فأغرَقْناهُم في البحرِ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾؛ أي: بما يُلامُ عليه.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ هي التي لا رحمةَ فيها ولا منفعةَ، ولا تَلْقَحُ ولا تُنبِتُ، وهي الدَّبورُ، من قولِه عليه السَّلامُ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ»[2].

وقيل: هي الجَنوبُ.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: كالشَّيءِ البالي الذي أتَتْ عليه الأيَّامُ واللَّيالي.

وقيل: الرَّميمُ: الرَّمادُ.

وقيل: التُّرابُ المدقوقُ.

---

(١) في (ن): «﴿وَقَالَ﴾ فرعون موسى».

(٢) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: العظمُ البالي.

وقيل: الهشيمُ منَ النَّباتِ.

وقيل: ما رمَتْه الماشيةُ بـمَرَمَّتِها، وهي الشَّفةُ(١).

والمعنى: ما تترُكُ من شيءٍ هبَّتْ عليه من أنفُسِهم وأنعامِهم وأموالِـهم إلا أهلكَتْه.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: قومِ صالحٍ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى آخرِ أعمارِكم إنْ آمنتُم.

وقيل: إذ قيل لهم حين عقروا النّاقةَ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

* * *

(٤٤) ـ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: فجاوَزُوا الحدَّ بالخروجِ عن أمر ربِّهم.

وقيل: فطَغَوا بردِّهم أمرَ ربِّهم، فأتاهُم العُتوُّ عن هذه الجهةِ.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: العذابُ بعدَ الثَّلاثةِ، وكلُّ عذابٍ مُهلِكٍ: صاعقةٌ.

وقيل: الموتُ.

وقُرِئَ: ﴿الصَّعْقَةُ﴾(٢)، وهي صوتُ الصَّاعقةِ.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إلى العذابِ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٢) قرأ بها الكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ ﴾؛ أي: ما قاموا لـها ولا طلَبُوا مَن ينصرُهم.

وقيل: ما استطاعوا مِن أنْ يُقيمُوا به فيدفَعُوه عن أنفُسِهم.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾: مُمتَنِعينَ منَ العذابِ.

وقيل: معناه: لم يُمكِنْهم مُقابَلَتُنا بالعذابِ؛ لأنَّ معنى الانتصارِ: المُقابلةُ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ مَن جرَّه عطفَه على ما قبلَه من عادٍ وثمودَ.

ومَن نصبَه[1] عطفَه على المحلِّ.

وقيل: عطَفَه على ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾؛ أي: أهلَكْناهم وأهلَكْنا قومَ نوحٍ.

وقيل: واذكُرْ لهم قومَ نوحٍ.

وقيل: عطفٌ على قولِه: ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ وقومَ نوحٍ؛ لأنَّ المعنى: أغرَقْناهم وأغرَقْنا قومَ نوحٍ.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: قبلَ هؤلاءِ المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: كافِرين عاصين.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ ﴾: بقوَّةٍ، والأيْدُ والآدُ: القوَّةُ.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾؛ أي: أوسَعْنا السَّماءَ.

وقيل: جعَلْنا بينَها وبين الأرضِ سَعَةً.

الحسنُ: نُوسِّعُ بالمطرِ[2].

---

(١) قرأ بالجر أبو عمرو وحمزة والكسائي، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) بلفظ: «لموسعون في الرزق بالمطر».

وقيل: إنَّا لذو سَعةٍ لخَلْقِنا.

وقيل: نحنُ في سَعةٍ ممَّا نريدُ، ولا[1] يَضِيقُ عنَّا شيءٌ نُريدُه.

وقيل: قادِرونَ.

وقيل: أغنياءُ.

وقيل: علماءُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: بسَطْناها ومَهَدْناها ليستقِرُّوا عليها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ يُريدُ الحيوانَ ذكرًا وأُنثى.

وقيل: التَّلقيحُ للنَّخلِ، والتَّسميدُ للزَّرعِ، ولكلِّ ضربٍ منَ النَّباتِ تدبيرٌ يقومُ مَقامَ التَّزويجِ الذي بينَ الحيوانِ.

وقيل: أرادَ: نوعَين؛ كاللَّيلِ والنَّهارِ، والشَّمسِ والقمرِ، والإنسِ والجنِّ، والسَّماءِ والأرضِ، وكذلك أنواعُ الثِّمارِ والنَّباتِ.

والمعنى: استأثرَ الله بالوحدانيّةِ، وجعلَ لكلِّ ما خلقَه مثلًا أو مُقابلًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلَموا[2] أنَّ الله وترٌ وليس بشَفْعٍ، ولا كمِثْلِه شيءٌ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) في (ف): «لا».

(٢) في (ن): «فتعلمون».

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: بادِرُوا إلى الإيمانِ باللهِ والطّاعةِ له.

وقيل: فِرُّوا منَ الشَّيطانِ إلى الرَّحمنِ، ومنَ العذابِ إلى الثَّوابِ.

عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: اخرُجوا إلى مكّةَ[1].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾: منَ العذابِ ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: مُنذِرٌ.

وقيل: ﴿نَذِيرٞ﴾: عالِمٌ، من قولِهم: نَذِرَ؛ إذا عَلِمَ[2].

ويحتمِلُ أنَّ قولَه: ﴿مِّنۡهُ﴾ صفةٌ لـ﴿نَذِيرٞ﴾[3]، لا صلةٌ تقدَّمَ عليه، والمعنى: نذيرٌ من عندِ الله، وكذلك الذي بعدَه[4].

(٥١) ـ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: منَ الإشراكِ، والتَّكرارُ للتَّأكيدِ، والإطالةُ في الوعيدِ أبلَغُ.

وقيل: الأوَّلُ متَّصلٌ بالمعصيةِ، والثّاني بالشِّركِ، وإذا اختَلَفا لا يكونُ تكرارًا[5].

* * *

(٥٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كقولِ قومِك لك: ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾.

﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: قبلَ قومِك ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾؛ أي: رَمَوا

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٣) أي: صبغة في الأصل، لكن الصفة إذا تقدمت على الموصوف أعربت حالاً، وقد نبّه على ذلك المصنف سابقاً.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٤)، واستغربه.

(٥) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٠٩)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٢٩).

الأنبياءَ من فَرْطِ جهلِهم بأمرَين بينَهما تضادٌّ؛ لأنَّ السَّاحرَ لا يكونُ إلا فَطِنًا لبيبًا، والمجنونُ بالضِّدِّ من ذلك.

* * *

(٥٣) ـ ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾؛ أي: كأنَّ بعضَهم أوصى بعضاً[1] بهذا المقالِ.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾؛ أي: قومُكَ، ويجوزُ أن يعودَ إلى الكلِّ، ﴿طَاغُونَ﴾: مُتجاوِزو الحدِّ في العصيانِ؛ أي: لـم يتَواصَوا ولكن اتَّفقوا فيما أوجَبَ ذلك، وهو الطُّغيانُ والعصيان.

* * *

(٥٤) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الضَّحَّاكُ: التَّولِّي عنهم منسوخٌ بالإقبالِ عليهم بالموعظةِ[2]، وهو قولُه: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: تَوَلَّ عنهم حتَّى نأمرَكَ بالقتالِ.

وقيل: هذا وعيدٌ للكفَّارِ؛ كقولِه: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤].

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: لا لومَ عليك منَ الله وقد بلَّغتَ الرِّسالةَ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنْ تزيدَ في علمِ المؤمنينَ وإنْ لـم يتذكَّرْ[3] بها الكافرون.

---

(١) في (ن): «﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أي: كأنهم أوصى بعضهم إلى بعض».

(٢) ذكره مكي في «الهداية» (١١/ ٧١٠٧).

(٣) في (ف): «يتذكره».

(٥٦) ـ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: ليُوحِّدوني، يُريدُ المؤمنينَ منهم، ومَن سواهم فهم الذين قال فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقيل: إلّا لآمرَهم بالعبادةِ وأدعوَهُم إلى الطّاعةِ.

وقيل: ليعبُدوه طوعًا لا كرهًا، وليس كالنَّارِ تُحرِقُ طبعًا، والثَّلجِ يُبرِّدُ طبعًا.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إلا ليُذعِنُوا لي بالعبوديّةِ[1].

ابنُ عيسى: إلّا ليعبُدوني هم وغيرُهم.

وقيل: إلّا ليعرفُوني.

ويحتمِلُ: ما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليكونُوا عبادًا لي، ومثلُه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

* * *

(٥٧) ـ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾؛ أي: ما خلقتُهم ليَرزُقوا شيئًا من مخلوقاتي، ولا أنْ يرزُقوا أنفسَهم، ولا أنْ يرزُقوني ويُطعِموني، فإنَّ الله هو الرَّازِقُ، بل خلقتُهم لعبادتي.

وقيل: ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾: جُعْلٍ وأجرٍ على الإيمانِ.

وقيل: ﴿أَن يُطْعِمُونِ﴾: أن يُطعِموا عبادي، فحُذِفَ المُضافُ.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٣).

(٥٨) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾: المُبالِغُ فيه، غيرُ المرزوقِ، النفَّاعُ لغيرِه لا ينفعُه شيءٌ.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: ذو الاقتِدارِ الشَّديدِ؛ أي: غالبٌ لا يُغلَبُ، وقاهِرٌ لا يُقهَرُ، وقادِرٌ لا يَعجزُ. والقوَّةُ في أصلِ اللُّغةِ: الطَّاقةُ منَ الحَبْلِ، فإذا انضافَ إليه طاقاتٌ فهو الحبلُ المتينُ، ثمَّ استُعيرَ لكلِّ أيدٍ وشدَّةٍ.

وقيل: معنى ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾: التي يتقوَّى بها[١] جميعُ خَلْقِه له.

و﴿ٱلْمَتِينُ﴾ بالرَّفعِ إجماعٌ، وهو وصفٌ لـ﴿ذُو﴾، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالجرِّ[٢] حملًا على القوّةِ، وذلك يستَدعي: (المتينةِ).

* * *

(٥٩) ـ ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ ﴾؛ أي: لكفَّارِ قومِك حظًّا ونصيبًا منَ العذابِ مثلَ ما كانَ للأممِ[٣] قبلَهم.

مجاهدٌ: سَجْلًا[٤].

قتادةُ: عذابًا[٥].

الحسنُ: دولةً[٦].

---

(١) في (ن): «التي يتقوى به»، وفي (ف): «إن القوة التي يتقوى بها»، ولعل «إن» محرفة عن «أي».

(٢) نسبت ليحيى بن وثاب والأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٨٩).

(٣) في (ف): «من الأمم».

(٤) في (ن): «سيلا»، ورواه باللفظ المثبت الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧١) بلفظ: «سبيلًا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٩).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٢) بلفظ المصنف، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٨) بلفظ: «دلواً مثل دلو أصحابهم».

الكسائيُّ: حظًّا[1].

وأصلُ الذَّنوبِ: الدَّلوُ العظيمُ، قال:

لكــم ذَنــوبٌ ولنــا ذَنــوبُ وإنْ أَبَيْتُــم فلَنَــا القَليــبُ[2]

الزَّجَّاجُ: الذَّنوبُ: النَّصيبُ[3].

والذَّنوبُ: الدَّلوُ، ولا تُسمَّى ذَنوبًا إلّا إذا كانت مَلْأى[4].

وقيل: إذا انحدَرَ فهو دَلْوٌ، وإذا ارتفَعَ فهو ذَنوبٌ وسَجْلٌ؛ لأنَّها في الانحِدارِ فارغةٌ، وفي الارتفاعِ مَلْأَى.

وقيل: معناه: عذابًا بعد عذابٍ، كالدَّلْوِ يتبعُ الدَّلْوَ.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ هذا جوابٌ للنَّضْرِ وأصحابِه حين استعجَلُوا العذابَ فلحِقَهم يومَ بدرٍ.

***

(٦٠) ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ﴾: شدَّةُ عذابٍ.

وقيل: وادٍ في جهنَّمَ، وقد سبقَ.

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يعني: من عذابِ يومِ القيامةِ.

وقيل: يومِ بدرٍ، والله أعلَمُ بالصَّوابِ[5].

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٠) دون نسبة، وانظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٥٧).

(٢) الرجز دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ٥٥٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «المخصص» (٢/ ٤٦٤)، و«شرح كفاية المتحفظ» لابن الطيب (ص: ٦٠٣)، وانظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٥٩).

(٥) «بالصواب»: ليس في (ف).